

دراسات في جغرافية الإنسان

”المجتمع الجبرائيل“

تأليف

الدكتور يسرى عبد الرزاق الجوهري

وكيل كلية الآداب ورئيس قسم الجغرافيا
جامعة المنصورة

الطبعة الأولى

١٩٧٩



الهيئة العامة للكتاب
مركز الإسكندرية

دراسات في جغرافية الإنسان

المجلد الأول "البيئات"

تأليف

الدكتور يسري عبد الرزاق الجوهري

وكيل كلية الآداب ورئيس قسم الجغرافيا
جامعة المنصورة

الطبعة الأولى

١٩٧٩



الهيئة العامة للكتاب
مركز الاستشارات

إهداء

إلى

من كان وراء هذا العمل

اعزازا وتقديرا

يسرى الجوهري

مقدمة

يرجع اهتمامي بدراسة الانسان إلى فترة تزيد على عشرين عاما حينما كنت أشغل وظيفة محاضر للجغرافيا التاريخية بجامعة الاسكندرية وألفت في عام ١٩٦٥ كتابا تحت عنوان « السلالات البشرية » حاولت فيه مخلصا أن اسير على درب استاذي الدكتور محمد السيد غلاب وأكمل فيه ما قدمه في تطور الجنس البشرى و « البيئة والمجتمع » . ومنذ ذلك الوقت انكببت للتعرف على جوانب الانسانيه في الانسان بالبحث عن أصوله وتبع أماكن تواجده وانتشاره واختلاطه وأيضا بالتعرف على معالم بيئته الانسانية .

وفي جميع الاحوال كان رائدي الحرص على ادراك مدى التفاعل القائم بين الانسان وإنسانيته من ناحية والوسط الجغرافي الذي يعيش فيه من ناحية أخرى الأمر الذي دفعني إلى أن أصدر سلسلة من الكتب تعالج جوانب عديدة من جغرافية الإنسان ذلك إلى جانب بعض المقالات التي تناولت درس ظاهرة حضارية بعينها في بيئته محدودة كالحياة الصفح في مدينة بيروت التي ظهرت في عام ١٩٧١ .

وفي عام ١٩٧٨ قدمت للقراء ما أسميته « بالجغرافيا الاجتماعية » أوضحت فيه علاقة البيئة الاجتماعية في تفاعل الانسان مع بيئته الجغرافية وركزت فيه على اتصال العلوم الإنسانية بعضها ببعض الآخر . وقد كان هذا العمل الأخير دافعا قادني إلى أن تعرض لدراسة الجماعات البدائية في بيئتها الجغرافية ولاصورها

تحت عنوان ، دراسات في جغرافيه الانسان ، لتشمل تحليلا دقيقا لاسلوب حياة اناط من الجماعات والقبائل والممالك والمجتمعات البدائية الاجتماعيه التي ينتمون إليها ، وهي بذلك دراسة تمنح نحو التحليل الانثروبولوجي للعديد من الجماعات التي تتناثر في مناطق ركنيه في العالم .

وينقسم الكتاب إلى أربع ابواب تناول الأول منها دراسة الجماعات البدائية حيث ضرب المثل في هذا الصدد بجماعات الاندمان والياغان والاسكيمو بينما اختص الباب الثاني بتحليل انثروبولوجي للتانجوس بسبيريا وقبائل الشين التي تنتمي إلى هنود أمريكا الشماليه وقبائل الجيفارو في حوض الامزون بأمريكا الجنوبيه والتاهيتيون في جزر بولينزيا وقبائل النوير الإفريقية .

أما الباب الثالث فحتوى على دراسة ثلاث ممالك بدائية تنتمي اثنتان منها إلى العالم الجديد وهما مملكة الانكا ومملكة المايا وواحدة إلى قارة آسيا وهي مملكة الكالينجا . وإذا كانت الجماعات الاخيرة مازالت تمارس حياتها في بيئتها الطبيعيه حتى الوقت الحاضر إلا ان حضارة المايا والانكا مازالت آثارها ومخلفاتها شاهدا على أسلوب حياة معين لمجموعة من البشر كان لها في وقت من الاوقات تأثير حضارى بارز على ماخولها من تجمعات بشرية .

أما الباب الرابع فجال تجواله مجتمعين قرويين أحدهما في شبه القارة الهندية والاخر في إحدى قرى المغرب العربي وقد كان اختيار هذين المجتمعين هادفا لإذروحي في أحدهما أن يكون على تخوم الحضارة العربية والاوربية والثاني في قلب حضارة الشرق الأقصى .

وقد زود الكتاب بعدد من الصور التوضيحية التي تساعد على فهم بعض

ماورد ما بين السطور بالاضافة إلى خريطه وزع عليها أما كن توطن الجماعات التي
ذكرت فى سياق الدرس والتحليل .

وإذا اقمتم هذا العمل ارجو أن يكون لبنه فى التعرف على سمات الحضاريه
للإنسان كل إنسان وأى انسان .

والله ولى التوفيق

د . يسرى الجوهري

السيوف - الاسكندرية

أول يناير ١٩٧٩

الباب الأول

الجماعات البدائية

- جماعات الياغان في أمريكا الجنوبية
- الاندومان
- الاسكيمو

جماعات الياغان
في امريكا الجنوبية

The Yaghan of South America

جماعات الياغان في أمريكا الجنوبية

جماعات الياغان جماعات منقرضة ومن ثم فيتركز الحديث عنها والدراسة وذلك قبل أن ينقرط عقدها وتندثر .

تعتبر جماعات الياغان من أكثر الجماعات البدائية الموجودة في العالم تعاسة ، حيث كانت تقطن فيما مضى الساحل الجنوبي لجزيرة تيرا دلفويجو وبعض الجزر الصغيرة الممتدة جنوباً حتى رأس هورن في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية .

ومنطقة الياغان منطقة متطرفة من الأرض توجد حيث تقتبى السلسلة الساحلية من جبال الأنديز وتتعمق جنوباً في المحيط ، وتتكون هذه المنطقة من مجموعة من الجزر والقنوات والفيوردات والرؤوس الصخرية الضاربة في البحر ومن ثم فهي منطقة تبعث على اليأس والاحباط البشرى .

فن ناحية المناخ نجد أن الرياح الشديدة والصقيع يصحبان السحب القائمة والاضباب الكثيف باستمرار ، كما أن المنطقة تتعرض لاعتى العواصف المحيطية في العالم ونادراً ما تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر المئوى غير أن المنطقة رطبة على مدار العام الأمر الذى يدعو إلى التأمل في كيفية حياة الإنسان فوق هذا الجزء من اليابس .

وعلى الرغم من أن منطقة الياغان تختلف كثيراً من ناحية المناخ عن غيرها من المناطق المجاورة ، فقد دهش الأوروبيون من مدى صلابه وقوة تحمل الياغان للمناخ السائد في منطقتهم ، فهم عراء دائماً وبلا مأوى تقريباً ، اللهم الا تلك الأكواخ المصنوعة من الحشائش . كما أن المرأة الياغانية تسبح وتغطس في هذا المناخ من أجل صيد الأسماك القشرية التى تعتبر الغذاء الرئيسى لليياغان ، وللمقارنة

فقد تجمد بحاران كانا مرافقا للكابتن كوك أثناء رحلته في يناير عام ١٧٦٩ عندما كان فصل الصيف الجنوبي يسود تلك البقاع . ويقدر عدد الياغان بحوالى ٣٠٠٠ نسمة وذلك قبل أن تقضى عليهم الأمراض التى جلبها الأوربيون معهم عندما وطئت أقدامهم للقارة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ففي ذلك الوقت كان الياغان يتجولون فى جماعات صغيرة تنتشر فوق نطاق واسع يبلغ عرضه عدة أميال من الساحل ، وهذه الجماعات كانت تتكون أساساً من أسرتين أو ثلاث وان كانت فى أغلب الأحيان تتألف من أسرة واحدة .

وقد كان الياغان يطلقون على أنهم اسم « يامانا Yamana » ، التى تعنى رجل أو بنى آدم غير ان اصطلاح ياغان قد اشتق أساساً من اسم مكان يقع داخل حدودهم ثم التصق بهم وأصبح من الصعب تغييره .

وجماعات الياغان ليست جماعات قبلية منظمة ، كما أن تميزهم عن غيرهم من الجيران يعتمد أساساً على اللغة بالإضافة إلى بعض الجوانب الحضارية البسيطة فلهذا الياغان لغة منعزلة لم تتسرب إلى أى مكان آخر ، وتعتبر جماعات الأونا Ona . أقرب الجماعات إلى الياغان وهى جماعات تعتمد أساساً على الصيد البرى وتقطعن الأجزاء الداخلية من تيرا دلفويجو . أما أكبر جزر الارخبيل فهى جزيرة الكالوف إلى الشمال الغربى وتسكنها جماعات الالكالوف Alakuluf ، وهى جماعات تشبه الياغان إلى حد كبير فيما عدا اللغة .

ولا توجد بين الياغان أيضاً رابطة تجمعهم سوى أنهم يشكلون مجموعة مميزة عن جيرانها ويحتلون حدوداً واضحة تتطلب دائماً الاستعداد للدفاع عنها وعن أى ياغانى يتعرض للخطر .

ولا يوجد تنظيم اجتماعى من أى نوع بين الياغان وان كانوا ينقسمون

ككل إلى خمس جماعات فرعية أساسها اختلاف لهجة كل منها كما لا يوجد نظام لاجتماعى سوى الشعور العام بالقرابة بين الافراد .

وتعتمد وسائل الانتقال لدى الياغان على البحر اذ يستخدمون قارب الكانو Canoe الذى أصبح سائداً لديهم لدرجة أنه يطلق عليهم هنود قارب تيرراد لتويجو وذلك على التقيض من الآونا الذين يطلق عليهم الهنود المشاه

• The foot indians

أما عن الصفات الجنسية لليباغان فهى تختلف تماماً عنها لدى الآونا الذين يشبهون جماعات الصائدين الذين جاؤوا معظم مناطق الارجنيتين واشتهروا بصفة عامة بالقامة الطويلة وصلابة العود .

ويشبهه الياغان جماعات الشونو Chono التى تعيش فى أرخبيل شيلى إلى الشمال من منطقته الياغان والذين يمتازون بالقامة القصيرة ، واستناداً إلى وصف من زار هذه المنطقة فى وقت وجود الياغان وملاحظات الاوربيين عنهم فإن الياغان يتبعدون كلية عن الوسامة فوجوههم عرضه جداً وكبيرة بالنسبة لاجسامهم اذ يتميزون بالجذع العريض والارجل والاذرع القصيرة الرفيعة الامر الذى يضفى عليهم مظهراً قزمياً .

وتغطى المناطق الساحلية التى يعيش الياغان فوقها غابات كثيفة صعبة الاختراق لهذا يقضى الياغان معظم وقتهم فوق سطح البحر . ويعتبر كلب البحر أهم حيوان الصيد لديهم اذ يعتبر المصدر الرئيسى للحم كما يستخدم جلده فى صنع الخيام وبعض القلنسوات أما الحوت فيعتبر هدية ثمينة يجتمع حولها أفراد الجماعة ، ونظراً لضخامته فانه يكفيهم مدة طويلة كمصدر للحم ولامداد عدد كبير من الجماعة بالطعام ، وقد اعتادوا الا يصطادوه فى عرض المحيط لكنهم

يراقبوه حتى ينجح في الميساء الضحلة أو ينتظروا حتى تجود عليهم مياه المحيط بإحدى الحيتان الميته .

وهناك أنواعاً عديدة من الاسماك التي تعيش في المياه المحيطة بمنطقة الياغان غير انهم لم يتوصلوا لمعرفة لفصائل البسيطة لهذه الاسماك أو إستخدام وسائل الصيد المتبعة لدى غيرهم من الصائدين فالرمح هو السلاح الوحيد المستخدم وفي أغلب الاحيان يستخدمون الطعم لجذب الاسماك ثم الامساك بها بالايدي المجردة ومن ثم فقد ينصرم اليوم دون صيد يذكر لذا كانت الحياة مستحيلة دون الاعتماد على بعض الاسماك الصدفية التي قد يكون البحث عنها هو العامل الهام وراء تنقل المجموعات الاسرية أما النباتات التي تشكل جزءاً من غذاء الياغان فهي نباتات طحلييه أساساً بالإضافة إلى بعض النباتات المتسلقة .

وتكثر الطيور في منطقته الياغان وهي طيور كبيرة كالاوز البرى والبط البرى غير أن الياغان يفتقرون إلى طريقه الصيد المثل كالثباك فهم يستخدمون الرمح والقوس والسهم في صيد هذه الطيور .

كما يتبعون طريقه فريدة في صيدها وفي القاء الاحجار عليها لقتلها أو يتسلل الصياد للاسماك بها ليلا .

وبينه الياغان على الرغم من صعوبة الحياة فيها الا انها بيئه ذات وفرة بيولوجيه ، أما انخفاض مستوى معيشه الياغان فيرجع في المقام الاول إلى انخفاض مستواهم الفنى (التكنولوجيا) وحضارة الياغان من أكثر الحضارات البدائيه المعروفة بساطه فهم لا يعرفون الزراعة ولا استئناس الحيوان اللهم الا الكلب ومن المعروف ان هذه المعرفة ترتبط بالحياة المستقرة وتستخدم النساء العصي المعقوفة في جمع سرطان البحر وبعض الإصداق أما أواني

الشخزين فلا تعذبوا أن تكون أنواعا بسيطة من السلال .

ويعيش الياغان بصورة دائمة في قواربهم — الكانو — لدرجة أنهم أنشأوا قوارب ذات مواقد تحتفظ بالنار مشتعلة بصورة دائمة ومع ذلك فإن البحر لم يزل مهما كالسكانو وإن كان عاصفا في نفس الوقت ، ولم يقيم الياغان بصنع القوارب التي يمكنها الأبحار في مواجهة العواصف العاتية فقواربهم عبارة عن « قشرة من لحاء شجرة الزان » وهي أكثر ضعفا من القوارب المصنوعة من لحاء شجرة البتولا في أمريكا الشمالية ، ويتألف قارب الياغان من عدة دعائم أو فروع شجيرات وهو على شكل هلال يصل طوله إلى حوالي خمسة عشر قدما ويمكن للياه الذسرب اليه بسهولة ولا توجد به عوامل مساعدة على الأبحار اللهم الا شراع بدائي من جلد عجل البحر ، وفي عام ١٨٨٠ صنع الياغان أول قارب محفور من جذع شجرة باستخدام أدوات من الصلب وقد انتقلت صناعته بالمحاكاة على طول المنطقة المحيطة بهم .

وعند استخدام الكانو تقوم المرأة بالتجديف أما الرجل فيجلس على مقدمة الكانو ليتمكن من طعن الأممك برمح حيث يمكن رؤيتها بسهولة من هذا المكان ، وتشكل عملية ارساء القارب مشكلة بالنسبة لليياغان بسبب تلك الكميات الهائلة من الحصى والحصباء التي تنتشر فوق الشواطئ والتي ينتج عن الاحتكاك بها تدمير قاع الكانو الهش إذا اقترب منها بشدة ، ومن ثم يجر الكانو برفق نحو الشاطئ ثم يقوم الرجل الواقف فوق مقدمته بمساعدة بعض المارة بسحب الكانو إلى الشاطئ برفق فيشبه إصطدامه بالقاع ثم تقوم المرأة بدفع القارب إلى حافة تملؤها أعشاب البحر الكثيفة في جزء عميق المياه حيث تقوم بارسائه ثم تعود سباحة إلى الشاطئ وعند العودة للأبحار تقوم الزوجة أيضا باحضار القارب ، والنساء أقوى على السباحة من الرجال .

ودائماً ما يتجهول الياغان رجالاً ونساءً وأطفالاً وهم عراة تماماً أما الغطاء الوحيد المستخدم لستر الجسم فهو قطعة من جلد القندس (كلب الماء) وهو من القصر بحيث لا يلتف حول الجسم لفة كاملة فهو يستر الغورة الامامية فقط وهو مربوط إلى الصدر ، ولا يعرف الياغان دباجة الجلود ومن ثم الجلود الناعمة اللينة وعلى هذا الأساس فان ملابسهم الجلدية خشنة الملمس باردة لدرجة أنهم يفضلون عدم ارتدائها عند الانهاك في عمل يتطلب حركات سريعة نشطة .

وعند السير فوق اليابس يرتدى الياغان أحذية مصنوعة من جلد عجل البحر وهى أحذية بلا كعوب محشوة بالحشائش وعموما فهى ليست أحذية مريحة أو متينة .

ويطلى الرجل أو المرأة جسمها بالزيت أو الشحم للحصول على نوع من الوقاية والحماية من الرياح القارسة والاثر الكاوى الذى تسببه مياه البحر المالحة .

ويستخدم الياغان وسائل بسيطة لتزيين الوجه والجسم وهى الوسائل السائدة لدى غيرهم من أصحاب الحضارات الهامشية ، فالمرأة دائماً ما ترتدى غطاء مثلث الشكل مصنوع من الفراء أو من جلد بعض الطيور وذلك لتغطية عورتها أما تغطية الرأس فلا يعيرها الرجل أو المرأة أى إهتمام فلا توجد قبعات أو ما يشبهها بل يطلق شعر الرأس على شكل عقد باستثناء ما فوق الجبهة وينزع شعر الجسم باستخدام صدق نوع من المحار حيث تستخدم كملقط أو مكشط ، ولا يחדش الياغان أجسامهم من أجل الزينة كما لا يقومون بأحدث شقوق بها ، اذ لا يחדش الجسم الا من أجل اظهار الحزن في وقت الحداد ، أما الوشم فما هو الاركن بسيط من أركان الطقوس التى تقام عند بداية سن البلوغ ومن ثم

لا تنتشر بينهم طريقة تشويه الجسم الممقدة التي يعرفها الهنود الأمريكيون الآخرون مثل تشويه الرأس والأذن والشفاه أو خرق الأنف غير أنهم يعبرون بالرسوم الملونة عن أحاسيسهم برسمها على أجسامهم فالصور المرسومة باللون الأحمر (التي تصنع مادته من الرمال المحترقة) يدل على السلام أما الصور التي ترسم باللون الأبيض (من الصلصال) فتعنى الحرب ، ويخصص اللون الأسود (مصنوع من الفحم النباتي) لرسم الصور المعبرة عن الحزن أو الحداد .

وتصنع الخلاخيل أو الأساور من جلود الحيوانات أو من أوتار عضلاتها وترتديها النساء كحلية أما العقود فتصنع من الأصداف الصغيرة وبعض أجزاء من عظام أرجل الحيوانات حيث يلحمونها في أوتار عضلات هذه الحيوانات ، ولما كان استقرار اليافع فوق اليابس إستقراراً بسيطاً مؤقتاً فإن كوخهم يتسم بنفس الدرجة من البساطة وهو على غطين .

الأول : على شكل خلية نحل بسيطة ويقام بإنشاء شبكة من الأغصان ذات شكل قباني ثم يغطي بالحشائش والسرخس واللحاء والجلود .

والثاني : ذو شكل يضاوى ، اذ ترفع الجذوع والفروع على شكل مخروط يغطي بنفس الطريقة المتبعة في النوع الأول .

ولاحكام صنع الأعشاب والجلود فان سقف الكوخ لا يسمح بتسرب الدخان الناتج عن النار المشتعلة باستمرار داخل الكوخ ومن ثم يتميز اليافع بعيونهم الدائمة والإلتهاب والإحمرار بسبب الدخان خاصة في فصل الشتاء عندما يحكم صنع الكوخ ،

والتخصص في العمل بين اليافع يعتمد على مدى قوة تحمل كل من الجنسين فالرجال يقومون بعملية الصيد والغنص وعمل الاسلحة والقوارب أو القيام



شكل (١) نموذج لكوخ الباءان المخروطي

بالأعمال الصعبة عموماً كبناء الأكوخ شكل (١) أما المرأة فهي مسئولة أساساً عن تربية الصغار وكافة النشاط المنزلى كالطهي والحياكة وعمل الختائب والسلال، ويقدر ما يعتبر الكانو مسكناً للياغان وذلك لأنهم يقضون معظم وقتهم فيه بقدر ما تقوم المرأة بمعظم عمليات التجديف وإدارة دفة الكانو وأرسائه وإعداده للأبحار مرة أخرى .

وكما في مجتمعات الصيد والجمع الأخرى فإن المرأة هي التي تقوم بعملية الجمع لأن هذا العمل يمكن القيام به بالقرب من الكوخ كما أنه لا يتطلب مشقة كبيرة وتعتبر عملية جمع الأصداف البحرية أهم عمل تقوم به المرأة .

وتتمتع المرأة الياغانية بمنزلة خاصة ربما بسبب دورها الهام في الامداد بالطعام والكساء أو ربما بسبب مشاركتها للرجل في كافة نشاطاته .

فعندما يتقاضى الرجل أثر حيوان بحرى من أجل اصطیاده تقوم زوجته بعملية توجيه الكانو ، وعند بناء الكوخ تساعد المرأة زوجها في إتمام عملية البناء بحيث يصبح العمل مشتركاً بينهما ، ونظرياً فإن الرجل هو الذى يسيطر على الأسرة وتكرن له الكلمة الأخيرة فى شئونها بالإضافة إلى مركز القيادة غير أن الملاحظات قد أثبتت العديد من الحالات التى يكون الزوج فيها خاضعاً لزوجته .

وهناك دليل آخر على أهمية المرأة وهو نظرة المجتمع إلى ظاهرة الزنا إذ يبدو أن هذه الظاهرة غير مستحبة من قبل الزوج والزوجة كما أن الغيرة ظاهرة عامة بينهم .

والبغاء (اعارة الزوج لزوجته لرجل آخر أو العكس) أو المتاجرة بشرف الزوجة أمر مرفوض وهذا دليل على أهمية المرأة فى مجتمع الياغان ، ويحدث

الطلاق أحياناً لكنه غير ملاحظ بصورة عامة ومن أهم أسباب الانفصال بين الزوجين قسوة الرجل وشراسته أو إصابة المرأة بالبرود والجنس .

وتعدد الزوجات ليست ظاهرة عامة ، كذلك توجد بينهم عادة تزويج المرأة التي يحدث زوجها إلى أخو الزوج المنوفى *Levirate* فعندما تصير المرأة بلا زوج يجب أن يتزوجها أخو زوجها الذى توفى وهذا الموقف فى نظر الياغان هو الاختبار الرئيسى لهذا الأخ ، وإذا تزوجت المرأة برجل آخر يكون لأخو زوجها المنوفى الحق فى أولادها منه . ومحاباه الزوج لا تنعكس فى ما سبق فقط. لكن تعكسها ظاهرة الإقامة بعد الزواج فإذا تزوج الرجل فانه يصحب زوجته معه للإقامة فى المنطقة التى تعيش بها أسرته مما يؤدى إلى إرتباط الزوجة بأسرة زوجها تدريجياً أكثر من إرتباط الزوج بأسرة زوجته وهناك دليل آخر وهو أن عضوية الرجل أو إشترাকে فى المنطقة التى تعيش بها أسرته تورث حتى بعد وفاته كما يحدث فى معظم مجتمعات الجمع والقنص الأخرى

وعندما يصبح أطفال الرجل الذكور رجالاً لا يمكنهم الانتقال من المنطقة التى تعيش بها الأسرة أما الإناث فقط. فهن اللاتى يستطعن مغادرة المنطقة (إلى منطقة أسرة الأم) .

والإتجاه نحو مجموعة محلية من الأسر المتقاربة هو الإيعاز الوحيد بتنظيم أكبر من الأسرة لكن هذا النظام غير رسمى كلية فالإرتباط بين الأسر التى تؤلفه نادر الحدوث ولكنها مترامية فوق إقليم واسع وتلتقى فى فترات غير منتظمة .

وليس هناك رئيس أو أية ساطة أخرى تسود فوق الجماعة فما يجمعهم أساساً هو الشعور بالاتصال الذى يتضمن إفتراض أن الافراد يستطيعون طلب

المساعدة من بعضهم في حالة المراك مع الذير أو لإنهاءك الغير لحرمتهم أو الإنتقام من مجموعة أخرى .

والوظيفة الوحيدة لهذه المجموعة المحلية هي عقد الشعائر البدائية التي تتألف منها الإحتفالات التي نادرا ما يقومون بها .

ولا توجد حرب منظمة من أى نوع ، فالشجار بين الافراد والجماعات الصغيرة تنج عنه أضرار بسيطة نسبياً أما جرائم القتل فتستلزم الأخذ بالثأر والإنتقام من قبل أسرة القتيل .

ويبدو أن ظاهرة القتل كانت تسود بينهم في الماضي ، غير أن تقديم الإنسان كقربان غير معروف كذلك الإنتحار .

وقد كان يظن أن اليابغان من آكلى لحوم البشر حتى أخذ الادميرال فيتزورى أربعة من اليابغان إلى إنجلترا عام ١٨٢٩ حيث تأكد بصورة حتمية أنهم ليسوا من آكلى لحوم البشر .

وقد أنكرت أسرة بريدج التي عاشت بين اليابغان لسنوات عديدة صفة أكل لحوم البشر عن اليابغان وقد ثبت بعد ذلك أن اليابغان لم يعرفوا هذه العادة مطلقاً .

وقبل تبادل البضائع تتم عملية تبادل الهدايا ويجب أن يستجيب متلق الهدية برد هدية مساوية أو أعلى في قيمتها من الهدية التي تلقاها ويعتبر رفض الهدية إساءة إجتماعيه ربما تدل على بخيل رافض الهدية .

وتمتد عادة الكرم إلى كل من يحيط بالفرد من قومه ويعتبر هذا شيئاً طبيعياً فالقاعدة هي أن يمد كل إنسان يده للآخر كما في معظم المجتمعات

البدائية فالجود بين الاصدقاء والاقارب ضرورى كما هو متوقع ، وليس امن
النصرف السليم أن يعبر المرء عن شكره لما يتلقاه من هدايا تعبيراً شفهياً ربما
بسبب انه إذا فعل ذلك فانه قد يشير الى عدم قبوله للهدية أو انه لن يردّها
وتعتبر السرقة من الامور التي تستوجب أكبر قدر من النوبيخ وإذا سرق
أحد الغرباء شيئاً لا يوبخه اليأغان على إعتبار أنه ذو درجة أقل من درجاتهم
كبشر .

وقد وافق اليأغان على وجود عائلة يريدج بينهم بعد أن كابدت سلسلة من
المتاعب .

والمعلومات عن آداب المعاشرة والإنسيكيت المتبع نحو فئات خاصة من
الاقارب معلومات ناقصة ومع ذلك فان رقاب النسب بين افراد العشيرة القاب
ثنائية أو مردوجة وهى تعتمد على مدى القرابة الاب أو اللام فالحالات والاعمام
يمنحون القاباً خاصة مميزة عن تلك التي تمنح للابن أو الابنة وكل بنات العم أو
أبنائه يخاطبون بأخى أو أختى ، اما النماظ مناداة العم أو الخالة فيرفق معها لفظ
أب أو أم ، والزواج ممنوع بين هؤلاء الافراد .

وبسبب حياه اليأغان في أسر صغيرة متباعدة فان المميزات التي تفصل بين
الوالد من ناحية وبين الاعمام والحالات من ناحية أخرى متوقعة وسائده .

والمساواة بين ابناء العم والأخوة في الرضاعة بصرف النظر عن المكان
الذين يعيشون فيه انما ترجع الى سيطرة قاعدة امتناع الزواج بينهم ، فابناء العم
يتساوون مع الأخوة في الرضاعة من حيث السلوك الاجتماعى .

والرجل ملزم بمسئولية محددة تجاه صهره وأم زوجته إذ يساعدهما وقت
الحاجة ويعاملهما باحترام وكما في المجتمعات البدائية الأخرى فان هذه الصلة

النسبية تعتبر هامة جدا أن لم تكن حساسة إذ يجب ان يراعى زوج الابنة عددا من النحفظات الاجتماعية فمثلا لابد أن يستمر احترام والد الزوجة خلال حياته بأكملها كما يجب أن يكون اتصالا غير مباشر وعادة ما يكون عن طريق الزوجة ويدرك الياغان بوضوح الفرق بين العملية الجنسية وانجاب الاطفال فالزوجات لا يحاولن عادة تحديد النسل لأنهم يحبون الاطفال ويرغبون فيهما أما بالنسبة للفتيات غير المتزوجات اللاتي يصبحن حوامل فانهن يمارسن الإجهاض ويقتلن اطفالهن بعد ولادتهم .

واستقبال الوليد يتم بمساعدة عدد من الإناث اقرباء الام بينما يبقى الزوج خارج الكوخ وتحرق مشيمة الوليد ويحفف حبله السرى ويحفظ من أجل استخدامه فى أغراض السحر . وبعد الوضع مباشرة تنهض المرأة ومعها وليدها لتأخذ حماما فى البحر البارد وهذا مايجب ان يدهش الاطباء المحدثين لأنها لم يكن لها أدنى تأثير لا على الام أو على وليدها .

ولبعض الوقت يتناول كل من الاب والام طعاما طوطميا قبل الوضع وبعده خاصة إذا كان المولود ذو أولا طفل إذا يمتنع الاب عن أى عمل لأيام عديدة كما لو أنه كان يعانى من آلام الوضع وعادة ما يسمى الطفل باسم المسكان الذى ولد فيه ولا تشجب عملية اعطائه الاسم أية طغوس أو شعائر لكن الاسم يجب أن يصنع بصيغة سحرية ، وتعتبر عملية مناداة أى شخص باسمه الخاص أمرا سيئاً وحتى الاسماء الشخصية للأفراد الحاضرين لا تستخدم فى المخاطبة .

ومصطلحات القرابة عند المخاطبة وجها لوجه لا تستخدم مباشرة لكن بصورة غير مباشرة وعن طريق غير ملئو ونستخدم عبارات وصفية للإشارة إلى الشخص الغائب .

وإثناء الطفولة فإن كلا من الاطفال الذكور والإناث يمارسو الالعاب معا لكن ليست لهذه الالعاب صفة جماعية لأنه نادرا ما يتواجد عدد كبير من الاطفال في مكان واحد .

وبعد ان يصل الاطفال إلى سن السابعة أو نحو ذلك لا يسمح للإناث باللعب مع الذكور والعقاب البدني نادر الحدوث لكن كبار السن يتعضون ، يفتتا كبيرا في تربية الاطفال وارشادهم إلى أفضل طرق السلوك .

ويقوم العديد من الصيادين وجامعي الفوت احتفالاتهم الدينية الهامة في الوقت الذي يبلغ فيه مجموعة من اطفالهم سن الحلم .

وتعتبر هذه المناسبة فرصة كبيرة للقيام بالطقوس والشعائر وينظر اليه كنوع من حفلات التخرج من نظام تعليمي غير رسمي .

ويمكن توقيت بداية سن المراهقة لدى الفتيات مع حدوث أول طمث عندئذ تصوم الفتاة ثلاثة أيام بعد ان تظلي خديها باللون الاحمر .

ولمدة أيام عديدة تتلقى الفتاة نصائح أخلاقية من النساء الأكبر سنا ويميز انتهاء فترة الصوم والاحتفال الاستحمام الشعائري في البحر وبعده يعتبر اليوم عيداً لكل الموجودين .

ولا تتميز فترة بلوغ الذكور من المراهقة بآية شعائر من هذا النوع لكن المنبع ان يتجمع جميع البالغين حديثا من المجموعة المحلية معا في حفل كبير ، وهذا التجمع لا يحدث في فترات محددة سلفا فتوافر الطعام وعدد الشباب الموجود هي العوامل التي تحتم اقامه هذه المناسبه .

ويبنى الإيغان كوخا كبيرا ذو حجم ضخم للاحتفال بهذه المناسبه ، ويخصص

لكل شاب من البالغين كفيلا أو معلما ليزوده بالعديد من أساليب الحياة العملية والاخلاقية خلال أيام فترة الاحتفال (التي تمتد لعدة شهور) .

ويتعرض الشباب البالغ العديد من وسائل الحرمان والتعذيب الجسدى إذ يسمح لهم بالحد الأدنى من النوم والطعام ويجب أن يحلسوا فقط وهم متقاطعى الأرجل أو ما يشبه القرفصاء كما يحتم عليهم الاستحمام فى البحر كل ليلة ولا يشربون الماء إلا عن طريق عظمه أحد الطيور التي تستخدم كنبوب الإمتصاص .
وفى أول الإحتفال يرسم على صدور الشباب نوع من الوشم البدائى .

وابرز مراحل الاحتفال هى المجموعه التى ترقص وتغنى عادة فى آخر الليل وهذا بالطبع ربما يكون فاصلا ترفيهيا لكنه يخفى وراءه أمرا خطيرا فالأغاني ما هى الا وسيلة اتصال بالارواح الشريره وارواح الشياطين مثل روح يتايتا Yetaita التى يجب ابعادها بمثل هذه الاهازيج لنظلم بمنأى عن أكواخ لياغان .

وفى الاحتفال السابق يتم تقديم الشباب إلى المجتمع عندما يستقبلهم المشرف على الاحتفال (وهو ليس رئيس الاحتفال لكنه يشبه نظيره لدى الاروتتا فهو سيد الاحتفال) الذى من خلال مجموعته من الشعائر يجعلهم أعضاء كاملين فى المجتمع وبعد ذلك يقوم كل كفيل أو معلم بتقديم من تتلمذ على يديه من الشباب ومعه سله مزينه خصيصا لهذه المناسبه وعظمه للشرب وعصا مزركشه .

وهناك احتفال آخر يطلق عليه اسم كينا Kina وهو أحيانا ما يتلو الاحتفالات السابقة ويبدو أنه صورته ركبكه من احتفال الآونا المشهور بالكلوكيتين Klodeten الذى هو أساسا صياغة دراميه مسرحيه لاسطوره تعيد من جديد تاريخ الآونا الماضى التى كانت السباهه فيه للبراءه حيث تمت للبراءه

السيطره على الرجال عن طريق ارتدائهن اقنعه جعلتهن يتقمصن أرواحا شريره
بما أدى إلى خوف الرجال والنزواتهم إلى مكانه أقل من مكانه المرأة ثم اكتشف
الرجل خدعه المرأة وعادت له السيطرة عليها .

ويجب على الرجال الذين يقومون باحياء احتفال السكينا أن يكونوا على
اطلاع كامل بكافة تقاليد الياغان فهم يعتزلون سرا في كوخ الاحتفال ثم يلونون
اجسامهم ويرتدون الاقنعه التي تمثل الأرواح ثم يقلدون الأرواح فيظهرون فجأه
أمام النساء والأطفال ويغنون ويرقصون مهددين المرأة التي لا تطيع أوامرهم
بأشد أنواع العقاب .

والشعائر الاكثر أهميه والتي تلى احتفالات بدايه سن المراهقه في أهميتها هي
الاحتفالات الجنائزيه (احتفالات الدفن) والصورة العامة التي تعامل بها جثه
المتوفى هي احراقها واحراق كافة ممتلكاته الشخصية ، ويعبر اقرباؤه عن حزنهم
بصنع اجسادهم باللون الأسود ثم يصومون بعد ذلك ، ويقوم أقرب اقربائه
بشيق صدورهم للدلالة على حزنهم العميق .

ويعتقد البياغان في مجموعه من الإلهه والأرواح ، كما يخافون على وجه الخصوص
من أرواح الموتى الجدد ومن ثم فانهم يهجرون المنطقة التي يموت فيها انسان منهم
ولا تسود بينهم عباده الاسلاف الموتي أو الصلاة لهم بل انهم لا ينطقون اسم
الشخص المتوفى مطلقا ، ولكل انسان روح صديقه تحرسه وهي التي يمكن
استدعاؤها لمساعدته إذا احتاج ذلك ، ويبدو أن هناك اعتقاد في روح سامية
يطلق عليها باسم « أبى » . لكن لأنه لا يوجد نفوذ تبشيري بين الياغان فإنه لم
يستدل على حقيقة هذا الاعتقاد .

ولا يوجد بين الياغان رجال دين « قساوسة » أو عقيدة أو أى شكل من

أشكال الدين وأقرب الأشكال إلى رجل الدين هو « الشامان » وهو رجل طب من ذلك النمط الذى يسود بين الهنود الأمريكين ، ويمكن لأى رجل أن يصبح شامانا إذا رأى فى نومه أنه يدعى لهذه المهنة عن طريق روح صديقه تلقنه أغنيته الشامان ثم يذهب إلى أكبر شامان على اعتباره أنه صبي تحت التدريب ومن ثم يعرضه الشامان الكبير لسلسلة من الاختبارات الجسدية والألام المختلفة ثم يلقنه الشعائر السرية الخاصة بالمهنة .

ويعتقد الياغان أن باستطاعة الشامان التحكم فى مظاهر الطقس والتحكم بما سوف يحدث فى المستقبل من أحداث ، غير أن الوظيفة الأساسية له هى معالجة الناس من أمراضهم فإذا اشتكى انسان ما من ألم يتم تدليك المنطقة المصابة ودهانها بالمرامح لاستخلاص الأشياء الغريبة (الإلم) منها ويعزى هذا الإلم بل وحتى الموت - إلى مكائد شامان عدو أو شيطان ومن ثم فإنه على الشامان المعالج أن يقوم بتطبيق سحر مضاد .

والمفهوم العام لدى الياغان عن الموت هو نفسه الذى يسود بين كافة الهنود الأمريكيون فهم يعتقدون أن الموت يرجع إلى وجود شامان شيطان يسرق الروح من الشخص فيسبب له المرض والسام ومن ثم الموت إذا لم تسترد الروح بواسطة شامان آخر .

واعتقاد الياغان فى نشأة الكون والإساطير التى تسود بينهم تشبه ما هو موجود لدى غيرهم من الشعوب البدائية وأن كان ينقصه العمق والتعقد . وتسود بينهم بعض الإساطير المفسره انكيفية وجود بقع فوق سطح القمر وكيفية شروق الشمس كما توجد اساطير على شكل مواعظ دينيه ومحاضرات اخلاقية يعاقب فيها الذكر ويوصم بالخزى والامار وبعض الإساطير عبارته عن

تمجيد (لبطل شعبي) وتحكى إحدى الإسطير أن وضع القواعد الأخلاقية لمجتمع الياغان قد تم على يد أخوين قاما أيضا بوضع أسماء الأشياء وقواعد الفنون والحرف .

أما أسطوره ديبا كل Depacle فتحتوى عديدا من الروايات الخاصة بطوفان عظيم نتج عن سقوط الشمس (أو القمر) في مياه المحيط ، وعدد آخر من الإسطير يختص بنشاط الارواح المربعة آكلة لحوم البشر وبجنس العمال الخبيثاء . ولا يشكل استخدام المخدرات جزءا من اعتقاد الياغان الدينى أو من عقيدة البعث لديهم كما لا يوجد أى شكل من أشكال المشروبات الروحية أو حتى الدخان .

أما الموضوعات الجمالية كالموسيقى والرقص فهى أقل اتقانا ، فلا توجد لديهم أدوات موسيقية تقريبا فيما عدا طبول الإيقاع وحتى الطبله والنأى البدائيين لا يسود استخدامها .

أما الألعاب فهى غايه فى البساطه وأكثرها شيوعا هى ما يشبه المصارعه أما وسيلة التسلية الشائعه فاهى الأنوع بسيطه من السامره وحتى الفنون اللفظيه فانها لم تلق حظها من التطور فلا توجد لديهم أقوال مأثوره (امثال شعبيه) ولا شعر وحتى الكلمات التى تعد لتغنى فها هى الإلحادات احادية النغمه أو نغمه واحده مكرره .

ويجد الياغان وقتا طويلا للتحدث فيما بينهم ، وقد قدر توماس بريندج Thomas Bridges وهو أحد الباحثين الذى قام بدراسة هذا المجتمع انهم يعملون فعلا في الوقت الذى يخصصه الرجل المستحضر للعمل ، وقد ذكر أكثر من ملاحظ أن الياغان لم يعطوا أنفسهم أية فرصه للتفكير فى مستقبلهم أو حياتهم المقبله فهم يأكلون ما هو موجود بين ايديهم وإذا لم يجدوا طعاما فانهم

لا يتبرمون ، غير أن أهم ظاهره استرعت اهتمام الباحثين أن الياغان ينقصهم الميل إلى الاختراع أو الاستنباط .

وكل ملامح حضاره الياغان ملامح بسيطه ، لكن السؤال المحير هو أنه على الرغم من قسوة البيئة الا أن الياغان لم يصنعوا لانفسهم ملابس أفضل أو مساكن أكثر متانه مما أدى إلى اعتقاد الإركيولوجى صمويل روب بوجود نقص حيوى فى قدرتهم الذمنيه وعلى الرغم من ذلك فإن من يعرفون الياغان كأفراد لم يلاحظوا عليهم مظاهر الغباء والدليل على ذلك أن صغار الياغان الذين رحلوا إلى انجلترا مع الإدميرال فيتزورى عام ١٨٢٩ قد تأقلموا بسرعة مع الحضاره الانجليزيه وبنفس السرعة عادوا إلى حياتهم القديمه بعد عودتهم إلى بيئتهم الاصليه بما أدى إلى خيبة أمل الرجل الإنجليزي الذى كان يأمل فى نقل الحضاره الإنجليزيه إلى تيراد لفويجو عن طريق هذه الأبراعم الصغيره ومن الصعب تفسير كون الياغان راضين عن انفسهم فى نفس الوقت الذى هم فيه غير قادرين على الاختراع لكن الإنثروبولوجيون قد عرفوا أن هذا أمرا طبيعيا فهذه المقدره غير متوقعه فى العالم البدائى خاصة مع وجود التحدى الكبير الذى تفرضه البيئة القاسيه والذى ينتج عنه ذلك الاستلام الكبير من قبل الرجل البدائى بما لا ينتج عنه وجود أية طاقة خلاصه .

وقد حاول الرجل المتحضر التفكير فيما سوف يفعله إذا واجهته ضرورة الحياة فى اقليم الياغان لكن الناس الذين ينتمون إلى الحضاره الغريه يفكرون بعقليه مختلفه عنهم بمعنى أن أراؤهم تشكلها حضاره مختلفه تماما ومسئوليتهم نحو هذا النوع من المسائل مسئولية انسانية أساسا .

وهناك بعض الظواهر التى يستطيع الإنثروبولوجيون ملاحظتها للوصول إلى تفسير للحقائق الساقطة منها .

أولاً : أن الحضارة القديمة البدائية التى تميل دوماً إلى البساطة تتجه إلى مرحلة ثابتة من القصور الذاتى التى يسببها شدة اندماج مكوناتها والتأقلم مع بيئتها التى لا يمكن تغييره بدون ضغط خارجى ملحوظ والأفراد فى هذه الحضارة لا يستطيعون التخلص منها بسهولة غالباً فاليابانى الذى عاد من إنجلترا لم يتوافر لديه فرصة اختيار حقيقية لكنه عاد إلى حضارته الوطنية ، ولا توجد هناك قضية سوى أن الألمان الاجتماعى والإستقرار الروحى الذى يتضمن التأقلم الكلى للفرد مع حضارته الوطنية وهو أكثر ضرورة من راحته الجسدية عندما يجد الإنسان نفسه مرتدياً ملابس أكثر دفئاً .

ثانياً : أن معظم الحضارات البدائية توجد فى المناطق الأكثر هامشية وعزلة والبعيدة عن أى احتكاك بالمرأى كز الحضارية المتطورة بسبب المسافة الكبيرة والمواقع الجغرافية . وجميع اليابانى - كغيره من المجتمعات البدائية الأخرى التى توجد فى المناطق الهامشية الأخرى لا يعرف عديد من الأدوات التى يشيع استخدامها بين الهنود الأمريكىين وذلك ببساطة بسبب أنهم منعزلون جداً .

ثالثاً : أنهم كبقية العديد من الصيادين وجامعى الفوت الآخرين ليست لديهم الأدوات الإنتاجية التى يستطيعون بها استغلال وقتهم فليس هناك أكثر من جمع الأسماك والقواقع التى يمكن أكلها وهم يأكلونها يوماً بيوم اذ أنهم لا يمتلكون أدوات لحفظها فإذا لم يكن السمك موجوداً أمامهم فإنهم لا يتجهون لصيده .

ووسائل التخزين كالتجفيف والتعبئة التى تسود بين هنود شمال غرب أمريكيا الشمالية تجعل من الممكن استغلال الوقت للحصول على أكثر إنتاج ممكن ، أما السكان المستقرين فلديهم حضارة مقعده على الرغم من ارتكازها على تكنولوجيا

الجمع والصيد فقط لكن هذه الأساليب لم تنتشر لتصل إلى جنوب أمريكا الجنوبية .
وقد كان لدى الياغان فرصة كبيرة لاكتساب الخبرة التكنولوجية باحتكاكهم
مع الحضارة الأوروبية بعد وصولها اليهم ، غير أن الأمراض الأوروبية (الحصبة)
حمى التيفود (السعال الديكي) الجدري (قد أهلكت الجزء الأعظم من الياغان
بمجرد احتكاكهم بالإوروبيين . فقد تناقص عدد الياغان من حوالى ٣٠٠٠ نسمة
عام ١٨٨١ ليصل عنام ١٩٠١ إلى ١٣٠٠ نسمة فقط وفى عام ١٩٣٣ أصبح
عددهم ٤٠ نسمة فقط ومنذ هذا التاريخ تناقص عددهم ثم انقرضوا نهائيا .

وقد مرها جلان ببعض الجزر الفويجية عندما اكتشف المضيق الذى يحمل
اسمه الآن ، ومعنى تيرا دلفويجو ارض النار وذلك لأن ما جلان قد لاحظوه أيضا
دائما أثناء الليل ينبعث من معسكرات الياغان وغيرهم من قاطنى هذه المنطقة .
والإلتفاف بالسفن حول رأس هورن عملية صعبة جدا أو خطيره فقد تحطم
عدد من السفن بين هذه الجزر وقام الوطنيون بنهبها ، لكن السمعة السيئة التى
طبعت الياغان فقد كانت نتيجة لجهل الياغان وخوفهم من الإوروبيين من ناحية
وخوف الإوروبيون منهم من ناحية أخرى ، ففى أيام الإبحار الأولى كان هناك
خوف مبالغ فيه من هؤلاء البدائيين .

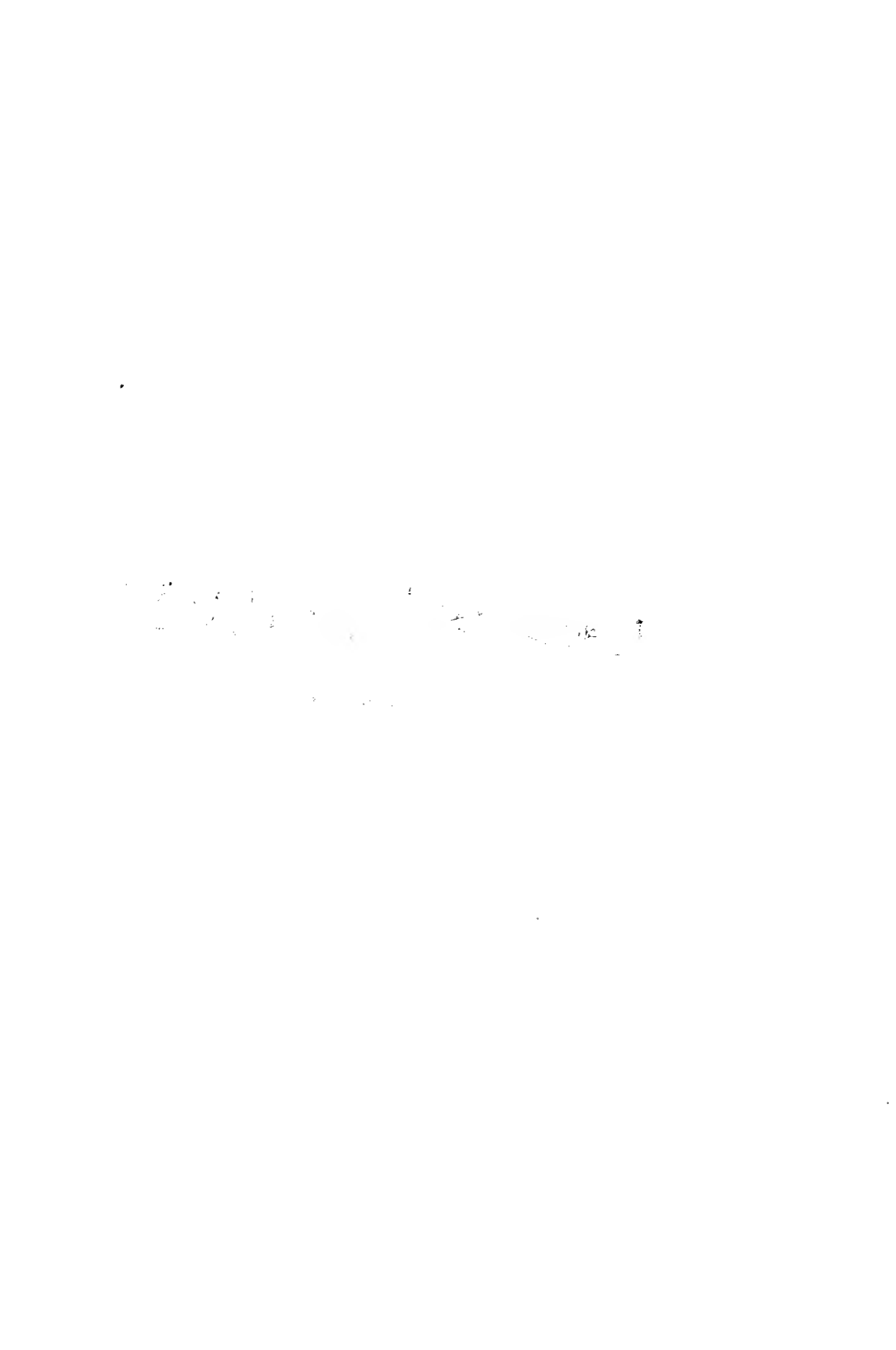
وقد بدأت اتصالات مستمره بين الاوروبيين والياغان فى اوائل القرن الماضى
مع بدا الحملات الكشفية والبعثات المساحية التى جابت أمريكا الجنوبية ، واكثر الحملات
شهره حملة فتزورى Fitzory ما بين عامى ١٨٢٦ ، ١٨٣٢ التى أخذت معها عند
عودتها أربعة من الياغان قضوا بانجلترا ثلاث سنوات وقد كان اصغر الاربعة الياغان
فتاه سنها تسع سنوات أطلق الإنجليز عليها اسم السلة الفويجية ، *Fuegia Basket* ،
كذلك ولد يبلغ من العمر أربعة عشر عاما وقد كانا مثل تليدين وديعين ، وقد جذبت الفتاه

اهتمام ملك ومملكة انجلترا عندما أخذوا يستمعوا اليها ، أما رحلة عوده الصغار إلى وطنهم فقد تمت فوق فوق ظهر السفينه ييجل مع سير شالز دارون وقد وصلت السفينة إلى تيرا دلفويجيو عام ١٨٣٢ وبقيت لمدة أسابيع جمع خلالها دارون ملاحظات هامة عن الياغان .

والحدث الذى كان مفتاح معرفتنا بالياغان هو وصول توماس بدينج وأسرته عام ١٨٧١ لإنشاء محطة ارشاد فى يوشايا Ushuaia على قناه ييجل على الساحل الجنوبى لجزيرة تيرا دلفويجيو ، فقد اتفق بروج معظم حياته للاعتناء بالياغان والكتابة عنهم وقاموسه عن اليامانا Yamana هو واحد من الدراسات الهامة التى اهتمت باللغات البدائية فمجهود هذا المبشر من الجهود الكبيرة على الرغم من عدم استطاعته الحيلولة دون اتصال الياغان بالعدد المتزايد من الاوريين الذين تدفقوا على المنطقة ومن ثم لم يستطيعوا مقاومة الامراض الاوربية التى أدت إلى انقراضهم نهائيا .

الاندامان الجزريون

The Andaman islanders



سكان جزر الاندامان

يقطن سكان جزر الاندامان بيئة مختلفة تماماً عن بيئة قاطنى الصحراء الاسترالية من ناحية وبيئة اليانغان الساحلية من ناحية أخرى ، كما انهم ينتمون إلى مجموعة جنسية مختلفة الا وهى النجريتو أو الزنوج الأقزام .

وهم يمثلون بوضوح بقايا سلالة قديمة كانت تقطن الغابات على مساحة أكبر من المساحة التى يتشرون فوقها حالياً ، وبصورة عامة فإن لهم اتصالاً سبباً لاليا بنجريتو الأجزاء النائية من الفيلبين ، وبنجريتو الأجزاء المرتفعة من نيوجينيا والمناطق الداخلية من شبه جزيرة الملايو وأقاليم الكونجو فى أفريقيا .

ومع ذلك فإن أى اتصال تم بين الاندامان وبين هذه المجموعات إنما تم فى الماضى البعيد جداً لأن كل هذه الجماعات حالياً بما فيها الاندامان جماعات منفصلة تماماً ، وربما يعبر الاندامان عن الشكل الأفقى والأكثر أصالة من حضارة نجريتو الغابات ، لأن جماعات النجريتو الأخرى فى المناطق التى ذكرت تعيش بصورة نموذجية فى نوع من الاتصال أو حتى التكامل الاقتصادى مع جيران أكثر قوة وقد استمار معظم ملامح حضارية عديدة وصلت إلى حد استخدام لغة هؤلاء الجيران كلغة للتفاهم فيما بينهم .

أما الاندامان فهم على العكس من ذلك ، فإنهم منمزلين تماماً كما تشكل لغتهم فرعاً لغوياً منفصلاً ليس له أى اتصال واضح مع من العائلات اللغوية المعروفة .

وفى الحقيقة فإن الاندامان وقت أن اكتشفهم الأوروبيون لم يكن لديهم علم بوجود بشر غيرهم كما اعتقدوا بأن الغرباء ذوى البشرة الفاتحة اللون والشعر

الاشقر والقامة الطويلة ما هم الا ارواح .

وتقع جزر الاندامان على طول الجزء الشرقى من خليج البنغال مترامية على خط طول جزر نيكوبار ليشكلا معا إحدى ولايات الهند ، وتبلغ المساحة الاجمالية لجزر الاندامان حوالى ٢٥٠٠ ميلا مربعا وتعتبر جزيرة الاندامان الكبرى أكبر جزر المجموعة إذ يبلغ طولها حوالى ١٦٠ ميلا أما عرضها فلا يتعدى ٢٠ ميلا فى أى مكان منها ، أما الجزيرة الكبيرة الوحيدة الأخرى فى جزيرة الاندامان الصغرى التى يبلغ طولها حوالى ٢٦ ميلا وعرضها ١٦ ميلا ، أما بقية المجموعة فما هى الا جزيرات صغيرة متباعدة .

وقد كان عدد الاندامان يقدر بنحو ٥٥٠٠ نسمة وذلك قبل أن يتناقص هذا العدد بسبب الأمراض التى جلبها الأوربيون معهم .

ويسود المناخ المدارى جزر الاندامان ومن يميزاته انه مناخ دافئ رطب به إختلافات طفيفة فى درجة الحرارة والجزء الأعظم من التساقط السنوى (١٤٠ بوصة) يسقط خلال الفصل المسمى من شهر مايو حتى منتصف نوفمبر أما بقية شهور السنة فهى جافة تماما أما المجارى المائية التى تفتش فوق الجزر الكبرى فهى مجار ضئيلة قصيرة تنصرف مياهها إلى مستنقعات داخلية كبيرة .

وكانت معرفتنا بالاندامان أساسا نتيجة دراسة رجلين هما E.H man الذى كان موظفا حكوميا بريطانيا فى هذه الجزر فيما بين ١٨٦٩ ، ١٨٨٠ وعلى الرغم من أن مان لم يعد ليكون أنثروبولوجيا إلا أنه كان ملاحظا ماهرا وجامعا شديدا للتدقيق للمادة العلمية تأما الرجل الثانى فهو البرفيسور A.R.Radcliffe براون الذى كان دارسا للأنثروبولوجيا فى جامعة كمبردج والذى تناول الاندامان بالدراسة فيما بين عامى ١٩٠٦ ، ١٩٠٨ ويعتبر عمل راد كليف متما ومكتملا

لعمل مان غير أنه توجد إختلافات طفيفة فى تفسيرهما انالبية مظاهره حضارة الاندامان ما عدا فيما يختص بصلة القرابة ونظام المصاهرة والمصطلحات الفنية وبحلول عام ١٩٠٦ كانت الامراض الاوربية قد انتصت عدد الوطنيين إلى حوالى ٢٧ / مما كانوا عليه فى الفترة التى كان مان موجودا بينهم فيها .

وقد أثر هذا التناقض بوضوح على التنظيم المحلى للقرية وعلى قاموس القرابة وقد سلم راد كليف براون بصعوبة تفسير هذه المظاهر ولهذا السبب فإن الكتابة الحالية تستخدم المادة العلمية لتى وضعها مان على الرغم من وجود إختلافات بسيطة بينها وبين المادة العلمية التى وضعها راد كليف براون ويجب أن يفهم أن المعلومات المذكورة تشير إلى حضارة الاندامان إبتداء من عام ١٩٠٨ وما قبلها .

ولا يمارس الاندامان الزراعة كما أنهم لا يمتلكون حيوانات مستأنسة فحتى الكلاب قد أحضرت إلى الجزر عام ١٨٥٨ وتوجد حيوانات الصيد والأسماك والنباتات بوفرة بالمقارنة بما هو موجود لدى قبائل الأروناتا الاسترالية ويعتبر الخنزير البرى من أكبر مصادر حيوانات الصيد من الغابة وهو أول علف لمن يقوم بعملية الصيد على الرغم من صيدهم لكميات كبيرة من السحالى ذات الحجم الكبير بل والفئران والأفاعى إذا وجدوها مصادفة فى طريقهم .

وعلى الرغم من وجود أنواع عديدة من الطيور الا أن الصيادين لا يمتلكون شراكا ولا شبكا ونادراً ما يحاولون قذف الطيور بسهامهم وذلك بسبب كثافة الادغال .

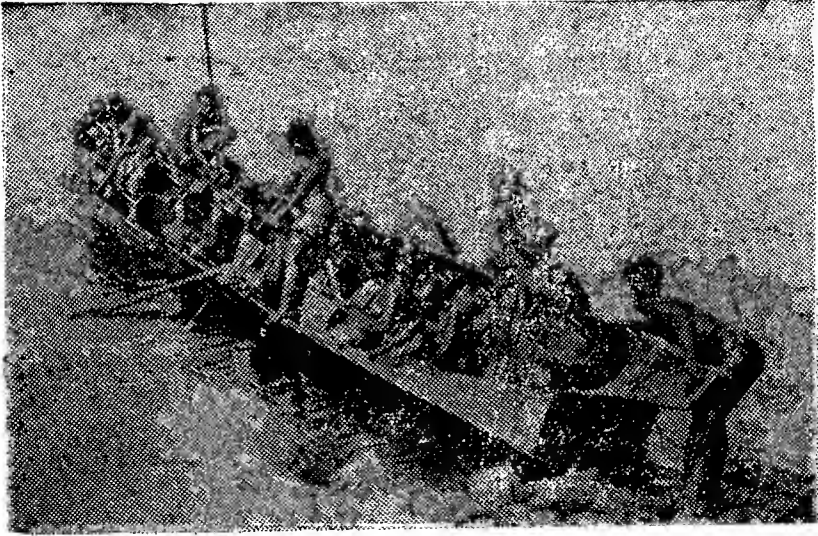
ويمش معظم الاندامان على الساحل أو بالقرب من المجارى المائية الصغيرة وتعتبر الاحياء البحرية الوفيرة مصدراً رئيسياً للطعام بالنسبة لهم ، ومن بين

الحيوانات البحرية التى يتخذونها طاماما الاطوم (حيوان بحرى مدينى) وأنواعاً عديدة من السلاحف والاسماك والسرطانات وجراد البحر والرخويات .
ويجب أن يأخذ الصيادون حذرهم أو أى عابر طريق من النحل البرى ومن الذئب والاطفال الذين يجوبون المنطقة المحيطة بمعسكرهم لجمع بعض البذور والجذور الصالحة للأكل والفواكه أيضاً .

وتستخدم الشباك والرماح القصيرة أو الحراب فى صيد الاسماك ولم يعرف الشخص (السنارة) إلا فى وقت قريب ، وكذلك تستخدم الافواس والسهم فى صيد الاسماك الكبيرة أما فى صيد الحيوانات البرية فيعتمد الاندaman كلية على القوس والسهم ، فلا تستخدم الشراك أو الرماح الطويلة ولا حتى بندقية النفع كما أنهم لا يعرفون السهم المسمومة .

أما الوسيلة الوحيدة التى تستخدمها النسوة أثناء الجمع فهى العصا المعقوفة التى تستخدم فى اقتلاع الجذور والمادة الخام الاساسية فى صناعة كافة الادوات هى الخشب والصخور والاصداف لكن الاندaman قد اكتسبوا بسرعة فكرة صنع رؤوس السهام والسكاكين من الحديد الذى أصبح موجوداً لديهم بوفرة نتيجة عمالية تحطم السفن على شواطئهم الوعرة ، غير أنهم لم يتوصلوا إلى معرفة أن تسخين الحديد يجعله ليناً سهل التشكيل لذلك كان عليهم أن يطرده وفيما عدا هذا الاستخدام الحديث والمؤقت للحديد فإن السكاكين والمحارز والمكاشط ورؤوس السهام تصنع كلها من الاصداف .

أما قواربهم فهى من النوع المحفور شكل (٢) الذى يتم صنعه بتفريغ حوز شجرة ويستخدمون قاربهم بمساعدة مسند خارجى عائم ليحفظ القارب من الانقلاب أثناء الابحار ومن ثم فليست هناك تسهيلات ميكانيكية تساعد فى عملية النقل والانتقال .



شكل (٢) مجموعة من الاندوامان في قاربهم المحفور

ومع ذلك فانه بسبب السخاء النسبي للبيئة فان الاندوامان يحمون حياه اقل بداهه من الاستراليين الاصليين ، فأكوأخهم من نوع أ كثر استقرارا كما انهم يمتلكون أنواع متعددة من الأواني المنزلية فأواني الطهي الطينية التي أحيانا ما يشتوها باطار مصنوع من الاملود ليسهل حملها تمطر واحده من الأدوات الخاصة بالاندوامان وهو الذي لاتفعله أكثر المجتمعات التي تعيش على الجمع والقنص بسبب ثقل هذه الأواني وقابليتها للكسر .

أما الدلاء الخشبية التي تستخدم في تخزين المياه فتصنع من كتله خشبيه واحده محفوره جيدا كذلك تستخدم قطاعات من البامبو طولها حوالي ٤ أو ٥ اقدام لتخزين المياه أيضا ، ويستخدم الاندوامان اصداق بعض الحيوانات البحرية كأكواب للشرب أما الاصداق المريضة فيستخدمونها كأطباق وتقوم النساء بصنع السلال من الروتان المنسوج لتستخدم في حمل الطعام والأدوات الخفيفة.

ويأتى الاندامان فى طليمة الجماعات البدائية من حيث الراحة أثناء النوم وذلك لأن لديهم حصر يستخدمونها للنوم وأحيانا يستخدمون وسائل خشبية وما يدعو إلى العجب أن الاندامان متأخرين فى ناحية هامة وهى انهم لا يعرفون كيفية اشعال النار ولذلك فإن عليهم أن يبدلوا جهدا كبيرا للأبقاء على نيرانهم مشتعلة ، وحتى الأساطير العديدة التى تتناول أصل النار لا تضع وصفا مقبولا للطريقة التى اشعلت بها النار أول مره اذ يعزى ذلك إلى أن مخلوقات أسطورية اشعلت النار عن طريق النفخ فى جمرات متفحمة .

وقرية الاندامان عبارة عن حلقة دائرية من الاكواخ المنظمة مسقوفة بالحصير مفتوحة من الجوانب وفى وسط هذه الاكواخ توجد صالة للرقص وفى بعض الأحيان تتكون القرية من كوخ واحد كبير ذو شكل دائرى يبلغ قطره ستون قدما وتخصص فيه اماكن للنار من أجل طهى الطعام وحول حلقة الرقص فى منتصف هذا الكوخ توجد اماكن نوم الاسر المختلفة وفى جميع الأحوال تبنى الاكواخ المتينة الصنع من أجل الاستقرار الدائم .

ويستخدم موضع القرية باستمرار فى الشهور المطيرة من العام أما خلال الفصل الجاف فعاده ما يتحرك المجتمع مرات عديدة نحو المناطق ذات المواقع المثالى للصيد أو التى توجد بها نباتات لكن المجتمع سرعان ما يعود إلى المعسكر الاصلى الدائم .

وتتكون المعسكرات المؤقتة من أكواخ فردية على شكل دائرة غير أنها تبنى بلا أحكام أو اهتمام .

ويخصص كوخ لسكنى غير المتزوجين من الشباب حيث توجد لى جواره

سلسلة من المواقف على جانب أرض الرقص التى توجد فى مركز القرية وذلك ليستخدعها هؤلاء الشباب فى تحضير الطعام للقرية ككل .

وأحيانا ما تهاجر العشيرة أو المجموعة المحلية - بلغة الانثروبولوجين - سالكة طرقا تقليدية متخذة القرية الأصلية كنقطة مركزية دائمة، والأرض التى يتجول فوقها الاندaman تعتبر اقليما خاصا بهم ومن ثم فإن ما بها من مصادر طبيعية يعتبر ملكا خاصا بالقرية عامة وبالمجموعة ككل ولكل عضو حق فيه ويجب عليهم الدفاع عنها ضد أى معتد غريب .

أما الاستثناء الوحيد الذى يسمح للنمرد فيه بالملكية الخاصة فهو مطالبه الفرد بأن تكون له ملكية إحدى الأشجار فقد يعد رجل ما شجرة تصلح فى نظره لتحويلها إلى قارب أو تصلح ثمارها كطعام عندئذ فانها تعتبر ملكا خاصا به وهذا المفهوم عن الملكية الفردية الخاصة للأشجار يسود بصرامه فى العالم البدائى بنفس الدرجة التى يسود بها مفهوم حقوق المجتمع فى بقية الأرض .

كذلك يعتبر ما تجمععه المرأة من محاصيل ملكية فردية ، لكن حيوانات الصيد ذات الحجم الكبير أو المحاصيل الوفيرة بدرجة غير عادية من الخضروات فلا بد أن يقتسمها المجتمع معها أما كافة الأدوات البسيطة كالتقارب والحلى فتعتبر ملكية خاصة بها .

وتسود بين الاندaman - مثل غيرهم من أصحاب الحضارات البدائية - عادات تدل على الكرم مثل المنح بسخاء والافتراض المباح للممتلكات لدرجة سيادة فكرة المساواة فيما يختص بالثروة ودائما ما يتبادل الاندaman هداياهم حتى فى أبسط المناسبات ويعتبر عدم اجابة من يطلب أى شىء انتهاكا صارخا لآداب

المعاشرة ودائما ما يتوقع رد الهدية بهدية مساوية لها أو أكبر قيمة منها، وعادة ما تصاحب اللقائات التي تتم بين أفراد القرى المختلفة تبادل نوعيات كبيرة من الهدايا وتتضمن فكرة المساواة في القرية مفهوما اجتماعيا واقتصاديا في نفس الوقت .

ويعامل الرجال بصورة مختلفة عن معاملة النساء كما أن الأكبر سنا هو الأكثر احتراماً ولا توجد أسره تستأثر بوضع اقتصادي أو اجتماعي مميز عن غيرها من الأسر ويمكن القول بوضوح أن القرارات التي تتعلق بالمجتمع إنما هي من صنع المجتمع ككل .

ولما كان كبار السن لا يتمتعون بنفوذ أكبر من نفوذ غيرهم فإنه لا يوجد بين الاندمايان سلطه عليا أو رئيس ، فليس هناك دستور حقيق للقوانين أو للمعاقبة على الجرائم ، فالفعل الذي يأذى الفرد كالإذاء البدني والسرقة والزنا (الذي يعتبر نوعا من السرقة) فينظر اليه كموضوع يتطلب توقيع الجزاء على من ارتكبه أما الأفعال التي تعتبر أفعالا غير اجتماعية كالسكران وعدم احترام الأكبر سنا أو الشاكر فلا تعتبر جرائم ، فالشخص الذي لا يسلك سلوكا فاضلا يعاني من نقص نسبي في التقدير . ولا توجد حكومة أو قانون ينظم العلاقات الخاصة بالمجموعة المحلية فيما بينها وبين غيرها من المجموعات المحلية الأخرى فكل جماعة تنظم شؤنها الداخلية بصورة مستقلة وتتلخص علاقاتها في الزيارات التي يقوم بها الأفراد في مناسبات واجتماعات عرضية من أجل الرقص أو تناول الطعام وربما تعتبر مجموعته المحلية إذا ما تكونت من عدة مجموعات أصغر ، كما تعتبر وحده واحده بالمقارنة بغيرها ويكون السبب الاساسي في ذلك هو ارتباطها فيما بينها بلهجة عامة أو اسم يحدد هويتها ولكن هذه الرابطة رابطة ضعيفة .

ولا تتعارض الجماعات فيما بينها من حيث تنظيم سلوكها الفردى كما أنه لا يوجد ما يمكن أن يطلق عليه حرية منظمة حقيقية بين الجماعات فاذا وقع ظلم أو اعتداء على أى انسان فلا بد من أجراء مضاد يتخذ ضد المعتدى لكن لا ينتج عنه عداة أسرى وليس هناك دليل ولو بسيط على وجود عداة على مستوى القرية وأسس تنظيم العلاقة بين المجموعة المحلية هى القرابة والقرابة فقط وكما فى مجتمعات الصيد والجمع الأخرى يعتبر استخدام الاندماان لمجموعة كاملة من مصطلحات القرابة عند مخاطبة اقربائهم أمرا غير عادى فالاندماان يستخدمون الأسماء الشخصية على نطاق واسع على الرغم من اضافتهم القاب تدل على الاحترام .

وهذه الألقاب الخاصة بالاحترام لا تتضمن أية قرابه أوصله محدد بين الشخصين المتحدثين ويستخدم الصغار فى مخاطبة من هم أكبر منهم سنا الفاظا تتطابق تقريبا مع لفظى « سيد » و « سيدة » المستخدمة فى مجتمعاتنا وهاتان الكلمتان تعنيان أيضا « أب » و « أم » ولكن فى حالة الأب والأم السالفتين فان اللفظين يشيران فقط إلى وضع إجتماعى عام وليس إلى أبوه أو أمومة حقيقية أما الذين تجمع رابطة الزواج فيما بينهم فيستخدمون لفظا يدل على قدر أكبر من الاحترام وهو مام Mam ويستخدم فى مخاطبة الأكبر سنا .

وهناك ظاهرة أكثر وضوحا بين الاندماان عن غيرهم من البدائين وهى أن اصطلاحات القرابة التى نعتبرها دليلا على قرابة فعلية ماهى فى حقيقة إلا الفاظ تدل على احترام فقط وهى تشبه الفاظ القرابة إلى حد كبير وهكذا فان القاب الاحترام ترتكز على تشابه مع الاوضاع الإجتماعية التى تسود بين الأسرة وهذه المصطلحات فى صورتها الأبسط تمتد لتشمل كل الاشخاص الذى يرتبط بهم المرء

سواء أكانوا أقربائه أم من غير أقربائه وهناك فروق طفيفة بين أطفال المعسكر على الرغم من أنهم يعاملون معاملة متساوية فليس من الضروري أن تكون المرأة التي ترضع طفلا أو ترعاه أو حتى تدله هي أمه الحقيقية ولكن باستطاعة أية امرأة في القرية مداعبة ورعاية أى طفل فيها .

ولا يفطم الطفل حتى سن الثالثة أو الرابعة وإذا حدث الفطام يصبح الطفل ابنا للقرية كسكل وخلال فترة الرضاعة يكون الطفل بين والديه أما بعد ذلك فكما يقول هرمان « من النادر وجود طفل فوق السادسة أو السابعة من عمره مقيا مع والديه الحقيقيين ، وهذا يرجع إلى أنه يعتبر من مكملات الصداقة بين الأمر وعلاقتها بالنسبة للرجل المتزوج أن يسأل ضيفه بعد قيامه بزيارته أن يأذن له بإصطحاب أحد أطفاله ليتبناه الضيف وغالبا ما يستجاب لهذا الطلب ومن لحظة السماح يعتبر منزل الضيف هو منزل ابن صديقه أو ابنته ومن ناحية أخرى يقوم والد الطفل بتبني أحد أطفال أسرة صديقه ومع ذلك فانهم لا يقومون بزيارات متصلة لأطفالهم الحقيقيين ولكن بين الحين والآخر يطلبونه للبقاء لديهم لأيام معدودة وللرجل مطلق الحرية في تبني أى عدد من الأطفال لكن يجب عليه معاملتهم بالحسنى كما لو كانوا ابنائه الحقيقيين ومن ناحية أخرى عليهم أن يردوا له جميله بالطاعة والحب الذى يبدوه لابائهم الفعلين .

وأحيانا ما يطلب أحد أصدقاء الرجل الذى يتبنى أطفا لا غيرأبنائه أن يطلب منه تبني نفس الطفل الذى يتبناه على اعتبار أنه والده — وعندئذ يستحيب الرجل لذلك دون الرجوع إلى أبويه الحقيقيين والذين نادرا ما يعلمون بالتغير الذى حدث وعندئذ يقوم الأب المتبنى الأول بأبلاغ الوالدين الحقيقيين حتى يتمكنوا من زيارة ابنائهم فى موقعهم الجديد .

وبعد سن البلوغ يترك الفتى كوخ والديه أو والديه بالتبني لبدأ حياته في كوخ غير المتزوجين من الشباب حيث يبقى بينهم إلى أن يتزوج ولا يحدث ذلك بالنسبة للفتيات .

ويمكن رؤية الاطفال وقد تركوا معا (أحيانا مع غيرهم من أطفال قرى أخرى) ليلعبوا في مجموعات ذات سن متقارب وعندما يكبر جيل الاطفال هذا ليصير أباء أو أمهات يكون رفاقهم في اللعب في الصغر بمثابة أخوة وأخوات مما يقوى العلاقات الإجتماعية ويعكس نظام مصطلحات القرابة أو النسب هذا الوضع تماما كما يعكس نظام مصطلحات القرابة في المجتمعات الأخرى وضعا مختلفا عن حالة الاندامان .

والاندامان على ادراك تام بالفروق الدقيقة بين درجات القرابة وبالفاظ المستخدمة عند المخاطبة وتعكس مصطلحاتهم سيولة نظامهم الإجتماعى المحلى . ويميز أفراد الأسرة بين الأقارب التى ترتبط بهم بصلة النسب البعيد وبين من ترتبط بهم بصلة الزواج وعلى المرء أن يكون أكثر احتراما فى معاملته للذين ارتبط بهم بصلة الزواج من معاملته لأسرته كما أن علاقته بوالد زوجته وأما يجب أن تكون علاقة بعيدة عن التعقيد فلا يخاطبها بنفس القاب الاحترام التى يخاطب بها من هم فى سنها بل يستخدم المصطلحات المستخدمة فى مخاطبة الجيل السابق لهم وكما كان السن أكبر كلما كان الاحترام أكبر . وهكذا يعامل والد زوجته ووالدتها كما لو كان أكبر من سنهما الحقيقى .

وعلاقة الاحترام هذه قد تكون غريبة فى مجتمعاتنا الحديثة غير أنها عادية تماما فى المجتمعات البدائية وتستخدم أساليب إتيكيت خاص فى معاملة أفراد معينين فليس من المفروض أن تكون لرجل متزوج علاقة مباشرة بزوجة رجل

يصغره سنا وإذا كان لابد من حدوث اتصال بينها فلا بد أن يتم عن طريق شخص ثالث ، أما إذا لمسها فإنه يعتبر قد انتهك آداب المعاشرة انتهاكا خطيرا .

ويفسر الاندامان ذلك بأن الرجال لديهم من الخجل والحياء ما لا يسمح لهم بفعل ذلك أما بالنسبة لزوجته من يكبره سنا فإنه يكون مألوفاً لديها أن يعاملها كأخت له . وهناك إتيكيت خاص يسود بين الأسر الصغيرة (المكونة من زوج وزوجه فقط) فهم يتبادلان الهدايا ويسود الخجل علاقتهما الأسرية .

ويسود العلاقة بين أى رجائين احترام متبادل فاذا أشتركا في وليمة سلاحف أو تناول لحم الخنزير فإنهما يتبادلان الهدايا من كافة الأنواع كذلك تفعل الأسر المرتبطة بعلاقة مصاهرة

ومن الأمور العادية في المجتمعات البدائية أن تكون المصاهرة الأسرية الناتجة عن الزواج ذات أهمية كبيرة وذلك لأن الزواج هو الوسيلة الرئيسية التي تنظم التعاون بين الأقارب ومع ذلك فإن ظاهرة الزواج بين سكان جزر الاندامان - مثلاً في ذلك مثل الملامح الأخرى للنظام الإجتماعى تبدو وكأنها ظاهرة غير محددة .

فالزواج محرم بين الأقرباء المعاشرين لكن هذا المبدأ غير مطبق باحكام ومن الواضح أن الرجل لا يستطيع الزواج بأخته أو أخته فى الرضاعة ولا بنجلاته أو بنات أخيه أو بنات أخته أما الدليل على استطاعة الرجل الزواج ببنت عمه أو بنت خاله فغير واضح تماماً ، ومع ذلك فإنه من الأفضل للرجل عدم الزواج بأى من أقربائه من الدرجة الأولى وإذا تبني رجل ما طفلاً كبير السن فإنه يعتبر من أقربائه الحقيقيين ومن ثم لا يمكن له الزواج من الأسرة التى تربى بين ابنائها

أما الطفل الذى يتبناه الرجل وهو فى سن صغير فيحق له عندما يكبر أن يتزوج إحدى بنات الأسر التى تربي فيها .

وأكبر نسبة من الزواج تتم بين أفراد من مجموعات محلية مختلفة إذ أن الاتجاه نحو الزواج من خارج المجموعة السكن هذا الاتجاه لا يشكل قاعدة عامة كما أن تطبيقها يتم بغير نظام بسبب تبني أطفال القرى الأخرى .

ويكون الزواج مستقلا بمعنى أن الزوجين بعد اتمام الزواج يستقلا بأسرتها بعيدا عن أسرتهما وعلى اعتبار أنه ارتباط- ومصاهرة فإن الرجال والنساء الاكبر سنا هم الذين يقومون بتنظيم عملية الزواج وبامكانهم أن بخطبوا لاطفالهم الصغار .

وما يدل على اعتبار الاندما ان عملية الزواج أكثر من ارتباط أسرى وأكثر من اتصال بين فردين هى الظاهر التى يطلق عليها الاتروبولوجيون **Liverate** وهى تزويج الاخ المتوفى بالاخ الاصغر وما يعتبر انما هذه الظاهرة ممارسة الزواج باختين أو أكثر **Sororate** لأنه من الممهود ان يتزوج الارمل باصغر أخوات زوجته المتوفا وهذه العادة توفر أمانا إجتماعيا لسكن من الارمل والارملة كما تحافظ على شخصية وطبيعة المصاهرة والترابط بين كل اسرتين .

وكما هو الحال فى العديد من المجتمعات البدائية الأخرى فإن الرجل يستطيع الزواج من فتاة أصغر منه سنا ومن ثم فكثيرا ما تبقى الزوجة على قيد الحياة فى حين يموت زوجها ومن ثم فإن ظاهرة **Liverate** أكثر وضوحا من ظاهرة **Sororate** ١١

والزواج بين الاندما ان زواج أحسادى بالتأكيد أى عدم تعدد الأزواج أو الزوجات والزنا مرفوض من الرجل ومن المرأة وإذا حدث فإنه يستوحب أشد

العقاب ولا يعتبر الزواج تاماً وكاملاً بانتهاء احتفالات العرس لكن السدى يتم الزواج هو ولادة أول طفل على الرغم من ممارسة الفتيان والفتيات للعمليات الجنسية بحرية .

وقبل وضع أول مولود ولمدة شهر بعد ذلك يتبع كل من الزوج والزوجة نظاماً غذائياً معيناً به كثير من المحرمات « التابو Tahoo » .

وقبل نزول الوليد من بطن أمه يمنح اسمه الذى سوف يطلق عليه بعد نزوله ، وخلال مدة عدم تناول الأطعمة المحرمة يجب على الوالدين عدم مخاطبة بعضها باسم الوليد أو أن يقدم أى منها الآخر إلى الآخرين باسم المولود .

ومثال ذلك أننا نسمى أحد الأطفال وهو فى بطن أمه « جون » ومنذ لحظة تسميته ولمدة بعض أسابيع بعد الولادة يخاطب والده بأبو جون ووالدته بأم جون .

ويكون المرء ماهراً مهارة سحرية إذا لم ينسى وينادى الأب أو الأم باسمه الحقيقى أو اسمها الحقيقى وإلا يخرج هذا الاسم من بين شفثيه وهذا الحرص إنما يرجع إلى خوفهم على الطفل وهذه الظاهرة التى تسمى Tekronomo تسود بين العديد من القبائل البدائية .

وعند الوضع تعتنى أكبر أم فى القرية بالأم التى فى حالة الوضع التى تجلس فى كوخها على سجادة من الأوراق حديثة القطف متكأة على كرسي خشبي ذو أكواع مثبتة تستند عليها ذراعها وتقوم إحدى النساء المساعدة للولادة بمساعدة الأم على الوضع بالضغط الشديد على الجزء العلوى من بطن الأم .

وبعد الولادة يقطع الحبل السرى ويحرق « الخلاص » فى الدغل القريب ثم

يعطى الطفل بعد ذلك حماماً عقب نزع ما عليه من شعر بإحدى الصدفات .

ويعتقد الانداما أن إذا مات طفل في بداية حياته فإن الطفل الذى يليه سوف يكون تجسيداً له ومن ثم يعطى نفس الإسم وهذا الاعتقاد فى التناسخ يكون فقط فى حالة الأطفال الموتى كما يعتقد الانداما أن أرواح الأطفال الذين لم يولدوا بعد تسكن إحدى الأشجار فإذا مات طفل قبل فصامه تعود روحه مرة أخرى إلى الشجرة التى أتت منها ومن ثم لا تقطع هذه الشجرة أو تمس بأذى .

والطفولة هى إحدى الحلقات الثلاث من عمر الإنسان . وهى تستمر حتى فترة المراهقة . أما المرحلة التالية فتتمد من فترة المراهقة حتى الزواج والمرحلة الثالثة منذ أن يتزوج الفتى حتى يموت .

وتتميز بدايات هذه المراحل الثلاث - ٥ - هو الحال لدى العديد من القبائل البدائية الأخرى بعد احتفالات معقدة ، يطلق عليها الانثروبولوجيون احتفالات الحياة أو حتموق المرور وتقام هذه الاحتفالات وما يصاحبها من طقوس عند الميلاد . والبلوغ (ويطلق عليها احتفالات البداية) وكذلك عند الزواج والوفاة .

وخلال فترة الطفولة يعرض الطفل إلى عمليات تشريط الجلد التى تستخدم فيها قطعة صغيرة من الكوارتز لعمل الخزوز الصغيرة وتم عملية التشريط على مراحل حتى يصل الطفل إلى سن المراهقة وعندئذ يكون جسمه كله قد تغطى بالشقوق ويعمل الانداما أن هذه العملية بأنها تزيد الطفل قوة كما تكسبه مظهراً حسناً .

بالنسبة للفتيات فإن فترة الطفولة تذهب مع حدوث أول حيض وعند ذلك تنعزل الفتاة وحدها فى كوخ لمدة ثلاثة أيام ولا تخرج منه مطلقاً إلا مرة واحدة

كل صباح للاستحمام في البحر أو النهر وعلى الفتاة أن تتزين بياقات من أوراق الشجر كما يجب عليها أن تجلس طاوية ذراعيها وساقها موضعتان تحتها ، ولا يسمح لها بالكلام أو النوم خلال الأربعة والعشرين ساعة الأولى وربما لا يسمح لها بالاقتراب من الطعام أو لمسه بأصابعها خلال الأيام الثلاثة بأكملها ولمدة شهر كامل بعد هذه الأيام الثلاثة يجب على الفتاة أن تستحم يومياً عند الفجر كذلك يستبعد إسمها الذي كانت تنادى به خلال فترة طفولتها وبعد فترة العزلة هذه يطلق على الفتاة إسم الزهرة أو الشجرة التي تكون في فصل تفتحها أو أزهارها ثم تحتفظ به حتى يتم زواجها .

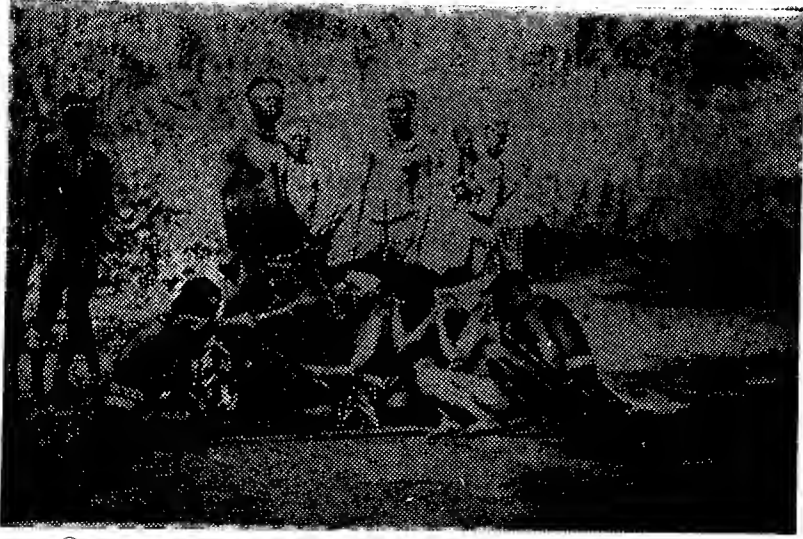
وعند ما يتقرر أن أحد الفتية قد بلغ سن الرشد يقام حفل راقص يستمر طوال الليل على شرف هذا الحدث الذي بعده يكون هذا الفتى مستعداً لتشقيق ظهره تشريطاً يتم عملية تشريط جسمه بأكمله ثم بعد ذلك بعدة أيام يتم تشقيق صدره ولا يستخدم إسم الفتى لمدة أسابيع عديدة ولكن بعد انتهاء عملية التشريط ينادى الفتى بإسمه الحقيقي وبعد الاحتفال بسن البلوغ يخضع الفتى إلى نظام غذائي يستمر لبعض الوقت وغالباً ما يستمر لمدة عام كامل وخلال هذا العام يسمح له بفترات قصيرة من الراحة على ألا يتناول خلالها أى نوع من أنواع الأطعمة المعينة وعند نهاية فترة امتناع عن طعام معين يشترك الشباب في احتفال كبير. وأكثر هذه الاحتفالات تعقيداً هي تلك التي تحدث عقب مدة الامتناع عن أكل لحم السلاحف أو أكل لحم الخنزير .

وهذه الاحتفالات أكثر تعقيداً من تلك التي تقام للاحتفال بوصول أول حيض للفتاة لكنها تركز على مفاهيم متشابهة مثل قوة الاحتمال والمحرمات الموحدة وبعد الانتهاء من احتفال أكل لحم السلاحف يمنح الفتى اسماً جديداً .

وتتنوع الاحتفالات النى تقام بمناسبة الزواج ، ففي شمال جزر الاندمان حيث استقى راد كليف براون معظم معلوماته يعقد الاحتفال فى مساء يختاره والد العريس ويجلس الفتاة على حصير يحيط بها قريباتها وصديقاتها فى نهاية لحدى حلقات الرقص التى تضيئها المشاعل أما العريس وأسرته فيجلسون مع أصدقائه عند الناحية المقابلة من حلقة الرقص ثم يقف رجل كبير تبدو عليه مظاهر الاحترام ليشرح للفتاة وهو بعيد عنها ما يجب أن تفعله حتى تصبح زوجة صالحة ثم يتجه نحو العريس موجهاً له حديثاً مشابهاً ثم يأخذه بيده ويذهب به نحو عروسه وهنا يبدأ الأصدقاء والأقارب والأقارب فى البكاء بصوت عال بينما يجلس العريس وعروسه وكأنهما غير مدركين لما يحدث حولهما إلى أن ينهض رجل آخر - غالباً ما يكون أقدم الرجال سناً - ثم يأخذ ذراعى العريس ويجعلهما يلتفان حول رقبة عروسه فيما يشبه المعانقة ثم يجعل العروس تفعل نفس الشيء وبعد ذلك يجعل العريس فى وضع جلوس على ركبتى عروسه على اعتقاد أن ذلك يجعل كل منهما يحب الآخر ، ويجلس الرجل على ساقى زوجته لعدة أسابيع ويتم عملية الجلوس بالتبادل وفى نهاية المدة يقوم أى صديقين أو قريبين ولو حتى من نفس الجنس بتنحيه كل من العريس والعروس عن بعضهما وذلك بالإنحجاب بشدة، ويبدو أن هذا العويل هو أفضل وسيلة للتعبير عن العاطفة إذ أنه يمكنهم استدرار دموعهم بسهولة وقد سأل راد كليف براون بعض الوطنيين ذات مرة عن كيفية بكائهم بهذه السهولة وعرف الإجابة عند ما بكوا أمامه قبل أن ينتهى من القاء سؤاله .

(شكل ٣ ، ٤)

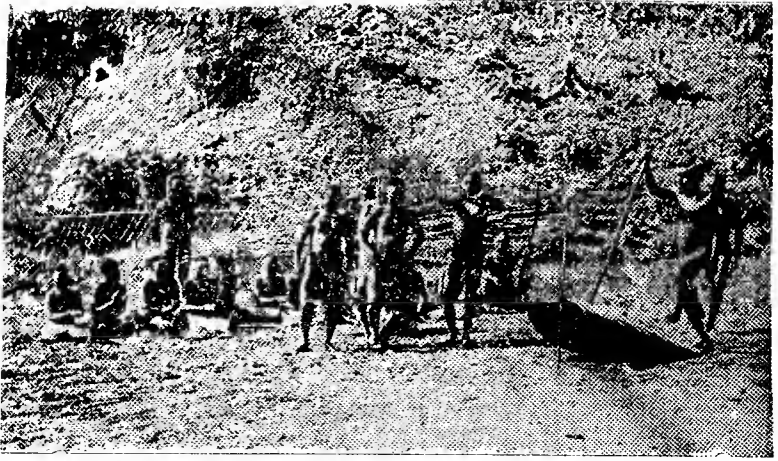
وبعد انتهاء احتفالات الزواج يقيم الأصدقاء حفلاً راقصاً شكل (٥) ثم يتسأل العروسان نحو كوخهما ومعهما هدايا الزواج ويتولى اصدقاءهما تزويدهما باطعام الوفير لعدة ايام متتالية ولا يخاطب احدهما الآخر باسمه الفعلى ولكن باستخدام



شكل (٣) الاحتفال بالزواج عند الاندامان



شكل (٤) سلوك اللقاء والمقابلة لدى الاندامان



شكل (٥) الرقص لدى الاندامان

اسمه هو بطريق غير مباشر كان تقول الزوجه يازوج فلانه (تقصد نفسها)
ويقول الزوج يازوجة فلان (ويقصد نفسه) وعندما يكون اول مولود على
وشك المجيء يختار له اسم وينادى كل منها الاخر باسم الطفل الا نى .

وتعد الاحفالات المصاحبه للوفاه وما يصاحبها من طقوس وعادات خاصه
بالدفن من اطول الاحتفالات دواما واكثرها تعقيدا ، فبعد انتشار نيا الوفاه
خلال القرية تأتى كل نساءها للجلوس حول جثه المتوفى وتظل النساء فى حالة بكاء
وعويل حتى يصيبهن الانهيار ثم ينسحبن لياتى الرجال الذين يبدأون فى البكاء
فى حين يبدأ الشباب منهم فى دهن اجسادهم بطبقه من الصلصال كذلك تزين
الجثه باربطه من الصلصال اليبض ، بينها اشراطه ذات لون احمر ثم يحاق شعر
المتوفى وبعد ذلك تلف الجثه فى حصير وتربط جيدا باربطه من القصب وبعد ذلك
يبدأ اقرباء الميت فى وداعه الاخير وذلك عن طريق نفخ زفيرهم فى وجه المتوفى
ثم يقوم كل رجال القرية باصطحاب الجثه الى البقعة التى ستحرق فيها وهى اما
حفرة عمقها ما بين ٣ ، ٤ اقدام او فوق منصفه من الاشجار .

وتوجه رأس الميت نحو الشرق لتواجه الشمس ثم يقوم اقرباء المتوفى
بوضع بعض الريش وأوراق شجره جوز الهند عند مدخل القرية ليعلم من
يدخلها ان مدة الحداد لاتزال مستمره ثم يترك المعسكر مهجورا خلال هذه
الفترة ، أما الأقارب المباشرين فيظلون فى حدادهم لعدة شهور واضعين عصابة
من الصلصال فوق جباههم .

وفى هذه الفترة توجد محرمات عديدة يجب الإمتناع عنها فلا يوجد رقص
أو تناول أطعمة محددة كما لا ينطق اسم المتوفى خلال فترة الحداد ولا حتى
اسم اقرباؤه .

وبمرور الوقت تنقضى فترة الحداد ، ويحطل لحم الجثة ويفصل عن العظام
وبما يعتبر نهاية فترة الحداد ذهاب أقرباء الميت إلى الحضرة أو المظلة التي أحرقت
جثته فوقها وإحضار عظامه من فوقها ثم غسلها جيدا ثم يحملونها معهم إلى القرية
حيث يكون عليها هم ونساء القرية وعند هذه اللحظة تنتهى فترة الحداد تماما
ويتحرر كل من قضى الحداد من الممنوعات التي كانت سائدة أبانها في حفل راقص
يعقد في المساء وفي هذا الحفل تتم إزالة الصلصال الأبيض من على جباههم ثم
يزينون أنفسهم بالألوان الحمراء ويستمر الرقص طوال الليل كأي احتفال آخر .

وتحفظ عظام الميت لسنوات طويلة وتزين بالجمجمة والفكين بنطاقات حمراء
وبيضاء متصلة فيما يشبه العقد .

وفي هذه المناسبات الرسمية يجب على زوج أو أقارب المتوفى المباشرين لإنداء
هذه العظام بتعليقها حول رقابهم من الأمام أو من الخلف أما عظام الأطراف
فعادة ما تحفظ فوق سطح الكوخ أما العظام الصغيرة فتتظم في شريط يرتديه
أقارب الميت من الإناث من أجل الوقاية من الأمراض .

ويبدو أنه يسود بين الاندلمان مشاعر مختلفة اتجاه أرواح الموتى فأحيانا ما
يكون هناك شعور بالحب والود نحو روح معينة وأحيانا ما يكون هذا الشعور
هو الخوف أو الرعب كما أنه هناك أوقات تستدعى فيها الأرواح للمساعدة ،
وأحيانا ما تكون هذه الأرواح ميالة لايفاء سكان القرية وتستمد هذه الأرواح
إرادتها وقوتها على عمل الشر أو الخير من قوة رجل الطب الشامان .

والشامان هو النمط الوحيد من التخصص الديني بين الاندلمان وهو يتميز
عن غيره من الرجال باستطاعته الاتصال بعالم الأرواح ومن ثم فهو ذو قوة
غير طبيعية .

ويمتدح الرجل من الاندامان أن يصير شامانا إذا مات ثم يعود مرة أخرى إلى الحياة محتفظاً بخصائص الروح التي كان يتقمصها تقمصاً مؤقتاً .

وفي اعتقاد الاندامان أيضاً أن الإنسان إذا سار وحيداً في الأدغال يكون معرضاً لأنه تحتفظه الأرواح فإذا أظهر شجاعته أمامها تركته سالماً وبذلك يصبح شامانا .

أما في الحالة الثالثة التي يصبح فيها الرجل شامانا هي أن يكون وشيك الموت ثم يفيق ، وعموماً فإن الأحلام لدى الاندامان ما هي إلا مجموعة من الخبرات والاتصالات الخاصة بالأرواح كما يسود بين معظم البدائيين .

ويرجع اعتقاد الاندامان بخطورة النوم وعدم أهميته إلى أنهم يحرمون النوم على أفراد المجتمع عندما يمارسون احتفالات بدايات المراحل العمرية الثلاثة السابقة .

وترجع أهمية الشامان بين الاندامان إلى إعتقادهم في قدرته على إحداث الأمراض وأبعادها أو التسبب في حدوث العواصف ومن ثم يصير هو القادر على الشفاء من الأمراض والمتحكم في مظاهر الطقس والمستطيع إحداث الأمراض والطقس العاصف أيضاً لأبعاد أعداء القرية وكما في مفهوم العالم البدائي تكون فتنة الشامان أما خيره أو شريره .

وفي اعتقاد الاندامان فإن الأرواح تسكن في الغابة أو البحر أو السماء وجميع الأرواح هي أرواح موتى سابقين وبعضها أرواح أجداد أسطوريين كانوا أكثر شهرة وأقدم تاريخاً من غيرهم ، وهذه الأرواح الكبيرة كما يدعونها هي التي شكلتها أساطير وقصص الماضي القديم عندها خلقت مظاهر الطبيعة لأول مرة .

ويطلق على عديد من هذه الارواح أسماء طوطمية بمعنى أنها تحمل اسم نبات أو حيوان وفى حالات خاصة تكون هذه الارواح مسئولة عن خلق النبات والحيوان وأشهر أساطير الاندامان تتناول أصل مجتمع الاندامان لانهم لم يكن لديهم علم بوجود بشر غيرهم حتى وقت قريب ولا يوجد دين لدى الاندامان ولا آله معبود على الرغم من أن بعض الاساطير تؤكد وجود روح قديمة « ييرليكو » أو « بولولجا » Biliko' puluga يعتقد الاندامان أن لها أكبر قوة على الطقس عن غيرها من الارواح .

وكما يسود بين المجتمعات البدائية الاخرى فإن مفهوم ما فوق الطبيعة يتخلل كافة النشاطات لدرجة أن يكون من الصعب التفريق بين النشاط الدينى وغيره من الانشطة كالموسيقى أو الرقص أو حتى اللعب ، فالقصص التى تروى من أجل التسلية البحتة تكون فى نفس الوقت أساطير أرواح الاسلاف ، والمسرح الذى يرتبط بالغناء والرقص يمكن أن يتحول إلى وسيلة ارتباط بين الافراد والقوى فوى الطبيعية .

وعموما فليس هناك دليل على أن نشاط معين هو نشاط دينى صرف . وليس هناك أما كن خاصه للتعبد كالكنيسة مثلا ، كما لا يوجد رجال دين محددين كالقساوسة وحتى الشامان فإن نشاطه يرتبط بالممارسة العملية وليس بالناحية العقائدية ، كما لا توجد لديهم أيام خاصة « كيوم الأحد مثلا » التى تميز الحياة الدينية عن الحياة الدنيوية .

والرقص هو الاسلوب السائد بين الاندامان للتسلية والاحتفال ، فالزواج يحتفل به باقامة الحفلات الراقصة ، حيث تكون فرصة يستطيع أى انسان أن يتمتع بها كما أن فترة الحداد على الميت يصاحبها حفل راقص يشارك فيه كل القائمين

بالحداد ، وحتى في الحالات التي يسود فيها قتال فيقام حفل راقص قبل القتال كما يستعمل أسلوب الرقص ليلا بدون أى سبب ما عدا من أجل النسلية والمرح ، والرقص التي تمارسه أى قبيله من قبائل الاندامان هو نفسه تقريبا الذي يمارس في كل مناسبة وغالبا ما يقام الرقص في منطقة مفتوحة في منتصف البقعة تقريبا حيث يوجد قالب خشبي يشبه الدرع لاحداث أصوات تشبه أصوات الطبله والرجل الذي يدق عليها بقدمه هو نفس الرجل الذي يقوم بالغناء . وحول هذا الرجل تجلس مجموعة من النساء في صف واحد فيما يشبه الكورس وأرجلهن ممدّه أمامهن وفي غالبية حفلات الرقص لا تشارك المرأة في الرقص باستثناء حفلات نهاية فترة الحداد . وتتألف الموسيقى من أغنية نثرية واحده يغنيها رجل هو في نفس الوقت الذي يقرع لوحة الصوت ويغني الكورس مع الرجل أما صف النساء يساعده فيحدث ضربات ايقاع بالتصفيق باستخدام ضربات اليد على التجويف الذي تسببه أفخاذهن المطويه ويبدأ الراقصون في الرقص مع بداية غناء الكورس حيث يقفزون مع الايقاع على قدم واحد حتى ينهالهم التعب فيقفزون على الاخرى وليس هناك أية محاولة من قبل الراقصين لعمل تنظيم معين أثناء الرقص باستثناء توحيد خطواتهم ، وأغنياتهم . وطبله الصوت فقط هي وسيلة الموسيقى لدى الاندامان وغالبا ما يصاحبها الرقص وكلمات الاغنية ليست موضوعا مسبقا فكل مغنى عند غنائه يؤلف كلمات أغنيته وهناك اختلافات في حدود ضيقة لان موسيقى الاندامان وأغنياتهم قديمة تقليدية مثل عاداتهم الاخرى ،

وينعكس ثبات حضارة الاندامان وقد،ها في فلسفتهم أو نظريتهم عن العالم فلا يبدوون حبا استطلاع أو حتى اهتمام بسيط . بظواهر الطبيعة وما إلى ذلك

فمفهومهم عن مظاهر الطبيعة أو عن نظامهم الاجتماعى أنها قد انبعث ذات مره من أصل واحد كما أنها قد انتظمت فى مجموعة واحدة تستمر فيها إلى الابد .

أما فكرة التغير فهى غائية كلية ويرى الاندلمان نفسه جزءا من عالم منظم لكنه عالم لاينظمه قانون السبب والنتيجة فقوانين الطبيعة تشبه القوانين الاخلاقية فبعض الافعال « صواب » وبعضها الاخر « خطأ » والافعال الخاطئة يتسبب عنها أذى أما الافعال الصحيحة فتتبع عنها أعمال ناجحة أو على الأقل غير مؤذية .

والصواب أو الخطأ يعنيان الافعال التى تنظم أو لا تنظم مع الطبيعة ومن هذا المنظور يرى الاندلمان القواعد الاجتماعية وأساليب المعاشرة وظاهرات الطبيعة أيضا فالعاده الاجتماعية والقانون الطبيعى متشابهان تماما غير أنه من الصعب على الاندلمان ايجاد وسائل ذهنية لعمل التعديلات التى خلقها التغير العظيم الذى سببه الرجم المعاصر وتكنولوجيا الحديثة .

ولقد سمع ماركو بولو عن جزر الاندلمان لكن تعليقاته عليهم كانت تعليقات غامضة بما يدل على أنه قد اعتمد فى كتابته عنهم على الروايات الشائعة ، لكن المصدر الاصلى الذى أخذت عنه المعلومات التى استقاها ماركو بولو هو كتابات رحالين عربيين زارا المنطقة عام ٨٧١ ميلاديه وقد وصفا الوطنيين بأنهم خطرين جدا ومتوحشين وآكلى لحوم البشرة وقد ترك الربان فردريك وصفا متشابه لاندلمان فى رحلته التى قام بها عام ١٥٦٦ . فقد كتب فردريك أنه تمتد من جزر نيكوبار إلى جزر بيجو توجو سلسلة عدد من الجزر غير المعروفة تسكنها جماعات متوحشة يطلق عليهم أندلمان ويطلق على سكانها القساء أو المنوحشين لانهم يأكلون بعضهم أيضا وهذه الجزر فى حروب شديدة فيما بينها لأن لديهم

قوارب صغيرة تستخدم في الاغارة على بعضهم البعض ثم أسر من يقع في أيديهم من أعدائهم وأكل لحمه ، كما أن أى سفينة تفقد بين هذه الجزر لا ينجوا من رجالها أحد حيث يذبحونهم ويأكلونهم .

لكن الاندلمان ليسوا من أكلى لحوم البشر وربما الصق بهم الرحالة هذه الصفة حتى تثير رواياتهم من يقرؤها بادعائهم أنهم قابلوا بعض آكلى لحوم البشر وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ذهبت عدة رحلات إلى هذه الجزر ولكن كان معظمها رحلات عرضيه وأحيانا من أجل أسر بعض الوطنيين لبيعهم كرقيق .

وهو هدف لم يكن يؤدي إلى علاقة صداقة بين الرحالة والوطنيين . وقد أقيمت أول مستوطنة دائمة فوق جزر الاندلمان عام ١٧٨٩ عندما أرسلت شركة الهند الشرقية البريطانية تحت قيادة لورد كورنول مجموعة من المستعمرين إلى الميناء الذى يعرف حاليا باسم بورت بليز ثم بعد ذلك نقلوا إلى ميناء كورنول بسبب تدهور حالتهم الصحية فى الموقع الاول .

وفى عام ١٧٩٦ أخليت المستعمرة ومن يومها لم يطأ الجزر قدم أوروبى خلال الستين عاما التالية فيما عدا تحطم بعض السفن الأوربية بين هذه الجزر وفى عام ١٨٥٨ أقيمت مستوطنة لعقاب المجرمين فى نفس الموقع الاول وقد استمرت بعد ذلك وقد قاوم الوطنيون هذه المستعمرة فى البداية وقاوا بعدة هجمات عليها وليس لدينا أية معلومات عن القسوة التى ربما تعرضوا لها .

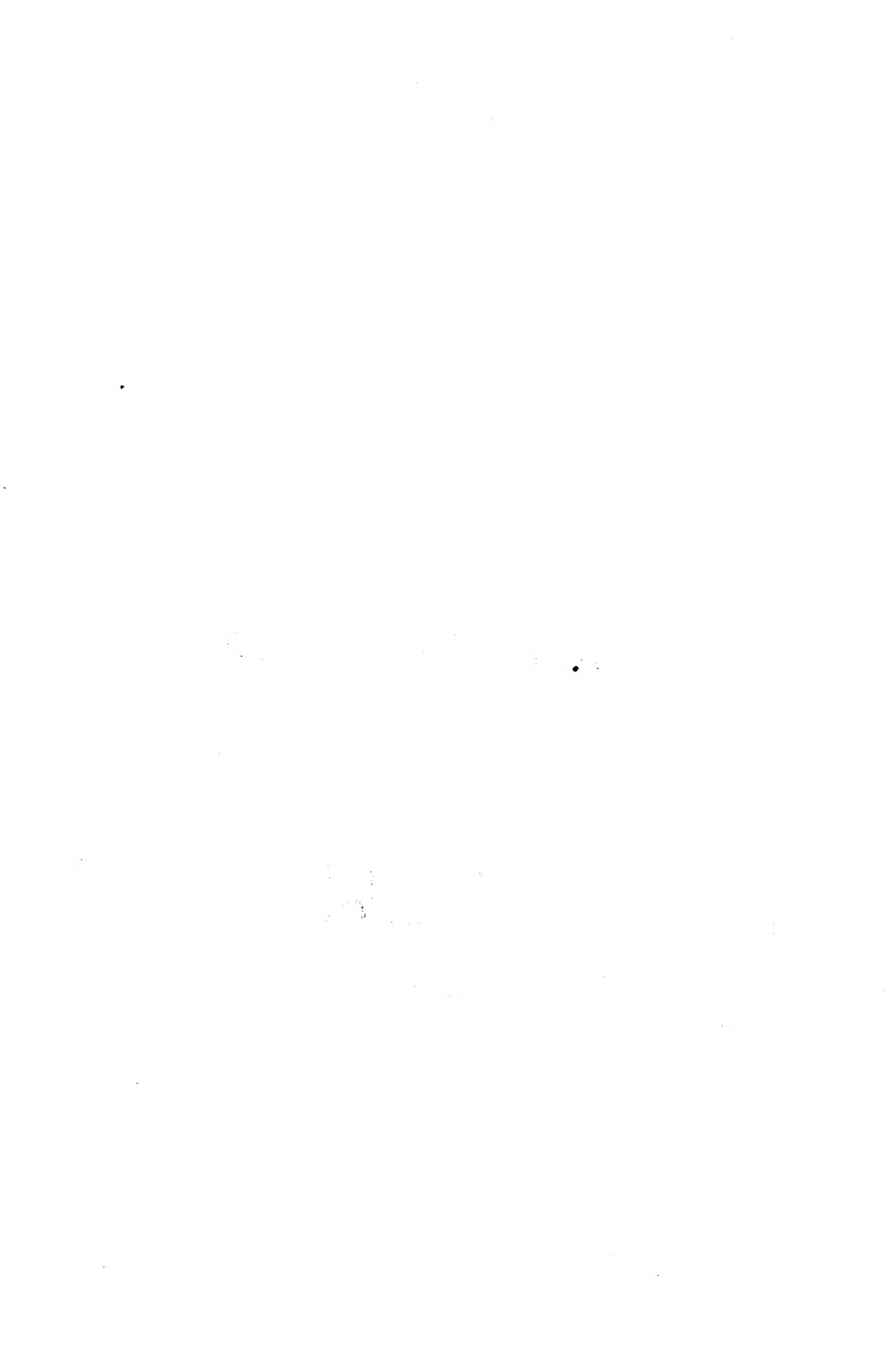
وقد أقيمت مؤسسة تدعى بيوت الاندلمان لاعدادهم بالمساعدات الطبية والواتب وأخيراً سادت العلاقات الودية بين الاندلمان والاوربيين باستثناء قبيلة فى مكان متطرف من الجزر .

وقد قامت الحكومة الهندية فى الوقت الحاضر ببعض الاعمال من أجل ادماج
النجريتو فى الامة الهندية لكن الجزر بعيدة جدا عن المناطق السياسية
والاقتصادية الحديثة لدرجة أنه من المحتمل أن ينقرض الاندلمان قبل حدوث
هذا الاندماج .

وقد كان لاحتكاك الوطنيين بالاوربيين تأثيرا مدمرا بسبب افتقاد الاندلمان
للمناعة ضد الامراض الاوربية فقد استمر الزهرى يفتك بهم حتى ١٨٧٠ وقد
أدت الحصبة والانفلونزا إلى خلو الجزر من سكانها مما أدى إلى تفوق معدل
المواليد على معدل الوفيات وهذا يدل على أن الاندلمان فى طريقهم إلى الإنقراض .

جماعات الاسكيهو

The Canadian Eskimo



جماعات الإسكيمو

يكون الإسكيمو جماعة متميزة سلاليا ولغويا وحضاريا في المنطقة القطبية التي تمتد من شرق جرينلاند وعبر شمال كندا والاسكا إلى سيبيريا وينتمى الإسكيمو من الناحية الجنسية إلى المجموعة المغولية حيث يرتبطون سلاليا بالهنود الأمريكين رغم أن بعض صفاتهم الخاصة جعلت بعض الانثروبولوجيين يفردون لها سلالة منفصلة عن الهنود الأمريكين . ويتميز الإسكيمو بصفة عامه بالقامة القصيرة إذ يتراوح متوسط طول الرجال بينهم ما بين خمسة وست بوصات في حين يقل طول المرأة عن ذلك . وتنصف وجوههم بأنها عريضة مفلطحة مع بروز عظام الوجنات وذلك إلى جانب طية العين المغولية والشعر الأسود الخشن ولون البشرة البنى الفاتح وغيرها من الصفات التي تلتصق بالمجموعة المغولية.

وتتنمى جميع لهجات الإسكيمو التي تنتشر عبر ٣٠٠٠ ميل إلى أرومة لغوية واحدة غير أن هذه اللهجات تختلف اختلافا طفيفا فيما بينها وعلى أى حال تكاد تكون لغة الإسكيمو منعزلة تماما بحيث لم يحدث أى تسربات لغوية إليها .

ويبدو أن توافق الطابع الجنسي واللغوي والحضارى للجماعات الإسكيمو يشير إلى أنهم قد تحركوا إلى موطنهم الحالى فى فترة أحدث من تلك الفترة التي وصل فيها الهنود الأمريكين إلى العالم الجديد . وحتى الآن لم يتمكن الاركولوجيون من تحديد بدقة المكان الذى وفد معه الإسكيمو أو الوقت الذى جاءوا فيه . فأقدم المواقع الأثرية للإسكيمو فى رأس دبنيف Cape Denbigh بالاسكا تشير إلى أن عمر طلائع الإسكيمو يعود إلى ٤٠٠٠ عام ، بينما تواريخ تواجدهم فى المناطق الشرقية والوسطى فأحدث من ذلك حيث يبدو نمط مبكر لحضارة الإسكيمو يطلق عليه الاركولوجيون اسم دورست Dorset يعود إلى حوالى ٢٠٠٠ عام

وهو سابق لحضارة الاسكيمو الحالية والتي توجد في هذه المنطقة. وهناك حضارة أحدث من ذلك توجد في تول ويرجع تاريخها إلى ١٠٠٠م وتوجد على السواحل القطبية في كندا. ويتبين الأدلة الأثرية أن هناك موجتين متتابعتين من الاسكيمو انتشرت صوب الشرق من الاسكا إلى جريندلند وأن هذه الموجات ربما حملت كثيرا من حضارة آسيا.

وجماعات الاسكيمو جماعات صائدة ولكن إذا ما قورنوا بالجماعات الصائدة الأخرى يظهر أن حضارتهم أكثر تطورا حيث تمكنوا تكنولوجيا من ملءة حياتهم في بيئة يتصف مناخها بالقسوة ويعيش بها في كل مكان الإنسان البدائي. وتأثير العروض القطبية يترك بصماته الواضحة على طبيعة البيئة الجغرافية إذ تقع معظم محلات الاسكيمو بين خطى عرض ٦٠° - ٧٠° شمالا حيث يوجد اختلافا جديا بين فصلي الصيف والشتاء. ففي فصل الشتاء لا يرى بعض الاسكيمو الشمس لعدة أسابيع اللهم إلا على هيئة وميض بسيط من الضوء. بينما في فصل الصيف فهؤلاء الذين يعيشون في المنطقة الممتدة عن خط عرض ٦٦° و ٦٥° شمالا يمكنهم رؤية الشمس طوال النهار والليل، وبطبيعة الحال تختلف درجة الحرارة كثيرا على مدار السنة ففي فصل الشتاء الذي يستغرق حوالي ٩ شهور من السنة تنخفض درجة الحرارة دائما إلى ما دون الصفر كما تتراوح في بعض الشهور ما بين ٣٠° ف و ٥٠°. ولا ترتفع درجة الحرارة فوق درجة التجمد إلى في خلال شهرين أو ثلاثة فقط.

والتغير من الشتاء إلى الصيف الكامل يواكب دائما انصراف الانهار الجليدية وذوبان الثلوج فوق اليابسة. وما أن يحدث ذلك حتى يتغير المظهر الطبيعي في المنطقة حيث تظهر النباتات الدائمة وذلك حتى قبل أن ينتهي الجليد من

الذوبان . كما تبدأ أسراب الطيور المهاجرة في الظهور فجأة حيث يوجد في المنطقة القطبية أكثر من مائة نوع من الطيور . كذلك يتمثل قطمان كبيرة من الكاريبو حيث تتبع تدريجيا ظهور النباتات في الاتجاه صوب الشمال . كما أن حياة السكان تصبح أكثر قلقا وازعاجا إلى حد ما حيث يصبح البر صعبا بسبب وحولاء الأرض وعدم إمكان المياه المذابة من الثلوج الانسرب إلى أعماق تزيد على قدمين إلا من الذى يجعل من تلك المناطق النى تعرف باسم التندرا بيئة مستنقعية ومن ثم تفرح حينذاك هذا الحشرات الضارة والبعوض وتسبب بلاء كبيرا للسكان .

ويحل الشتاء تدريجيا محل الصيف حيث تبدأ الحياة الطبيعية في الموت السريع . ففي شهر سبتمبر قد يسقط بعض الثلج كما تبدأ بعض البحيرات الصغيرة . من التجمد غير أن جليد البحر يتكون مع شهر نوفمبر في كل المناطق فيما عدا المناطق النى يوجد بها تيارات قوية . وعلى النقيض من الاعتقاد السائد لا تدفن أراضي الاسكيمو تماما تحت طائلة الثلوج وعلى الرغم من أنه يوجد اختلافات جذرية في هذا الصدد إلا أن كل النساقت - السنوى لا يزيد على أربع بوصات حيث أن البرودة القاسية في معظم السنة تحدد بصورة واضحة كمية الرطوبة الموجودة في الجو ، كما أن الرياح التوبة تعمل على ابقاء الأرض في مناطق عديدة عارية من الثلوج .

وبطبيعة الحال البيئة ليست متشابهة تماما في كل المنطقة التى يقطنها الاسكيمو ولهذا السبب فقد نمت بعض الحضارات المحلية اليها عكست هذه الاختلافات ، وأن كان الاختلاف يتوقف أساسا على نوع الحيوان الذى يعتمد عليه الاقتصاد فصدر الاسكيمو المميز هو عجل البحر النى تصطف وفي فصل الشتاء وإن كان بعض الجماعات الأقل تخصصا في هذا والنى لا تعتمد كثيرا في حياتها على الصيد

وتوجد أنقى أشكال الصيد القطبى الذى يطلق عليه حضارة القطب الراقية
High arctic culture بين أسكيمو القطب فى شمال جرينلند حيث تعتمد الحياة
كلية على مصادر البحر (شكل ٦). أما فى المناطق التى تقع أكثر نحو الجنوب فى جنوب



شكل (٦) أسكيمو يحفر قطعة من الصخر بواسطة مخراز النفخ

جرينلند وإيرادور وجزر أو ليشيان بالقرب من الاسكا فتجد أن الحضارة الشبه
قطبية Subarctic culture لها ارتباط أكبر بالمياه المفتوحة حيث يزداد الاعتماد
أكثر على صيد الأسماك مستخدمين فى ذلك القوارب مع اختلاف طفيف للحياة
الشموية لاسكيمو القطب . وبالإضافة إلى ذلك توجد مجموعات صغيرة مثل
جماعات أسكيمو الكاريبو Cariboo Eskimo التى هجرت تماما البحر فى سبيل
الاعتماد فى حياتها على تتبع الصيد البحرى وصيد الأسماك من الحفر الجليديه
بنفس الطريقة التى يمارسها الهنود الأمريكين فى المناطق التى تقع إلى الجنوب

من مناطقهم . أما الحضارة الأقل تخصصاً في وسط وسواحل كندا فلها نمط آخر حيث يعتمد على الصيد في الثلج أبان لشتاء وذلك إلى جانب الاعتماد لدرجة كبيرة على أنشطة الصيد البرى فى الفصول الإخرى . وهذا النمط هو أكثر أنماط الاسكيمو انتشاراً بينا ما دون ذلك يمثل وجوهاً خاصاً داخل جماعات الاسكيمو .

ويوجد لدى أسكيمو كندا الساحليون محاليتين عمرائيتين أو أكثر حيث يعتمد موقع كل منها على النشاط الاقتصادى الرئيسى فى الموسم . وأطول مدة إقامة تكون فى الموقع لشتوى . وفى أواخر الشتاء تتجمع الأسر فى خليج محمى أو منطقة قليلة الثلوج . حيث تصبح الشواطئ المفتوحة عبارة عن أكوام من الثلوج التى حملت إلى الشاطئ فى رحلة ألا عودة . فى هذه الفترة يصبح صيد حيتان الشتاء هو النشاط الاقتصادى السائد .

وطريقة صيد الحيوان البحرى التقليدية المعروفة هناك والذى تسمى باسم صيد ماو بوك **Maupok** والتى تعنى انتظار الصائد إلى جانب فتحة تنفس الفريسة هى الطريقة السائدة حيث تأتى عجول البحر بانتظام إلى هذه الثقوب والذى كونتها منذ بدأت الجليد يتكون . وعلى الرغم من أن هذه الثقوب قد تغطى بطبقة من الثلوج إلا أن كلاب الاسكيمو الجائعة تستطيع أن تشم رائحة الحيوان البحرى من مفاة بعيدة وحينما يجد الصائد مثل هذا الثقب يقف إلى جانبه كالتمثال إلى أن يأتى الحيوان للتنفس فحينئذ يرشقه فى أنفه بالحربة . وفى بعض الأحيان لكى يجعل عمله أسهل إذ كانت الفتحة مغطاة بالثلوج فإنه يترك قطعة من العظم التى تتحرك إلى أعلى حينما يسها أنف الحيوان . ومن ثم فعليه أن يسرع لاقتناصه إذ أن فرصة صيد الحيوان قد لا تأتى إلا بعد بضعة ساعات أخرى وذلك لأن الحيوانات البحرية لها عدة ثقوب للتنفس تزورها تباعاً وقد تعود إلى ثقب بعينه

بعد فترة طويلة . فقد ذكر أحد الباحثين أن شخصا قضى يومين ونصف إلى جانب ثقب للتنفس وذلك دون جدوى .

وبعد صيد الحيوان البحرى لا يزال أمام الصائد عمل كبير على أن يؤديه فقد يكون رأس الحربة غير مثبتة جيدا فى الفريسة ومن ثم فعلى الصائد أن يشبها فى الحيوان كما عليه أن يوسع الثقب لاستخراج الفريسة وتقدم الثدييات البحرية إلى الاسكيمو بالاضافة إلى الطعام الشحوم التى تحرق بدون دخان وتعطى حرارة تبعث الدفء والاضوء خلال شهور . ولولا هذه الشحوم لسكانت حياة الاسكيمو صعبة للغاية حيث لا توجد أخشاب تحرق فى المناطق القطبية ، كما أن دهون الحيوانات الأخرى ليست مثل دهون الثدييات البحرية . ولا يستخدم جلد عجل البحر Seal دائما فى صناعة الملابس إذ أن فروة حيوان الكاريبو تعطى أكثر دفئا كما أنها أخف وأسلسل فى الصنع . وتأكل كل أجزاء جسم عجل البحر بدون طهى ولا يعرف كيف أن الاسكيمو لا يدركوا مدى أهمية هذه اللحوم النيئة للضحة وإن كان من المؤكد أنهم يعانون العديد من النقص الغذائى إذا لم يتناولوا هذه اللحوم غير المطهية حيث لا يوجد خضروات طازجة أو فاكهة وذلك لمدة تتراوح ما بين تسعة وعشرة شهور فى السنة .

وحيثما يصبح النهار أطول تبدأ ثلوج البحر فى التشقق والإنكسار مكونة قنوات تجري فيها تيارات قوية ومن ثم تبدأ الأسر التى كانت تعيش فى الحيلة الشتوية تتحرك وتنتشر لتدخل فى معسكرات لصيد الربيع حيث تبدأ الثدييات البحرية مع صفارها فى الظهور على الثلوج وتقدم صيدا سهلا للعائدين الماهرة الذين يمكنهم الوخف ورائهم والأسماك بهم . ومع تحسن الطقس بزيادة الدفء يحوب الصيادون أطراف المياه المفتوحة وذلك للصيد حيث يصطادوا فى بعض

الاحيان الحيتان . كذلك يصبح الصيد البرى فى هذه الفترة هاما ولا سيما الثور
الموسكى الذى انقرض للافراض فى صيده . ومن عادة هذه الحيوانات تكوين
دائرة للحماية حيث يقف الذكور فى المقدمة والإناث والصفار فى الداخل . ولنا
فيسهل على الصيادين قتل أعداد كبيرة منهم بسهولة . وتجمع كميات كبيرة من
اللحوم والشحوم فى هذا الفصل الوفير وتخزن فى أكوام مرتفعة تغطى بالحجارة
وذلك لحفظها من النهام الحيوانات .

وفى فصل الصيف أو كما يطلق عليه فصل السعادة تجذب نباتات التندرا أعداد
كبيرة من قطعان الكاربور صوب الشمال ومن ثم تقام معسكرات الصيف على
رؤوس الاودية الداخلية .

وهنا تبدأ العناصر المتناثرة فى التجمع لتشارك فى الصيد الجماعى . ويستخدم
بعض الصيادين القوس والسهم ولكن الطريقة الناجحة هو مطاردة القطعان إلى
خور مغلق أو مستنقع أو بحيرة حيث يسهل صيد الحيوانات هناك . كذلك
يمكن اصطياد بعض الحيوانات الصغيرة فى الصيف كالذئب والثعالب والارانب
وذلك عن طريق الفخاخ . أما البط والاوز والطيور الأخرى الكبيرة فتعطد
عن طريق الفخ أو باسقاطها بالسهم والنبال . أما الطيور الصغيرة فتقوم بالنسائم
والأطفال بصيدها عن طريق الشباك . وتخزن الطيور الزائدة فى جحر أرضية
حيث تنجمد .

والأسمك وفيرة فى فصل الصيف على طول سواحل كندا ولا سيما سمك
السالمون والذى يبدأ هجرة الفصيلة مع بداية الصيف إلى أعلى الأنهار . وفى هذه
الفترة تتحرك جماعات السالمون فى أعداد هائلة كثيفة للدرجة أنه يمكن اصطياد كمية
كبيرة منه فى الرمية الواحدة . ويستخدم السنار المعقوف والمستقيم نوعى السمن

العاجية في الصيد في المياه العميقة ، كما تستخدم الشباك والسدود في بعض المناطق الأقل عمقا .

وتجتمع في هذا الفصل بعض الجذور والنباتات غير أن عمر هذا الفصل قصير والنباتات النافعة نادرة ومن ثم لا تلعب دوراً هاماً في الحياة الغذائية للأسكيمو . ويقل نشاط الصيد في الفترة الممتدة من أواخر الصيف وحتى الشتاء إذ يترك الكاريبو الاقاليم الساحلية كما أن الثلوج لم تأخذ بعد صفتها الدائمة التي تتواجد عليها في الشتاء . ويوجد دائماً وفرة في الطعام المخزون الأمر الذي يوضح . كيفية عدم الإستمرار في مواقع الماسكرات والمحلات العمرانية التي ظهرت في الفصل السابق . وتستطيع الأسر المختلفة أن تعود إلى نفس المكان مرة أخرى حين يأتي موسم الاصطياد . وتشغل بعض الجماعات الكندية منازل حجرية دائمة في وقت الصيد مما يساعد على استخدامها لعدة أجيال بل قد تستخدم بحفّة دائمة إذ كان من السهل الوصول منها إلى مناطق صيد الشتاء وبعضها يبقى مسكوناً حتى بداية الربيع .

ويشتهر الأسكيمو بأدواتهم المميزة وطرقهم المتعددة في الصيد والنقل وصنع الملابس وبناء المساكن . فبعض طرق ملائمتهم للحياة القطبية لم تكن وليده تقدم العلوم الصناعية في العالم الحديث . فالرحلات الاستكشافية الكبرى التي اتجهت إلى المناطق القطبية والشبه قطبية والمجهزة بأحدث تكنولوجيا العلوم لجأت لإستخدام بعض معدات الأسكيمو مثل الزحافات وكلاب الأسكيمو المدربة وقارب السكاياك والملابس الجلدية ولا سيما أردية القدم أو أحذية الجلديد .

وقد لجأ الأسكيمو إلى ملائمة حياتهم بهذه الصورة في بيئته ينقصها موادها الرئيسية ولا سيما الأخشاب التي تستخدم أغراض تكنولوجية عديدة في بقية

أنحاء العالم . فالأحجار والعظام والعاج وجلود الحيوانات وكذلك الثلوج والجليد قد تحمل محل الأخشاب . فقد تستخدم العظام والعاج والفرون في عمل الزحافات إذ تصنع الزحافة التقليدية لاسكيمو الوسط عن طريق تجميع عظام فك الحوت وحقيقة أنهم يصنعون الزحافة من قطع متعددة وليس قطعة واحدة حيث لها ميزة عملية هامة إذ أن الزحافة المصنوعة من قطعة واحدة قد تكون أقل ثباتاً أثناء انزلاقها على الجليد من تلك المصنوعة من قطع متعددة .

ويعد كلب الزحافة من أشهر عناصر حضارة الاسكيمو إذ أن هذا الكلب الضخم القوى القلب هو الحيوان الوحيد الذي يربى في جميع بقاع الاسكيمو حيث يستخدم عدد من الكلاب التي يقودها كلب متقدم ببضعة أقدام عن الأخرى في جر الزحافة وتكون كلاب كل زحافة مجموعة متألفة يقودها أقوى المجموعة ويشجعها حيث يعرف كل كلب موقعه في عجلة الجر عن طريق التمود . ويصل عدد كل مجموعة خمسة أو ستة كلاب ولكن في أغلب الأحيان يقل العدد عن ذلك إذ أن الكلاب العاملة تستهلك كميات كبيرة من الأسماك والطيريات الأمر الذي يجعل اقتنائها بأعداد كبيرة أمراً مكلفاً ولا سيما أبان فصل الشتاء الطويل .

ويعتبر قارب الكاياك وسيلة هامة للصيد لاسكيمو الساحل في فصل الصيف . وهذا القارب الذي لا يزيد حجمه عن قوارب « الكانو الصغير » يعتبر من أفضل القوارب البحرية الصغيرة التي اخترعت فقد صنع إطاره أو هيكله من عظام الحيتان ويبطن كله بالجلود ولم يترك فتحة سوى تلك التي يجلس فيها النوتي . وما أن يجلس بها وهو مرتدى جاك من الجلد ويثبت في القارب حتى يصبح جزءاً منه .

أما عن الأوميك *Umiak* قارب المرأة فهو أكبر حجماً من الكاياك كما أن سطحه مفتوحه وذلك عن النقيض من قارب الرجال ويستخدم عادة كوسيلة في

الانتقال أكثر من استخدامه في الصيد . وتستخدم قوارب السكاياك والاوامياك أيضا بعض القبائل في شمال شرق سيبيريا أذ وصل إلى هناك عن طريق جماعات الالاب القديمة في النرويج . ويستطيع الباحث أن يحزم أن هذا القارب من اختراع الاسكيمو وينطبق ذلك على بعض أدوات الاسكيمو الأخرى .

وعلى الرغم من أن منزل الاسكيمو بسيط إلا أن فحصه يشير إلى دقة تركيبه فنزل الثلج الموقت الذى يطلق عليه اسم أيجلو Igloo معروف جيدا لـ كنيز من الدارسين غير أنه ليس من السهل تشييده ، كما يتصور البعض فكنل الثلوج الضخمة تقطع من جروف ثلجية متماسكة بواسطة سكاكين طويلة عظمية ثم ترص على شكل قبة . ويستطيع الاسكيمو قطع الكتل الثلجية بسرعة فائقة وبأحجام دقيقة تلامس الأماكن المطلوب وضعها فيه بدقة . وإذا كان استخدام المنزل لفترة طويلة فإنه يبنى بقطر يصل إلى ١٢ قدما وارتفاع في الوسط يصل إلى تسعة أو عشرة أقدام . شكل (٦) وقد تبنى أماكن جانبية للطهي والتخزين كما يمد رصيف كبير من الثلوج للنوم وتغطي بالجلود . وتسمع النوافذ من جلود أمعاء عجل البحر وتبدو على هيئة ثقب . وقد يستخدم في بعض الأحيان غطاء من الثلج كنافذة وذلك حينما يبنى المنزل لفترة مؤقتة . ومدخل المنزل عبارة عن نفق صغير يمكن الدخول إليه عن طريق الزحف وذلك لكي يمنع البرودة . وهذا النفق طويل في المادة لنفس السبب السابق وترتفع أرضية الحجرة الرئيسية غالبا قدم أو اثنين عن مستوى الممر وذلك أيضا من أجل الابتعاد عن تيارات الهواء الباردة . وتغطي في بعض الأحيان جدران الحائط والأسقف بجلود عجل البحر وذلك عن طريق تثبيتها بأحبال تحرق الحوائط . وفي هذه الحالة تخلق طبقة عازلة من الهواء حيث يستطيع الالهالى أن يرفعوا درجة حرارة المنزل عن طريق المواقد لدرجة معتدلة دون أن تؤدي إلى إذابة الحوائط الداخلية كثيراً .



شكل (٦) أحد الاسكيمو يجلس في خيمته
والمنازل الدائمة التى تشيد على الساحل لها مائل المنازل السابقة ولكنها
تختلف عنها فى أنها تنحوت فى الأرض لعمق قدم أكثر، وأن حوائطها تبنى من
الحجارة التى ترتفع عن سطح الأرض ما بين خمسة وستة أقدام، كما تستخدم
عظام الحوت ولا سيما الضلوع كدعائم للمنزل ويراعى وضع العظام المقوسة فى
واجهة المنزل وذلك لسهولة عمل النوافذ كما يغطى السقف بالجلود مع العلم بأن
التلوج الساقطة فى فصل الصيف تكون طبقة عازلة فوق المنزل، أما الأرض
والحوائط والأسقف وكذلك رصيف المعيشة أو مكان العيش فتغطى جميعها
بجلود عجل البحر. أو عظام الحيوانات الأخرى فتستخدم كمشابج فى الحائط
أو تستخدم فى أغراض أخرى كعمل السناير والفخوخ.

والمنازل ذات تهوية كافية غير أنه لا يوجد بها تيار حيث يدخل الهواء البارد
من الممر ويدفع عن طريق المصابيح ومن ثم يخرج زويدا زويدا من الفتحة

الصغيرة الموجهة في السقف ، أما في المساكن الأصغر فتستخدم المصابيح في أغراض أكثر من كونها مدافء . وفي معظم الأحيان ترتفع درجة الحرارة في المنازل لدرجة أن السكان يتعرون حتى الوسط . ويوجد في معظم القرى الثابتة كوخ كبير يستخدم لمقابلات الجماعة واحتفالاتهم واقامات لطقوس المختلفة .

وفي فصل الصيف تستخدم خيام مصنوعة من جلود الكاريبو وعجل البحر حيث يصنع إطار لها على شكل نصف مخروط من عظام الحيتان مع عمود يمتد أمام الخيمة . أما من ناحية تنظيم الداخل فيشبه ذلك التنظيم الموجود في المساكن الشتوية لهم .

وملابس الاسكيمو ملائمة تماما للاحوال القطبية فهي محاكة بإتقان ومصنوعة بدرجة أنه من الصعب إدخال أى تحسينات عليها . فكل الملابس مصنوعة من جلود الحيوانات فيما عدا رداء المطر الواقى المصنوع من الجوت Gutz . ويعد الجلد أولا عن طريق تخليصه من الدهون الموجودة به من الداخل بواسطة سكين ثم يشد بعد ذلك على عظمتين ليجف وبعد ذلك تقمن النساء بمضغ الأجزاء الداخلية لتخليصها من الدهون المتبقية ولتليينها . ويحفف بعد ذلك للمرة الثانية حيث تستخدم مقاشط وسكاكين من العظام لتليينه أكثر . والجلود المصنوعة بهذه الطريقة يمكنها المحافظة على درجة الحرارة .

ويرتدى كل من الرجال والنساء قمصان داخلية مصنوعة من جلود الكاريبو والطيور أو الفراء ويوضع فوقها قبض خارجى مبطن بالفراء ومصنوع أيضا من جلد الكاريبو أو جلود الدببه ويمتد حتى الركبة أما النساء فلا يصل البنطلون إلى الركبة ويرتدى كل من الرجال والنساء أحذية صيفية مصنوعة من جلود عجل البحر بينما تصنع أحذية الشتاء من جلد الكاريبو . ويصل حذاء السيدات حتى نهاية

بنطلونهم القصيرة بينما يصل حذاء الرجال حتى الركبة . وهذه الأحذية لانطى
المفاصل ومن ثم فتوضع لها ما يشبه الرقع وذلك لحمايتها .

وتتعم صناعة الاسكيمو بالتنوع الكبير في أسلحة الصيد فهناك أنواع
عديدة من المقاشط والسكاكين والخارز وأنواع أخرى من الأسلحة المدببة التي
صنعت عن طريق شطف الحجارة وحكها . وفي بعض الأماكن القليلة المأهولة
عرف الاسكيمو كيف يطرقون النحاس لتشكيل بعض السكاكين كما استخدم
الحديد في صناعة بعض المقاشط والسكاكين في شمال غرب جرينلند . وأسلحة
الصيد التقليدية هي الفؤوس والسهام وتصنع الفؤوس في العادة من ثلاث قطع من
العظام التي تربط سويا بواسطة حبال مطاطة . ويعتبر الرمح بأنواعه المختلفة
أهم أنواع أسلحة الاسكيمو الوطنية ، ويتكون الدمج في العادة من أجزاء متعددة
فالرمح الذي يستخدم في صيد عجل البحر يتكون من أربع أو خمس عقل تثبت
رأس حربه في طرف العقلة الأمامية . وقد تصنع رؤوس الحواب من العاج وإن
كان معظمها يصنع في الوقت الحاضر من المعدن . وتثبت رؤوس الحراب الطويلة
في عصي الحربة على طريق ثقب طوله وعن طريق عقد حولها .

وقد يصنع عديد من الأواني المنزلية من العظام والعاج . فمن طريق المنقب
المنحني تمكن الاسكيمو من قطع وتشكيل أدوات دقيقة كالأبر والامشاط والمغارز
والمعالق والتي قد تزين بنقوش ، كما أن تزين الأسلحة بواسطة التماثيل أمر سائد
بين الاسكيمو . وقد تحت بعض أواني الطهي ووعاء لمضة الإنارة من بعض
الأحجار . أما الأدوات الأخرى مثل الأكواب والشنط والجراذل والاطباق فقد
تصنع من جلود عجل البحر المحاكاة . أما عملية الطهي فهي عملية بسيطة من القلي
ولذا فقد اخترع الاسكيمو نوعا من الانية الفخارية لهذا الغرض .

ويؤكل معظم طعام الاسكيمو نياً ومن ثم ففنون الطهي غير متقدمة لديهم
 إذ ينظر إلى الطعام ببساطة على أنه مجرد تموين الجسم بالوقود . ويستطيع رجل
 الاسكيمو أن يأكل كمية كبيرة من اللحوم في الوجبة الواحدة حيث يضع في فة
 قطعة طويلة من اللحم ويقوم بتقطيعها بالسكين بالقرب من شفتيه . وقد تهدد
 المجاعة الاسكيمو باستمرار في بعض أوقات السنة حتى أن جلود الاحذية قد
 تمضغ في بعض الاحيان من أجل زيوتها وذلك في حالة غيبة الطعام . أما بعض
 الطيور واللحوم فتأكل في أغاب الاحيان بعد فسادها ، حتى الديدان التي تعرض
 في اللحوم الفاسدة لاستبعاد منها عند أكلها . أما أمعاء الطيور والاسماك فقد
 تدخن كما أن الاسماك الصغيرة قد تجلب حية . ولا يمكن لعائلة الاسكيمو أن
 تتعرض لمجاعة كثيراً مادامت يوجد لدى للعائلات الاخرى الموجودة في المعسكر
 طعاما . فأي شخص جائع أو غريب يمكنه أن يتقدم لياكل من اللحوم التي لدى
 شخص آخر . وحتى في أوقات وفرة الطعام يوزع الصائد المساهر فريسته على
 الرغم من أنه قد يحتفظ لنفسه ببعض الاجزاء المرغوب فيها . والمسائلة ليست
 مسائلة كرم بقدر ماهي حقيقته تتصل بالحياة والموت إذ أن الصائد الذي ينجح
 مرة في اصطياد فريسته قد يفشل مرة أخرى ومن ثم فالمشاركة هي الوسيلة
 الوحيدة للتوزيع حيث أنه لا يوجد سوق أو أي نوع من التجارة ومن ثم فبواسطة
 هذه الطريقة يتصرف الاسكيمو في انتاج الطعام القردى .

وكل مواطن أو فرد له حربه استغلال انتاج الارض والبحر وحتى المنازل
 الثابتة أو الدائمة فلا ينظر اليها على أنها ممتلكات خاصة فإذا كان المسكن متوفرا
 حتى ولو لفصل واحد فأى عائلة أخرى يمكن أن تستغله . أما ملابس الفرد
 الخاصة وأسلحته وأى شيء آخر يقيم لصناعته لاستخدامه الشخصي فكما هو
 الحال في المجتمعات الاخرى تعتبر ملكا له ويتصوف فيها كما يشاء . ولذا فقد

يعبر الاسكيمو أسلحته وبعض أدواته إلى شخص آخر إذا ما طلب ذلك .
واكمل من الرجل والمرأة مجال نشاطه الخاص . فالرجال صائدون أو صانعوا
أدوات صيد بينما تقمن النساء بجميع الطيور من مغالبها وكذلك جمع بعض
النباتات التى يستصاع أكلها والمحاربات والاطعمة البحرية وذلك إبان فصل
الاصيف . وتعد من أصعب الاعمال وأكثرها مهارة صناعة المرأة للملابس وذلك
بعد إعداد الجلود اللازمة لذلك . والنساء كما هو الحال فى المجتمعات عليهن
تدبير أمور المنزل ورعاية الاطفال والطهى والاصلاح .

وتعتبر العائلة الوحدة الانتاجية فى المجتمع ، فهى الصناعة وهى المستهلكة
وذلك فيما عدا المشاركة بين العائلات . وتوزع الثروة على كل سكان المحلة العمرانية
فيما عدا بعض الاختلافات الفرعية وذلك بالنسبة لصاحب الشئ ومن ثم فليس
هناك فقرا أو غنى فى المجتمع . ولا يوجد تخصص فى المجتمع إلا فى وظيفة
الشامان Shanana أو المطيب الذى يعرف باسم أنجاكوك Angakak الذى
يعطى الهدايا فى سبيل خدماته من أجل شفاء المرضى . وهو رغم ذلك يقوم
بالصيد من أجل العيش ومن ثم فنخصصه جزئى ووقتى .

وقد يكون للرجل المطيب أو الشامان تأثير شخصى قوى فى المجتمع ، غير أن
ليس له وظيفة أو نفوذ . وكما هو الحال فى المجتمعات البدائية الأخرى ينقصها
تماما التنظيم الدينى والحكوى ، كما ينقصها ايضا التقسيم الإجتماعى والتنظيم الحربى
وغيرها من الصفات التى تميز المجتمع المتحضر . فوحده العائلات المنفردة فى المحله
العمرانية تعتمد أساسا على صلة الدم والتعاون الإقتصادى غير أن هذا التنظيم
ضعيف وذلك بسبب التغير الدورى فى مكان السكن والاختلافات الفصليه فى حجم
وعضويه الجماعة . فلا توجد الروابط القبلية أو أى نوع آخر من التنظيم

الوحدوى بين المقمين فى مجلة عمرانية واحدة . ونظام رابطته الدم الذى يوجد لدى الاسكميو يشبه ذلك الموجودة لدينا فاقارب الام يطلق عليهم نفس الالقاب التى تطلق على اقارب الام فى مجتمعتنا كذلك بالنسبة لاقارب الاب فينادوا بالعم والعمة وغير ذلك من رتب القرابة . نفس التميز يظهر فى الجنس وفى الجيل وبين الاصلا ب وغير الاصلا ب والاتجاه الاخير اتجا ه غير عادى بالنسبة للمجتمعات البدائية اذ لا يظهر الا فى الحياة المتمدنية فمصطلح أب أو أم لا يشمل سوى الوالدين فقط ولا يطلق على الام أو الخالة كذلك مصطلحى أخ واخت لا يستعمل بالنسبة لابناء العمومه . وهذا النظام يعكس بصفة عامة الحياة الاجتماعية والاقتصادية للاسكميو . فكما هو الحال فى مجتمعتنا نجد أن الأسرة النووية التى تتكون من الاب والام والاطفال ليس لها نظام اذ يرتبط جميع افراد الأسرة مع بعضهم على مدار السنه .

وتقدر عائلته الاسكميو الاطفال اذ يتساوى لديهم الذكور بالاناث غير أن صعوبة الحياة وقسوتها تدفعهم إلى التخلص من الاطفال المرضى والمشوهين كذلك حين حدوث المجاعات لابد ان يضحي بالطفل وفى هذه الحالة تكون الاسبقية للبنات . ويرضع الاطفال فى العادة لمدة عامين ما دام لم يأتى الطفل جديد فى هذه الفترة وأن كان يعطى للأطفال فى هذا السن من آن لآخر بعض اللحوم النيئه التى تقوم الام بمضغها قبل اعطائها لطفلها . (شكل ٧)

ويشهر الاطفال اذ ما ارتكبوا خطاء اذ لا يوجد فى الواقع أى نوع من العقاب عند الاسكميو ، ويلعب الوالدان دورا كبيرا فى مساعدة الاطفال فى اللعب وتعليمهم وانتقال الاطفال إلى عمل البالغين يحدث تدريجيا وذلك بالنسبة للذكور والاناث على السواء ، وسن البلوغ يتراوح ما بين ١٣ و ١٥ عاما . ولا يصاحب



شكل (٧) سيده من لاسكيمو تحمل طفلها

بلوغ الذكور والاناث أى طقوس ملحوظة ، وبعد البلوغ هناك اتصالات جنسية بين الشباب والشابات إذ لابد أن يبقى الفرد فترة طويلة اعزب لان تكوين الأسرة يتطلب الا كنفاء الذاتى .

وتوجد حرية كبيرة فى اختيار الزواج وان كان هناك بعض التقاليد المعترف بها فى هذا الصدد لاذ لايجوز الزواج بين الآباء والابناء أو الاحفاد أو الاخوه غير أن زواج ابناء العمومه أمر شائع . والزواج يكون فى العادة محلى حيث يختار الزوج زوجته من القرية التى يعيش بها وأن كان ذلك لا يمنع من أن الاختيار قد يحدث من خارج المحلة العمرانية التى يعيش بها . ويبدو انه ليس هناك قواعد معينة لاقامة الحياة الزوجية فى الحالة الاخيرة فيمكن للزوجين ان يقيميا فى محلة الزوج أو الزوجة على السواء .

ويلاحظ بصفة عامة أن سن زواج المرأة أقل من سن زواج الرجل في العادة
ببضعه سنوات ويحدث الزواج عادة بين ١٥ و ١٤ سنة . ولا تقام احتفالات
للزواج ولا يقدم العريس مهرا لعروسه أو أى هديه من الهدايا . فالعريس يحمل
عروسه من أسرتها وكأنه يأخذها عنده . ومن ثم فلا بد وأن تبدى العروسه
مقاومة ظاهرية عند حملها . وقد يحدث تعدد الأزواج أو الزوجات في بعض
الاحيان ولكن التقسيم الاقتصادي للعمل في المجتمع في مثل هذه الحالة يكون أكثر
إيجابية ومن ثم فهذا النوع من الزواج هو النسب انواع الزواج عند الاسكيمو .

والطلاق مسائله شائعه لدى الاسكيمو ولا سيما في حالة عدم انجاب اطفال
والبغاء أمر معترف به بين الاسكيمو والحرية في هذا ممنوحه كاملا للرجل
فالرجال لهم الحق بمعاشره أى امرأة دون الخوف من النقد ولكن قد تضرب
الزوجة بقسوة من زوجها إذا ما اختلطت برجل آخر دون إذن ويتبادل الأزواج
زوجاتهم في العادة لفترات قصيرة وليس هناك حاجه في أن يأخذ الأزواج
رأى زوجاتهم في هذا الصدد . وكرم الضيافه صوب الغريب أمر معترف به
بين الاسكيمو إذ يحتم كرم الضيافه أن يعطى زوجته إلى الضيف اثناء وجوده
وليس هناك عدم الاعتراف بشرعية الاطفال وان كان الاطفال الذين يأتون
سفاخا يقتلون في بعض الاحيان وذلك لضرورة اقتصادية حيث تفتقر أم الطفل
لرجل يصيغادها .

سلوك اجتماعى آخر جدير بالملاحظة بالنسبة للاسكيمو وهى قتل المسنين أو
الاشخاص العاجزين . وهذه العادة على أى حال ليس خطيرة لانها تحدث في
أوقات المجاعة وذلك لأسباب واضحة جدا .

فحياة المجموعة ككل أو على الأقل حياة الأسرة يمكن أن تهدد نتيجة لزيادة أى أعباء عليهم أو يدرك الكبار ذلك تماما ، ولهذا فقد يقتل الابن والده أو والدته تبعا لأمريهما . وفي بعض الحالات الأخرى ككبار السن والمرضى ربما يتركوا للموت وهذا أيضا بناء على طلبهم . وكثيرا ما تأخذ روح التضحية الذاتية من أجل الأسرة أو القرية شكلا جماعيا . وعلى الرغم من ان الاسكيمو يتسمون بالاحساس الدقيق إلا أن عليهم أن يواجهوا عملية القتل القاسية كما يواجهوا أى حقيقة أخرى تقابلهم فى حياتهم .

وقد يعجب دارسو مجتمعات الاسكيمو من صعوبة الحياة التى يعيشها الاسكيمو لدرجة أن بعضهم قد يصاب بالانهار الكامل فيما يعرف باسم « المستريا القطبية » *arctic hysteric* ، حيث يفقد الشخص قدرته على السيطرة على نفسه تماما ، ويصبح ويعرض على شفثيه ويلقى بنفسه على الأرض . وهذا السلوك أمر عادى وقد يصاب به الاسكيمو حين يصاب بصدمة . ولكن رغم ذلك كله فيتصرف الاسكيمو بالبشاشة والتفائل الأمر الذى يبرئ على سرور أى غريب يعيش بينهم .

وفى حالة الوفاة يسرع الاسكيمو فى التخلص من جثة المتوفى وشأنهم فى ذلك شأن معظم الشعوب وذلك خوفا من الأشباح . ويكفن المتوفى بأفضل ثيابه ويوضع فى كيس من جلد عجل البحر ثم يدفن تحت كومة من الاحجار مصحوبا بكل ممتلكاته الخاصة . وقد يخشى الاسكيمو ظهور شبح المتوفى فى غضون الخمسة الايام التالية للوفاة ومن ثم فقد يبتعدوا فى هذه الفترة عن كل انشطتهم . وبعد ذلك يقال أن الأشباح قد تختفى فى العالم الآخر . أما اسم المتوفى فقد يعطى لمولود جديد من أحفاده ومن ثم فيظل الشخص المتوفى ذكرى فى جماعته . ولا يعتمد الاسكيمو كثيرا فى الحياة الآخرة .

وينظر الاسكيمو للمرض على أنه نتيجة لقوى طبيعية خارقة ومن بين
المعتقدات السائدة لديهم أن الارواح قد تسلب من جسد الشخص المريض ، كما
قد يسبب المرض في بعض الاحيان رجل مطب شرير أو بالروح التي تسيطر عليه
والتي غرسها في جسد المريض . ويظهر الاتجاه الاخير بوضوح في حالة شكوى
الشخص من ألم في بعض أجزاء جسده . وفي كلى الحالتين يستدعى الشامان أو
الرجل المطب لتشخيص الحالة ومحاولة طرد الروح الشريرة المسيبة للالم ، ويمتقد
الاسكيمو اعتقادا راسخا في مقدرة الشامان في هذا الصدد . وجماعة الشامانين
إناس يعتقد ان لهم مواهب خاصة تجمعهم مقربين من عالم الارواح . فمن أهم
مواهب الشامان في اعتقاد الاسكيمو هو مقدرة على معرفة الأشياء من الارواح
وتحضيرها فيمكنه مثلا أن يذهب إلى قاع البحر للاستعانة بالهة البحر المروفة
باسم Sodna وذلك من أجل أن يأتي المزيد من التدييات البحرية إلى تخوم
محلثهم العمرانية أو من أجل أبعاد عاصفه هوجاء لكي يتمكن الاهالى من الصيد .
كما أنه قادر على أشياء أخرى مثل معرفة سبب المرض أو الدعاء لوفره من الصيد
أو لتحسين الطقس وغير ذلك من الأمور المفصلة يسهل الحياة في مجتمع يتسم
بالفقر البيئى .

ولكى يصبح الشخص شامانا لا بد وان تدخل روح مساعده في جسده خلال
احتفال تشهده كل القرية ، ويتضمن هذا الاحتفال ضرب الرجل وترديد بعض
الاغاني والرقص بعنف أحيانا إلى أن يسقط الرجل في حلبة الرقص حينما تدخل
الروح في جسده . فينطلق لسانه متحدئا بصوت أجش مختلف عن صوته ومعبرا
عن الروح . ويحدث كل ذلك في مكان شبه مظلم حيث لا تحب الارواح الضوء
وعلى الرغم من ممارسة الشامانين لأعمال السحر إلا أن الاسكيمو يعتقدون اعتقادا
راسخا فيهم كما يعتقد الشامانون في أنفسهم .

وتتسم نظرة الاسكيمو إلى العالم الطبيعي بأنها نظرة بدائية للغاية فكل مظاهر الكون حتى الاحجار تمتلكها الارواح . وللحيوانات روح مثل الإنسان لذلك فالحيوان المذبوح يتخلف عنه شبح الذى يجب أن يعامل مثل شبح الإنسان ولعل من الأمور المتصلة بهذا الرأى الاعتقاد فى فاعلية الاحجبه وهى الأشياء التى يحتفظ بها الناس ضد السحر والشعوذه . وهناك عدد كبير من هذه الاحجبه بين مجموعات الاسكيمو تتعلق بمعتقدات بعينها . وبختلف الافراد داخل المجموعة الواحده فيها بينهم وذلك بالنسبة لهذا المعتقد غير انهم جميعا يحملون عددا كبيرا من الاحجبه .

ونجد فى عالم الارواح هذا أن بعض المعتقدات أهم من البعض الآخر لان لها سيطرة على الأشياء التى تهتم الناس فثلا تعتبر سدنا دالهة البحر ، أكثرها أهمية لا بمعنى أنها الالهة التى ترأس جميع الالهة الأخرى ولكنها فقط تتحكم فى البحر الذى يحتوى على جميع الموارد التى تهتم الاسكيمو ولذا كان اهتمام الاسكيمو بها . ومن أكثر القصص شيوعا عن سدنا تلك القصة التى تحتوى على الاحداث التالية وكانت سدنا مجرد فتاة عادية تزوجت من أحد طيور البحر ورحلت معه فغضب والدها غضبا شديدا وخرج ليعيدها إلى بيته وحدث أثناء رحلة العودة أن انتقم الطائر منه بأن أثار عاصفه عرضت سفينته للخطر فاضطر الوالد إلى أن يلتق بأبنته من فوق ظهر السفينة حتى يوقف الطائر هبوب العاصفة . وأمسكت سدنا بجانب السفينة وقام والدها بقطع أطراف أصابعها فسقطت هذه الاجزاء من أصابعها فى البحر وأصبحت حيتانا، وعادت سدنا تمسك بالسفينة مرة أخرى ولكن والدها قطع جزءاً آخر من أصابعها لتصبح فيما بعد عجولا للبحر . أما الاجزاء المتبقية من أصابعها فتد صارت بعد بترها الفقمة . وأخيراً

هبطت سدنا إلى قـاع البحر حيث اتخذته مسكناً وأصبح لها سلطة الحكم على الحيوانات البحرية وهى تشعر بغضب خاص نحو بنى الإنسان عندما يسيئون التصرف ويكون عقابها لهم بمنع حيوانات البحر منهم .

وفى بعض أجزاء منطقة الاسكيمو ولا سيما فى الاسكا يسيطر رجل القمر « moon man » على حيوانات الصيد ويقوم الرجل المطيب بإرسال روحه طائراً إلى القمر يستجدى ظهور حيوانات الصيد من أجل شعبه وتبجسد الشمس طبتما كما تتجسد جميع الظواهر الطبيعية والشمس تعتبر فى بعض الاماكن فى مثل أهمية سدنا .

والاسكيمو عدد كبير من القصص والخرافات التى انحدرت الينا عبر مئات السنين دون تغيير ، كما يتضح ذلك من أن بعض الخرافات مطابقة تماماً للخرافات الاخرى عبر ٣٠٠ ميل على الساحل . وتعتبر بعض القصص مثل قصة سدنا امورا حقيقية من وجهة النظر التاريخية . فالقصص التى تصف أصل الناس وتاريخهم ينظر اليها على أنها الحقيقة . أما القصص الشعبية فهى تقص للترفيه ويسمح للقصص أن يضيف اليها من الامور ما ليس صحيحا . والبعض يقص على انه أغاى دينيه وعلى العموم فإن القصص تروى للترفيه .

وبعض القصص قصيرة جدا ولعل من الافضل تسميتها بالقصائد وذلك لان شكلها ونبرات كلماتها تبدو وكأنها خرافية ، كما أن الغناء من أساليب الترفيه المحبوبة وهو عادة ما يؤديه فرد امام مجموعة من الناس يشدون أو يرتنون بقصة قد ابتكرها بنفسه وهو اداء ينقصه التنعيم ولكنه إيقاع فى المقام الاول ويصاحبه آلة موسيقية وهى المعروفة باسم التامبورين Tamboirine وهى الآلة الوحيدة التى يعرفها الاسكيمو . ويتحرك المغنيون فى إطار تقليدى

ويتكون منه من مهارته في رواية قصه في حدود هذا الإطار . وكثيراً ما تقام المسابقات الغنائية التي يحدد فيها المستمعون المغنى الفائز ، وفي بعض الجهات يكون حسم النزاع بين شخصين عن طريق التنافس الغنائى. ويقوم المستمعون بعد ذلك بدور المحلفين .

وقد تعرضت حضارة الإسكيمو في المناطق الكندية والمناطق الوسطى لفترة من الفقر الشديد منذ مرحلة جماعات جزر تول Thule وقد اصبحت مراكب صيد الحيتان التابعة لكثير من الشعوب الأوربية دوراً كبيراً في إلحاق الفقر بالإسكيمو ولكن سبق ذلك الفقر لكن المستمر الذى أحدثه الإرتفاع البطيء في الأرض الذى غير عمق الممرات المائية بدرجة أدت إلى عدم اقتراب الحيتان من مناطق استيطان الإسكيمو .

ومنذ اتصال الإسكيمو بالرجل الأبيض فقد تعرضوا لكثير من المناعب التى يعرفها البدائيون فثلاث تعرضوا لأمراض الأوربين مثل البرد العادى والسل والانفلونزا والحصبة والجدرى وغيرها من الأمراض التى أبتلى بها الشعب . وكان أول من تعرض لهذه الأمور وبشكل واضح إسكيموا ألاسكا ذلك لأن التطور الإقتصادى وتغلغل الرجل الأبيض منذ الفترة التى اندفع فيها للبحث عن الذهب مبعثراً عن المناطق الكندية أدى إلى تأثير جميع الإسكيمو بهذه الأمراض فحيثما وجد الإسكيمو ولو بأعداد قليلة حيث تمارس بيع الفراء أو القيام بالأعمال اليومية فقد أظهروا اهتماماً متزايداً للطبائى والسكر والدقيق والشاى والبن وأصبحت أطعمتهم الوطنية التى يعدونها بالطريقة الخاصة بهم أكثر اتزاناً من حيث قيمتها الغذائية، ولكن استخدام السكر والدقيق قد أدخل بنظام تغذيتهم وأصبح الجميع يشكون من اضطرابات في التغذية مثل سقوط الأسنان والإضطرابات

الجلدة والمعدية والمعوية. وأصبحت البندقية الحديثة أمراً عادياً وإن كان ماترتب على استخدامها وصل إلى درجة الخطورة فتند أو شكت قطمان الكاربو والثيران الموسكية على الإنقراض فلم تعد مصدراً يعتمد عليه كغذاء صيبي . . وفي بعض مناطق الإسكيمو أصبح الناجر هو الحاكم المستبد المستغل وإن كان أحياناً حاكماً خيراً . ويحصل الإسكيمو على النقد عن طريق بيع الغذاء والإبحار به . وقد يحصل أحياناً على بندقية أو عدد من الطلقات النارية أو أقمشة للخيمة أو مخز من من الصلب أو السكاكين والبلط وذلك ثمناً لفرائهم . ولكي يحصل الإسكيمو على الحيوانات ذات الفراء معظم الوقت كان عليهم أن يستغنى عن عمليات الصيد من أجل الطعام وبذلك أصبح اقتصادهم اقتصاداً نقدياً حتى يستطيع أن يشتري ما يحتاج إليه من طعام . ويتميز الإسكيمو بصفة الصداقة الحقة فهم شعب منفتح كثير الثقة بالآخرين . وفي ألاسكا بالرغم من الاستغلال الذي يتعرضون له عاماً بعد عام فإنهم عن طريق الهيئات الحكومية والمدارس يمكن أن يكونوا على اتصال بالعالم دون أن يؤدي ذلك إلى القضاء عليهم . وفي المناطق القطبية الوسطى لم يتعرض الكثير منهم إلى تأثير المدينة الحديثة تأثيراً كاملاً ولكن أغلب الظن أن ذلك سوف يحدث في القريب العاجل ، وكما سبق لنا الإشارة ليس في وسعك إلا أن تحب الإسكيمو . . ولكن هذا لا يرفع أيدي الرجل الأبيض عن حدود بلادهم وعن استغلالهم استغلالاً بالجلدة ويقدر تعداد سكان الإسكيمو بحوالى ٣٩ ألف نسمة يعيش ١٠ ألف منهم في كندا، ومن المحتمل أن عددهم كان ضعف ذلك من قبل . ففي جرينلاند اختلط الإسكيمو بالرجل الأبيض وهي دانماركي في أغلب الأحيان ، أما في ألاسكا فإن اختلاط الإسكيمو كان بالرجل

الايض والهنود. أما في المنطقة القطبية الوسطى فإزال الاسكيمو محتفظا بنقاوته
معظم الوقت ولكن التأثير الحضارى والاختلاط السلالى عملية مستمرة وإذا
ما استمر توسع الاقتصاد الكندى فإننا نتوقع أن يتزايد غزو الرجل
الايض لمناطق الاسكيمو .

مراجع الباب الاول

- 1 — Bird, J., antiquity and Migration of the early inhabitants of Patagonia, Geogeaphical Review, Vol 28, No. 2, 1938
- 2 — Bridges, E.L., Uttermost part of the earth, N.Y, 1949.
- 3 — Cooper, J.M , Temporal sequence and the marginal Cultures anthropological perics, Catholic Uinuersity of america, No 16, 1941.
- 4 — Darwin, C., Charles Darwin and the Voyage of Beagle, N.Y., 1946.
- 5 — Lothrop, S.K, The indians of Tierra del Fuego, Museum of the americcn Andian, Neys Foundation, Vol. 10, N.Y, 1928.
- 6 Service, E.R., Aprofile of primitive culture, N.Y, 1958.
- 7 — Man, E.H, on the aberiginal inhabitants of the Andaman islands, london, 1935.
- 8 — Mouat, F.J., adventures and researches amoug the Andaman islanders, Lcnder, 1863.
- 9 — Radcliffe-Broun, A.R., The Andman islanders, Glencoe, III 1948.
- 10 — Birket-Smith, K., The Eskimos, N Y. 1936.
- 11 — Mowat, F., people of the Deer, Bcstrn, 1952.
- 12 — Weyer, E.M., The Eskimos. New Haven, 1932.

المبحث الثاني

القبائل البدائية

- الجيفارو
- التانجوس
- الشين
- النوير
- تاهيتي بولينزيا

قبائل الجيفارو

JIVARO



قبيلة الجيفارو في أمريكا الجنوبية

يمثل حوض الأمازون واحداً من أكثر السهول الرسوبية اتساعات في العالم ، كما أنه يمثل أكبر منطقة من غابات الأمطار الاستوائية في العالم ، إذ يشمل على مساحة تقرب من مساحة أوروبا كلها . فالمسافة من الأراضي المرتفعة في شرق البرازيل وعبر المنخفضات ، حتى سفوح جبال الأنديز في طرف القارة الغربي تبلغ أكثر من مائتي ألف ميل . كما أن غابة الأمازون هي واحدة من أكثر مناطق العالم المشوطة تخلصاً . وعلى هذا يمكن أن نعتبرها أراضي صحراوية وإن كانت تبدو ، كما حدث لعدد من الرحالة الذين زاروها ، أنها أراضي شديدة الخصوبة . ويبدو أن النبات الذي اندثر قد كون طبقة لينة من التربة ، فالمطر وفير وتدل الأشجار التي تنمو هناك بكثافة على أن الأرض بها امكانية كبيرة للزراعة . ورغم حقيقة أن غرض الغابة قد أثار قدراً كبيراً من الاهتمام ، فإن هناك عدداً كبيراً من الأساطير والمعلومات الخاطئة عنها أكثر من أي منطقة أخرى من العالم .

أول هذه المخلوطات الخاطئة هو أن التربة غنية وخصبة فإن التربة ليست غنية بموادها العضوية ، فهي شديدة الفقر لكثير من الزراعات . وإن كانت الأشجار تنمو بكثافة ، فإنها تنمو بسبب المياه الجوفية أكثر منها بسبب نوعية التربة . والتربة الاستوائية شديدة الفقر في الأملاح المعدنية فالأملاح المعدنية والمواد العضوية تتأكل بسرعة بفعل تكاثف المناخ الاستوائي وترشيع مياه الأمطار والميزة الوحيدة للغابة المطيرة هي لين تربتها ، فالناس البدائيون الذين لا يملكون إلا عصيهم المديبة هي نوع من العصي المعقونة كأداة للزراعة يستطيعون أن يحرثوا هذه الأرض اللينة بها بينما تظل السهول . الخصبة المليئة بالأعشاب أبيه على جهودهم .

وثنائي المفاهيم الخاطئة عن الأمازون هو ، أن درجة الحرارة فيها مرتفعة بشكل لا يطاق . فإن موجة من موجات الحرارة التي تهب على ولاية من الولايات الشمالية للولايات المتحدة تصل في حرارتها درجة أكثر ارتفاعاً بالفعل عما نجده في الأمازون . فتادراً ما تصل درجة الحرارة في الغابة إلى ٩٠° درجة ، رغم أن خط الاستواء يمر بمنتصف المنطقة تماماً . وأما أكثر الأماز الملاحظة لخط العرض (بالنسبة لأحد الأمريكيين الشماليين) هو الملل . فالفرق بين درجة الحرارة ما بين الفجر والظهيرة في أي يوم لا يزيد عن ٢٥° ، وإن كان هذا الفرق أكبر منه بين فصل وآخر . ولعل ما يفرع له الغريب في الأمازون أكثر هو الارتفاع الزائد في درجة الرطوبة وكمية المطر الغزير ، فالحرارة يمكن تحملها ، ولكن المطر الغزير . لا يدعو للسعادة كما يقول الأمريكيون الشماليون . وأما في منطقة خط الاستواء فالمطر يأتي فجأة في دفعة سريعة قوية يتبها صفاء سريع بنفس الدرجة . ولكن هذا لا يحدث إلا نهاراً ، وأما الليالي فصافيه براءة عادة .

وهناك مفهومان خاطئان شائعان عن « الغابة » . أحدهما أن هناك وفرة في الحيوانات الكبيرة حيث « يطيب الصيد » . ولكن غابة الأمازون فقيرة في الحيوانات البرية الكبيرة عموماً . ونحن ندرك أن هناك حيوانات تعيش في قطعان كما أن هناك القروء وأنواعاً كثيرة من الطيور والحشرات ، ولكن كل ذلك يعيش في قم الأشجار كلية تقريباً .

ومصدر الطعام لهذه الحيوانات البرية هو الأنهار التي تعج بالإسماك والسلاحف كما نجد في الأنهار الكبيرة ندييات المياه العذبة . ولهذا يتركز معظم سكان الأمازون ، الدائمون حول هذه الأنهار .

وهناك مفهوم خاطيء آخر وهو أن المنطقة غابة من الأشجار والكروم والنباتات والشجيرات لا يمكن دخولها. وفي الواقع فإن النبات ينمو بكثافة في أعلى قمة للغابة والتي تكثف فيها فروع الأشجار بكثافة شديدة وأما أسفل هذا حيث يعيش الانسان فإن صماتا كصمت القبور يلف المكان . ويؤدى غياب ضوء الشمس إلى عدم نمو النبات في باطن الغابة بكثافة ثم نجد الاحراش على طول الانهار وفي المناطق المكشوفة نوعا حيث يصل ضوء الشمس ويسعد النبات على النمو .

ويؤدى عدم وجود أعشاب وشجيرات إلى ندرة الحيوانات التى تتغذى على الأعشاب وإلى ندرة الحيوانات المتوحشة التى تعيش على تلك الحيوانات .

وقبائل الغابة الاستوائية تملك عددا متنوعا مذهلا من اللغات البسيطة ، ولكنها متماثلة ثقافيا وبدنيا . فهم يتفوقون مع السمات الجنسية العامة للهنود الأمريكيين ، ولكنهم أقصر قليلا من هنود أمريكا الشمالية أو الجنوبية ، إذ أن متوسط طول الذكور هو خمس أقدام وأربع بوصات .

وهنود الامازون يعتمدون بصفة أساسية على المحاصيل الزراعية بينما يعتمد هنود السهول على اللحم ، الأمر الذى يقوى الفارق فى الشكل . ولا يقل التماثل الثقافى على حوض الامازون عن التماثل البيئى عليه . فالفارق البيئى الوحيد هو وضع القبائل بالنسبة لاماكن الصيد الفنية . وكلما ضاق نهر الامازون وروافده عند حدود الحوض المرتفعة ، فإن الثقافة المميزة للبلاد المنخفضة تتلاشى أكثر فأكثر .

ويسمى المتحدر الشرقى لجبال الأنديز ، فى المنطقة التى تقع فى اكوادور وبيرو باسم « مونتانا » . وهى منطقة استوائية شبيهة لمنطقة الامازون تماما ، ولكن فيها أصغر وأكثر سرعة ، مما يجعل الإبحار فيها أصعب حيث تعرى التربة وتفصل الأرض عن بعضها . وهذه المنطقة يصعب الوصول إليها ، ولذلك فإن القبائل

التي تعيش فيها لم يزعجها الاوريون كما أزعجوا تلك القبائل التي تعيش في مناطق يمكن الوصول إليها أكثر .

وقبائل الجيفارو ، نموذج لقبائل مونتانا ، ولا تختلف عن قبائل الامازون عامة الا في سمات قليلة ثانوية . وهي جماعة معروفة جيدا ، لأن عاداتهم الشهيرة في تقليص الرؤوس البشرية وحفظها قد أثارت خيال الاوريين كما أظهرت كاهانلا من الكتابات العلمية والصحفية عنهم . ولكن تقليص الرؤوس ليست عادة خاصة بهم وحدهم على كل حال وإنما لأنهم شعب احتفظ بحكم انغلاقه على نفسه بعادة قديمة كانت شائعة يوما ما في الغرب الشمالى لأمريكا الجنوبية . وطريقة إعداد الرؤوس التذكارية ليست سرا مبهما كما هو شائع فهي معرفة منذ قرون طويلة ولا يحاول الجيفارو اخفائها .

وتكون وقبائل الجيفارو وحدة ثقافية ولغوية تشمل على ٢٠ ألف شخص . وليست هناك وحدة سياسية شاملة ولكن هناك إحساس مشترك أن الشوارا ، (كما يسمون أنفسهم) يتميزون عن الشعوب الأخرى . ولغتهم لا تشبه أى لغة أخرى .

وهناك أربعة أقسام رئيسية للجيفارو وذلك طبقا لتوزيعهم الجغرافى ، ولكن حتى في داخل هذه الأقسام هناك جماعات صغيرة مستقلة تنتقل في مجال يتركز حول جدول ماء يعتبرونه ملكهم . وهذه الجماعات لا تكف عن شحن الحرب إما على بعضها أو على أى غريب يهددهم . ولم تستطع امبراطورية الانكا صاحبة الأرض الأصلية أن تقهرهم أبدا كما لم يتمكن البيض طوال أربعائة عام من ذلك . فالجيفارو لا يبدو عليهم الاستسلام أو النواضع ، فعلى عكس الهندي المتحضر هم يعشقون الحرية ولا يستطيعون أن يطبقوا أى نوع من الاذلال ،

وغذاء الجيفارو الرئيسى هو محاصيل الحنائق التى يزرعها النساء . ولكن صيد السمك وصيد الحيوانات البرية يوفر لهم غذاء شهيأ على كل حال ، ويقضى الرجال وقتاً كبيراً فى الصيد . والقروود والطيور هى صيدهم الرئيسى ، إذ تكثر هذه بوفرة ويحبون القروود لطعمها الشهى . والبقریات أيضاً تمثل طعاما مرغوبا ولكن صيدها خطر لانها مفترسة كما أنها تسير فى قطعان وتهاجم جماعة .

والطريقة المتبعة فى الصيد الجماعى . فهم يستثيرون الحيوانات كى تهاجم ، ويختفى الرجال فى فروع الأشجار الكبيرة حيث يطلقوا النار أو يطعنوا برماحهم الحيوانات التى تفر فزعاً .

وأسلحة الجيفارو فى الصيد هى بندقية النفع ، والرمح ، وفى العصور الحديثة عرفوا البنادق الرخيصة كذلك . ولكن بندقية النفع هى أكثر الأسلحة قيمة ، وبصفة خاصة لصيد القروود والطيور فى أعماق الغابة . وهذا السلاح البديع يتكون من أنبوبة مفرغة طولها يتراوح من عشرة إلى خمسة عشر قدما . يمكن أن يدفع منها سهم مسموم بواسطة نفس قوى فينطلق حتى خمسة وأربعين ياردة والجيفارو هم من أسرع صيادى بنادق النفع فى أمريكا الجنوبية كما أن صيتهم ذائع فى صنع هذا السلاح .

والمشكلة الأساسية فى صنع بندقية نفع هى فى صنع ماسورة مستقيمة وزائجة . المللس تماما . وهم يحلون هذه المشكلة بطريقة زكية . فالصانع يقطع جزءا من شجرة الشونت ، وهو نوع من الخشب مع-روف بصلابته واستقامته ، حسب المقاس المطلوب . ثم تقطع شرحتان من هذا الخشب ، كل منهما تبلغ بوصتين فى العرض ، وتعالجان بالفارة جيدا حتى تستقيما . ويترك أحد جانبي كل شريحة مسطحا والآخر مستديرا حتى يكون الجانبان المسطحان طرفا مستديرا حين

يوضعان معا ، ويستدق طرفها في بوضة مد ربع البوضة من ناحية وثلاثة أرباع البوضة من الناحية الأخرى . ثم يعالج عود آخر من الشوتتا بالفارة ويصبح ناعم الملمس بمقاس ربع البوضة ، وهو طول الماسورة التي ستوضع للبندقية . ثم يكشف الجانبان المسطحان لشققتي بندقية النفخ حتى يسكونان منيما أقصر بقليل من الماسورة . وأخيرا توضع الماسورة بين الشقتين وتربط . ويصب الرمل الناعم والماء بين الماسورة والشقتين وتحرك الماسورة للأمام والخلف حتى ينعم المنيمان بالقدر الذي يجعل الشقتين يقفلان على الماسورة . حينئذ يمكن أن يخرج الماسورة وتلصق الشقتان معا وتعمقان بعصاره الشجر المذابة . ثم يثبت مخ من العظم في نهاية الطرف الأطول .

ويصنع سهم بندقية النفخ من الضلع الأوسط لسعف النحل ، وهو في طول الذراع وسماك عود الكبريت . ويغطي طرفه المدبب بالسهم ويربط في طرفه الغليظ قطعة من القماش المأخوذ من شجرة القطن الحريري . وتختلف تسوية السهم حسب حجم الحيوان وموضع الجرح . فالقروذ تعيش نصف ساعة بعد الاصابة ولكن الطيور الكبيرة لا تستطيع . والسهم صغير وخفيف حتى أن بندقية النفخ ستكون بلا جدوى بدون سم زعاف .

وبندقية النفخ لاستخدام في الحروب . فالهنود يعتقدون أنها تجلب الحظ السيم إذا استخدمت ضد الإنسان ، ولكن يمكن أن يكون السبب هو أن السهم لن يكون مؤثرا بالنسبة لحجم الانسان كما أن الانسان سينزع السهم من جسمه سريعا لأنه يدرك خطره أو الاسلحة التقليدية في الحرب فهي الرمح والدرع والاسلحة النارية في العصور الحديثة . كما يبدو أن الجيفاروقد استخدموا في وقت من الاوقات القوس والنبل ورامى الرمح ، ولكنهم حين عرفوا بندقية النفخ في القرن السابع عشر فانهم هجروا السلاحين الآخرين .

وإذا كان الهنود يعيشون على جدول ماء كبير فانهم يستخدمون حيلة كثيرة لصيد السمك. فحين يكون الماء منخفضا فانهم يقيمون سددا يذرون فرفقه عصاه سامة من شجيرة خاصة بذلك. وحين تسرى عصاه السم في الماء فان السمك يهرع إلى سطح الماء فزعا فيجمعه القرويون المنتظرون. كما يعيدون السمك أحيانا بشباك ومصائد بدائية، أو بواسطة الرمح. ففي الانهار الواسعة يمكن أن يعيدوا خروف البحر والدلفين بالرمح. كما أن الزواحف الضخمة مثل الكيوس والسلاحف والاصلة العاصرة والانا كندة تكثر في بعض المناطق وتوفر للهنود غذاء حين لا يجدون ما هو أشهى منها. كما أنهم يستسيغون كثيرا من الحشرات والديدان والضفادع والعقارب والثعابين. وأما عسل النحل فهو سيد الطعام عندهم، مثل كثير من الفواكه البرية. وحين يصيدوا الطيور آكلة الحب أو الفاكهة فانهم يهتمون ما في بطونه فورا.

ولكن غذاءهم اليومي الذي يعيش عليه الجيفارو هو ما تنتجه الحدائق على كل حال. وأهم ما يأكله الجيفارو، مثلهم مثل بقية سكان الامازون، هو جذور المنيهوت الغنية بالنشا وهي تشبه الجزر الأبيض في الشكل والمضمون. والجيفارو يصنعونه دقيقا كما يفعل بقية الامازونيين ولكن لان المنيهوت عندهم غير سام كما هو الحال عند بقية الامازونيين فانهم لا يحتاجون إلا تطهير السم منه. والمنيهوت يستخدم عامة من أجل شراب يسمى «ينجانش» ويعد النساء والفتيات بمضغ ملاء أفواههن ووضعه في برميل كبير ليتخمر تخمرا بسيطا.

ويزرع الجيفارو الذرة والبطاطا والقرع والكمثرى. وهم يبنرون الموز أو أذان الجدى والببايا ولكنهم لا يرعونها كثيرا. وهم يقطفون الموز وأذان الجدى غير ناضجة ويعدون لها اللا كل إما بسلقها أو بشيها. والفطن والدخان هما

أهم ما يزرعونه لغير الاكل . وهم يدفنون لدخان في شكل سيجار ، ولكنه يحول إلى عصير كذلك يدفع إلى الانف بواسطة أداة معدة لذلك . وزراعة الحدائق وتنقيتها وحصد محصولها كل ذلك من عمل النساء وحدهن ، ولا يستخدمن في زراعتها أكثر من عصا حفر بسيطة .

وأما اعداد حديثة وموقع للبيت داخل الغابة فانه عمل من أعمال الرجال وهو يتم بطريقة القطع والحرق السائدة في المناطق الاستوائية . وتحتاج الاشجار الضخمة التي عادة من تكون من خشب صلب ، إلى جهد شاق في قطعها . يبدأ الرجل أولاً بإزالة النباتات المحيطة بالشجرة ثم يحز الاشجار الصغيرة حتى تضعف وتسقط فور سقوط الشجرة الكبيرة فوقها . ثم يأخذ عدد كبير من الرجال في محاولة قطع الاشجار العملاقة وقبل معرفة الفؤوس الصلب لم تكن الاشجار الضخمة تقطع فعلاً دائماً فكانوا يظلون يضربونها بالفؤوس الحجرية البدائية وأحياناً ما يستغرق قطع واحده من هذه الاشجار العملاقة الصلبة أسابيع طويلة حتى تستطيع مجموعة من الرجال اسقاطها .

وما أن تجث الاشجار وتقطع حتى تسحب مع كل الشجيرات الاخرى الصغيرة الموجودة بالمنطقة حيث تجمع مع بعضها على هيئة حزم . وما أن تقطع الاشجار حتى يفر الهنود بحياتهم وذلك خوفاً من النمل والعقارب والثعابين والواحف التي تملأ المنطقة .

وقد تترك الاشجار والحشائش لعدة أشهر في الفصل الجاف حيث تحرق بعد ذلك ليقيم الهندي زراعة محصوله وبناء بيته في نفس المنطقة .

وقد يمتلك بعض الجيفارو منطقتين أو ثلاث مناطق يقومون بزراعتها في وقت واحد غير أن حاصلتها تظهر في أوقات مختلفة من السنة . وفي هذه الحالة

يرتبط لإقامتهم في أحد القطع بمقدار كمية إنتاجها . وقد تستمر زراعة القطعة الكبيرة خمس أو ست سنوات قبل أن تفقد خصوبتها ويتحتم على صاحبها أن ينتقل إلى قطعة جديدة ليطهرها ويزرعها .

وفي العادة يقام منزل واحد كبير في الأرض المطهرة أو المقطعة حيث يأخذ الشكل البيضاوي بإرتفاع بين ٤٠ و ٨٠ قدم . وحيث يستخدم الزحف والأخشاب في البناء . ويعيش في المنزل الواحد عدد من الأسر التي تربط القرابة بينهم . وفي نهاية المنزل أوفي أحد أطرافه يوجد ما يشبه المصطبة أو الرصيف المصنوع من البامبو يستخدم كسرير ينام عليه الرجال . أما النساء فتترقدن في الطرف الآخر من المنزل حيث توجد أسرة مشابهة للرجال غير أنها منفصلة عن بعضها بواسطة البامبو وذلك لكي تعطى خصوصية أكثر لهم . وينام الأطفال في الجزء الخاص بالنساء بينما يذهب الأولاد إذا ما بلغت أعمارهم سبع سنوات إلى مضاجع الآباء .

ويتم طهو الطعام بواسطة النساء في مكان خصص لذلك بالقرب من مكان إقامة النساء في الكوخ . وطبق الطعام المعتاد لدى الجيفارو يتكون من الفلفل إلى المطهى . وتستخدم الأفران الخشبية في شوى الذرة كي تقوم النساء في بعض الأحيان بصناعة أنواع مختلفة من الفخار .

ويقضى الرجال وقت فراغهم في غزل خيوط القطن ونسج الملابس وهما من أعمال النساء في كثير من قبائل الهنود الأمريكين . والانوال صغيرة رأسية تقريبا ويذنج بها قطع دائرية من القماش . وقد يصنع القماش باللون البنى بواسطة أصباغ من الخضر . ويرتدى الرجال قصان طويلة حتى الركبة بينما ترتدى النساء قطعة مربعة كبيرة من القماش والتي تلف بها جسدها بطريقة من شأنها أن الطرفين العلويين من القماش يشبكاً سوياً على الكتف الأيمن في حين يترك الكتف الأيسر طارياً .

ويهتم الجيفارو بمظهرهم الشخصى ويلبأ الرجال للذين مثل النساء حيث ترك الشعور طويلة ولا تقص إلا فوق الحواجب . وترك النساء شعورهن فى العادة دون عمل ضفائر بينما يقوم الرجال بجمع شعورهم خلف الرأس .

ويرتدى كل من الرجال والنساء حلقات من البامبو فى اذانهم كما تضع الفتيات فى الشفة السفلى ما يشبه الخلق . وتضع العقود والاساور والأحزمة من الأصناف والاسنان والبذور وعظام الطيور ويرتديها كل من الجنسين . وقد يرتدى الرجال فى بعض الأحيان نوعا من الشيطان المصنوعة من الريش . كذلك قد يرتدى الرجال أحزمة صنعت من شعر أحد أبطال الجيفارو الذين قتلوا فى المعارك . والغرض من ذلك هو تكمص المنتحارب لبعض صفات ومؤهلات البطل المنتصر ويدهن الرجال والنساء وجوههم وبعض أجزاء من اذرعهم حتى اكنافهم بلون أحمر زيتى صنع من حبوب بعض النباتات مثل *Achiote* . أما عمير نبات الجنها فيستخدم لطلاء اللون الأسود والذي يستخدم فى العادة فوق اللون الأحمر فى سلسلة من الرسوم .

ويعتبر الجيفارو من أكثر القبائل التى تقطن حوض الأمزون غير أنهم ينتشرون على مساحه كبيرة من الأرض بحيث تكون المجموعات المحلية بمجموعات مكثفه ذاتيا تماما . وكل مجموعة أى الجيفارو مستقلة على الرغم من أن تحالف قد يحدث بين عدد من الجيفارو الموجودين فى المنطقة . وتتكون مثل هذه الأحلاف لأغراض الحرب . وأقرب الأشخاص فى المجتمع لرئيس القبيله هو قائد الحرب الذى يطلق عليه اسم كوراكا *Curaka* والذي له سلطة القيادة إبان الحروب والازمات وليس له من سلطة غير مقدرة الشخصية على قيادة بقية زملائه . كما يوجد هناك اتجاه بين عدد من الجماعات إلى التجمع تحت رابطة الدم وذلك

لأن حكم مجتمع يعتمد على التزاوج المحلى يتطلب ألا يسمح للرجل بالزواج من زوجه خارج قريته . ومن ثم فيوجد داخل القبيلة مجموعات طييمية غير أن التعاون بينها محدود للغاية وقاصر على مقاومة استفلال أو تسلط مجموعة أخرى تعيش خارج حدودهم .

ويعتبر الجيفارو منذ فترة طويلة بأنهم من أكثر قبائل أمريكا الجنوبية ميلا للقتال . فالشكل العام للحرب يمثل سلسلة لا تنتهى من الانتقام وأخذ الثأر بين المجموعات غير المتقاربة للقبائل الجيفارو . أما العمل العدائى ضد جماعات غير الجيفارو فنادر ويعتمد على غزوات الغرباء النادرة أو المنتثرة والتي تتفق على دخولهم إلى حدود أراضيهم . ففي هذه الحالة يتحد الجيفارو مع بعضهم وتوضع الخطط وتكون حربا يسفك فيها الكثير من الدماء .

وأكبر طموح لرجل الجيفارو أن ينصب محارب حيث يكتسب هذا المركز عن طريق جمع أكبر عدد من الرؤوس التى يقتلها .

وكقاعدة عامة ، تنحصر غارة الجيفارو فى الأمور الخطيرة . فبعد أن تقرر الجماعه سن الغارة وتقيم احتفالات راقصة طوال الليل لأعداد المحاربين ترسل مبعوثا إلى معسكر العدو لتحذيرهم وتنذيرهم بقدوم الغارة حتى يكونوا مستعدين . ويرسل هذا التحذير رغم أن كل الخطط التى توضع فى هذا الشأن يراعى فيها أن يأخذ فيها العدو على غره .

وفى حالة الحرب ضد البعض أو جماعات لا تنتمى إلى قبائل الجيفارو لا يراعى إرسال مثل هذا التحذير وتبذل كل محاولة لتفهم وإبادة المعتدين . وفى الغارات الدموية الناجحة يقتل الرجال والمسنيين أما النساء الصغيرات

والاطفال فيأخذوا في العادة كأسرى . ثم يدبجوا بعد ذلك في المجموعة الغارية ليصبحوا زوجات أو يتبنوا كابناء وبنات . وقلما يحاول الأسير الفرار .

والفرض الأساسي من الغارة هو جمع رؤوس المحاربين الأعداء ففجرد . أن تنتهي المعركة يمكف كل محارب على قطع رؤوس هؤلاء الذين قتلهم . وأخيراً بعد أن ترحل الجماعة المحاربة إلى مكان أمين يقيمون مخيماً ومن ثم يبدأون في سلب فروة الرأس . والتي تسمى باسم Tsantas . ويأخذ جلد الرأس بعد ذلك لغلبيها عدة ساعات إلى أن تنكش ويصبح حجمها حوالي ١/٣ حجمها الأصلي . يوضع بعد ذلك أحجار ساخنة أو رمال داخل الرأس لإكمال عمليات التقطع والتجفيف . وأخيراً تدخن الرأس لمدة ثمان ساعات وذلك لكي تحفظ كما يلع جلد الوجه . وحينما يصل المحارب إلى قومه حاملاً معه التسانتساس Tsantas وهي علامة النصر الكبير تقام حلقة رقص حول تلك الرؤوس وعلى النقيض من عادات عديد من قبائل الأمزون المحاربة لا يضحى بالأسرى ولا يأكلوا .

وتبذل كل المجتمعات مجهودات كبيرة في التعاون للحماية ضد الغزوات أو الهجوم المفاجيء . حيث تفرع الطبول في دقائق معينة لجمع الجيران كما أن الإقتراب من القرية يكون مصحوباً بوضع المناريس والفخاخ . ويحاط المنزل الرئيسي دائماً بسور متعرج من الألواح الخشبية كما تحفر انفاق للهرب تبدأ من المنزل وتقود إلى خفة النهر إذا كان قريباً . ولا بد للزائر الغريب أن يمضي بضعة ساعات قبل أن يقترب من قبائل الجيفارو حيث تطلق المجموعة المقتربة عندهم من الطلقات النارية والصيحات لا تعطى إنذاراً بوجودهم وبعد ذلك تستمد المجموعة المصنعة للاستقبال والترحيب بالزوا . وإذا لم ترعى أصول الأعلام من قبل المجموعة المقتربة قريباً يتعرض الزوار للهجوم من قبل بعض الأفراد .

وقد ترتب على استمرار الحروب سيادة المرأة في مجتمع الجيفارو ومن ثم سيادة نظام تعدد الزوجات . فالشاب عادة ما يتزوج الزوجة الأولى من أبناء عمومته من القرى الصديقة المجاورة غير أن الزوجات الأخريات يحصل عليهم عن طريق الأسر أو الإغارة. وأحيانا تشتري فتاة غير يالغة من أبيها أو من أخيها . وفي العادة لا يرغب الرجل المرأة التي لا تبادله العاطفة ولذا فالعلاقة بين الرجل والمرأة ضرورية قبل أن يحدث الزواج . ولكن الزوجة تزور عائلتها باستمرار ، كما أن لرجل وحاه وحامته وكذلك الزوجة. والذى زوجها لجميعهم يحترموا قواعد الآداب والعادات التي تنتشر في العالم البدائي .

سبب آخر لتعدد الزوجات وهو ممارسة العادة اليهودية المتضمنة أن يتزوج الأخ زوجة أخيه المتوفى ، كما عليه أيضاً رعاية أطفاله . وليس هناك إجبار على الزوجة أن تتزوج شقيق زوجها ولكن في العادة تتزوجه .

ويجب ألا يأخذ نظام تعدد الزوجات على أن المرأة تعيش في المجتمع الجيفارى حيث نجد أن هناك رابطة عاطفية قوية تربط بين الأزواج والزوجات حتى بالنسبة للفتيات غير الناضجات والمشتريات لأزواجهن والغيرة بين زوجات الرجل نادرة وتسكون الأسرة التقليدية للجيفارو من رجل كبير وزوجة تقربه في سنه وأخرى يتراوح عمرها بين ١٦ و ٢٠ سنة وثالثة طفلة غير ناضجة ويربط هذه النسوة رابطة حب قوية حيث يتحمل كل منهم الواجبات الزوجية بالتساوى. وطبيعة العاطفة للنسوة الثلاثة مختلفة باختلاف أعمارهن ولذا فالخلاف بينهم ليس بنى قيمة .

وعلى الرغم من أن أى مجموعة من الأقارب تكون شديدة الريبة والشك وقوية البأس ضد الأغراب إلا أن الصداقة والعاطفة تسود بين أفرادها . وهنا

يركز الإهتمام على كرم الجيفارو وحسن ضيافتهم وسلوكهم الطيب . وقبائل الجيفارو مثلهم مثل معظم هنود أمريكا مغرمين بالغناء والآلات الموسيقية . ومن ثم فيصاحب الرقص والحفلات عادة مجموعة غذائية كما يستدعى غالباً المغنيين المشهورين للأداء المنفرد في هذه الحفلات . ويوجد عديد من الأغاني فمنها للخب ومنها للحرب أو العويل وما إلى ذلك ويلعب الرجال على مزامير مختلفة صنعت من البامبو وذلك في المناسبات الحزينة أو المفرحة . أما الطبول فتصنع من جلود ثعابين ضخمة وهي تستخدم في العادة للإشارات وليس كأدوات موسيقية . كذلك يستعمل النغير الطويل في الإشارات ولكن يستعمل أيضاً في حفلات الرقص ، كما تستخدم طبول دائرية صغيرة يصل طولها عشر بوصات في مناسبات الرقص . وأغرب الآلات الموسيقية المستخدمة عند الجيفارو كان بدائية صغيرة تعرف بإسم كوركور querquer يصنع صندوق الصوت فيها من أخشاب الأرز ولها وتران يتردد منها الأنغام . ويتم العزف عليها بواسطة قوس صغير به شريط من الروطان . ولا يعرف بهذه الآلة إلا حينما يكون العازف منفرداً في بيته أو حين يستدعى في المناسبات الحزينة . والموسيقى الصادرة من هذه الآلة تنقسم بالحزن الشديد كذلك يبكي العازف أثناء عزفه . .

والجيفارو مولع بالاطفال ومن ثم ينظر للزواج على أنه وسيلة لإنجاب الأطفال ولذا فالمرأة العاقرة تهجر لهذا السبب . وحينما تحمل المرأة ولا سيما إذا كانت للمرة الأولى فإن زوجها وجميع الأقارب يتوددون إليها ويعاملونها بلطف ، وإذا ما جاء وقت المخاض تعطى مشروباً يحتوى على مسحوق من العشب وذلك تخفيفاً من آلام الوضع ، ويتم الولادة والام جالسة أو نصف واقفة . وبعد الولادة يأخذ الام والطفل للاستحمام في النهر ومن ثم تبدأ الام في أن تستأف واجباتها الخفيفة .

ولم أن يتمكن الطفل من السير يبعده الاب عن اللحم الحيواني وبعض النباتات وذلك خوفاً على روح الطفل . ولا يأتي الاب إلى سرير الطفل في أى وقت على الرغم من أن هذه العادة والتي تعرف باسم كوفادى cowvade سائدة في القبائل المجاورة كما أنها توجد في مناطق متعددة من العالم ومن بينها منطقة الباسك بأسبانيا .

ويعطى كل الكبار في هذا المجتمع جل اهتمامهم للأطفال الذين لهم حرية كبيرة ولا يعاقبوا إلا نادراً، ومن ثم فهم مثل بقية أطفال العالم البدائي ينشئون على احترام وإجلال الكبار. وحينما ينمو الأطفال تعتنى الفتيات معظم وقتهن مع النساء لتعلمن كل الأمور التى سوف تعهد ليهن عند النضج . أما الصبية فيرافقوا الرجال في صيدهم وكذلك في حروبهم إذا ما بلغوا من العمر السابعة أو الثامنة على الرغم من أنهم لا يشتركون في الحرب إلا بعد بلوغهم مرحلة النضج . ولا يوجد في هذا المجتمع طقوس تصاحب البلوغ . وإن كان يقام حفل صغير للفتاة بعد بعد بلوغها ينفخ فيه الدخان عند أنفها أما بلوغ الأطفال فيصاحب بإقامة وليمة ومن ثم فليس هناك طقوسة سرية .

. وعلى النقيض من جماعات بدائية كثيرة لا يرجع الجيفارو كل أنواع المرض إلى سحر الشامان أو العدو على الرغم من أن بعض الشامانيين يزعمون أن لديهم القوة التى تسبب المرض والموت . فالبرد والحى والدسترياكلها أمراض ينظر إليها على أنها طبيعية . ويبدو أن الجيفارو يفهم معنى العدوى ذلك المعنى الذى أدركه من تجربته مع أمراض البىض ومن ثم فلهذه معزل يعنون منه الشخص الذى تظهر عليه الأمراض المعدية . وبعض الأمراض تسببها فى اعتقادهم أرواح شريرة تدخل الاجسام والشامان فى هذه الحالة قادر على شفاء المريض

عن طريق طقوس الهنود الأمريكيين . فبعد أن يمص الجزء المربض لفترة طويلة يندفع فجأة من المنزل كاتم أنفاسه لأنه امتص الروح في معدته ، وفي خارج المنزل يتقىء لتخرج الروح الشريرة من معدته وبشيء من العظمة يأمر الزوج الشريرة أن تنادر المنطقة . ويعاون جميع أهل المنزل الشامان في هذه اللحظة عن طريق الصباح لكي تهرب الروح .

وحيثما يموت الجيفارو يوضع في قارب صغير محفور أو في كتلة خشبية مجوفة صنعت لهذا الغرض حيث يوضع مع المتوفى أسلحته المفضلة ويغطى الكفن بقطعة من لحاء الأشجار ثم يعلق في طرف عمود المنزل لتستمر مراسم الحداد ستة أيام . وإذا كان المتوفى هو قائد الحرب Caraka في المنزل فإن المبنى يهجر بعد أن توضع الأطعمة على أرضه . ومن ثم فإن الجيفارو يأتي كل شهر وذلك لفترة عامين من أجل تحديد الطعام . وإذا كان المتوفى شخص ليست له أهمية فقد يهجر البيت وبعد ستة أيام من الحداد يوضع الكفن في مقبرة صغيرة بنيت قريبة من أجل ذلك الغرض . والنساء المتوفيات تعاملن في المراسم الجنائزية مثل معاملة الرجل العادي . ومن المعتقدات السائدة لدى الجيفارو أن الأطفال يتحولون إلى طيور صغيرة بعد موتهم ومن ثم فليس هناك ضرورة للمحافظة على الحبة . ومن مراسيم الحزن أن تمضي المرأة في البكاء والعويل طوال الستة أيام أما الرجال فيغيبوا عن المنزل .

ويعتقد الجيفارو أن الميت سوف يعود إلى الحياة مرة أخرى في شكل حيوان . أما قائد الحرب فسوف يولد من جديد على هيئة نمر الجاجوار وسوف يتجه للعيش في الغابة بالقرب من العدو ليواصل محاربته كما كان يفعل في حياته الدنيا . ويقال أن استمرار تقديم الغذاء للميت عامين إلى جثة القسائد الحربى

ضرورة لكي تستطيع روحه الممثلة في حيون الجاجوار أن تكبر وتمكن من الدفاع عن نفسها . وبعد انقضاء تلك المدة تنزل الجنة وتدفن العظام .

وتحمل معتقدات الجيفارو بين ثنائيا قليل من النعالم المسيحية حيث خضع الجيفارو لتأثير الإرساليات المنتشرة داخل حدودهم منذ بضعة مئات من السنين، وكثيرهم من الجماعات البدائية أدخلوا في معتقداتهم بعض الصناعة الأجنبية بسهولة إذ أن معتقداتهم ليست ثابتة أو متحجرة. فأسطورة الخلق لديهم تتمثل في قصة الكوبارا Cupara وذو جته الذي خلق الشمس وزوجة الشمس والقمر خرج من الوحل وأن أبناء الشمس والقمر أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات بما فيها ذلك الدب الكسلان Sloth الذي أصبح الجدا الأول للجيفارو ونبات المانيك أصل النيجيمانشي Nijimanche وهم خير أصدقاء للجيفارو . وترتبط بهذه الشخصيات كثيرا من القصص التي تحكى مغامرات عديدة والتي تكون بصورة أو أخرى عناصر حضارة الجيفارو . ومن خبر الأمثلة لهذه القصص التي تنتشر انتشاراً واسعاً بين هنود أمريكا قصة الإله التوام Twin Gods . ففي اعتقاد الجيفارو أن الجاجوار قتل زوجته غير أن والده الجاجور قد ربت سرا ابنائه الذوم واللذان أصبحا فيما بعد نجمان . وبعد أن كبرا عادا إلى الأرض لينتقلا مهم بقتل الجاجوار ثم صعدا ثانيا إلى السماء بواسطة سلسلة من الاسهم . هناك أسطورة أخرى خاصة بالطوفان ولا نعرف على وجه الدقة عما إذا كانت هذه الاسطورة من تأثير الإرساليات المسيحية أم لا . وتعتمد ديانة الجيفارو على فكرة وجود قوة خارقة تعرف باسم تساروتاما Tsurutama . ومثل هذا الاعتقاد ينتشر انتشارا واسعا في العالم البدائي ويتفق مع معتقدات البولونزين في المانا Mana . فالاشياء المادية والاشخاص والارواح كلها مسيرة بدرجات متقاربة من قوة التساروتاما ، وحيث أن هذه القوة غير غير شخصية فهي تستعمل للتخير وللشكر على السواء . أما آلة المطر الذي يمشي في

قم الجبال المرتفعة فلدية قوة خارقة مثل قوة الإله أناكوندا Anaconda الذى يعيش فى مساقط النهر. كذلك يمثل النمر والشمس والأرض وبعض النباتات قوى خارقة فى مجتمع الجيفارو . ويدخل أيضا ضمن قوة النساوتاما أنواع بعض الحبوب والأحجار وأسنان الجاجوار وجهاجم قتلى الجرب والتسانتساس Tsantsas .

ولا يوجد فى مجتمع الجيفارو آلة تصنع القواعد المادية والروحية لهم فلا يوجد رجال للدين أو أى شخصية دينية متخصصة فيما عدى الشامان الذى تنحصر مهمته الرئيسية فى شفائه السحري للمرضى . وتتركز قوته فى معرفة الأرواح فىالما يتوصل لمعرفة الروح التى تسبب آلام فى جسم المريض فهو يعرف الطريقة التى يأمر بها ليطردها من جسم المريض . وبما أن الشامان لديه القدرة على التحكم فى الأرواح لاذفبإمكانه أن يرسل المرض إلى الناس كما بإمكانه أن يمنع عنهم . ولهذا يتمتع الشامان بمركز مرموق فى مجتمعه لأن شخصيته مهمة .

والرجل الشاب الذى يرغب أن يكون شامانا عليه أن يذهب إلى شامانا أكبر يكن له الإحترام ويسأله عن التعليمات الواجب اتباعها . فإذا ماوافق الشامان على ذلك فإنه يدربه على ذلك لمدة شهر وتتكون معظم التدريبات فى الصوم وتناول أنواع متعددة من المكيفات بما فيها ذلك الدخان الذى يتفخ فى الأنف . وفى المراحل النهائية من التدريب يشعر الميذ أن الأرواح قد استولت على جسده وذلك من أثر المكيفات . وبعد ذلك تعطى له التعليمات الخاصة بالطرق العملية للتحكم فى أمراض الأرواح المختلفة . ومن بين هذه الطرق ترتيب بعض الأغاني الخاصة المصاحبة لطبلة الشامان .

وإذا أراد الشامان أن يرسل روح المرض إلى جسد شخص ما لىكى يمرض

فإنه يذهب بمفرده إلى النهر ليستدعى الروح كما أن دخان التبيغ لا بد وأن يطلق في اتجاه مكان إقامة الروح مع ترتيل أغاني معينة لكي تجلب الروح . وقد تذهب الروح كالقذيفة إلى جسد الضحية وما أن تصل هذه الروح إلى جسد الضحية حتى لا يصبح للشامان أى قوة لشفائه ومن ثم فعلى شامان آخر أن يتولى هذا الأمر .

وللشامان واجبات أخرى إلى جانب ذلك إذ يعتبر حكيم قومه كما أنه يتمتع بنفوذ كبير . ونظراً لغيبة التنظيم السياسى بين الجيفارو لذلك يعتبر الشامان أهم شخصية لها نفوذ في المجتمع ففي كثير من الأحيان فهو قائد الحرب إلى جانب شامان . كذلك يبيع بعض معلوماته الخاصة بالقوى الطبيعية الخارقة قد توضع في خدمة المجتمع بطرق عديدة إلى جانب الشفاء . فهو يستطيع أن يعد جرعة الحب للرجل الشاب الذى من شأنها أن تساعد على اختيار الزوجة التى يريد . كذلك من بين أعماله الأخرى العمل على النحيم فى الأمطار والفيضانات ومطاردة أرواح الأعداء وما من شأنه أن يصنع القوة على مجتمعه .

وبما هو جدير بالذكر أن أول ذكر ورد لقبائل الجيفارو فى التاريخ الحديث يرجع إلى منتصف القرن ١٥ حينما بذلت محاولة عديدة من جماعات ألاسكا - وذلك تبعاً لتقويمهم - لتوسيع إمبراطوريتهم على حساب أراضي الجيفارو . وقد فشلت هذه المحاولات ربما بسبب عدم تأقلمهم لطبيعة مناخ وأراضي الجيفارو ذلك بالإضافة إلى مهارة الجيفارو فى القتال . وبعد مضي قرن من الزمان حينما تمكن الأسبان من قهر إمبراطورية ألانكا أرسلت بعثة تحت قيادة بينافيتي Benavente إلى مناطق الجيفارو ووصف مناطق استقرارهم بأنها أسوأ أراضي شاهدها على الإطلاق فى حياته فلم يرى مثلها فى أسبانيا أو أى جزء آخر من أراضي الهنود التى رحل إليها ، كما ذكر أن الجيفارو عاريون ويعتمدون على أنفسهم

اعتماداً كلياً وفي وصف ينساقق لسكان هذه المنطقة أطلق عليهم لاسم جيفارو حيث ظل هذا الإسم لاحقاً بهم حتى وقتنا الحاضر .

وقد بذل الأسبان محاولات عديدة للاستيلاء على موطن الجيفارو وتمخضت هذه المحاولات على اكتشاف مناجم الذهب في عديد من المجارى العليا للأنهار . ولم يهاجم الجيفارو الأسبان القادمين في بادئ الأمر ولكن حينما بدأ الأسبان يفدون بأعداد كبيرة إلى أرض الجيفارو وحينما بدأوا يمارسون ضغوط جيفارية ومادية منهم كاستخدامهم كرقيق قامت سلسلة من الثورات المحلية والغزوات التي بدأت في عام ١٥٩٩ وهى نفس العام الذى قامت فيه ثورة هنود Araucanians في شيلي . وقد كانت هذه الثورة نجاحاً كبيراً للجيفارو حيث قتل معظم الأسبان في مناطق كثيرة ون بقى منهم فر . حدث بعد ذلك أن أرسلت أسبانيا حملة حربية إلى منطقة الجيفارو غير أنها أيدت ومن ثم توقف تغلغل الأسبان إلى هذه المناطق .

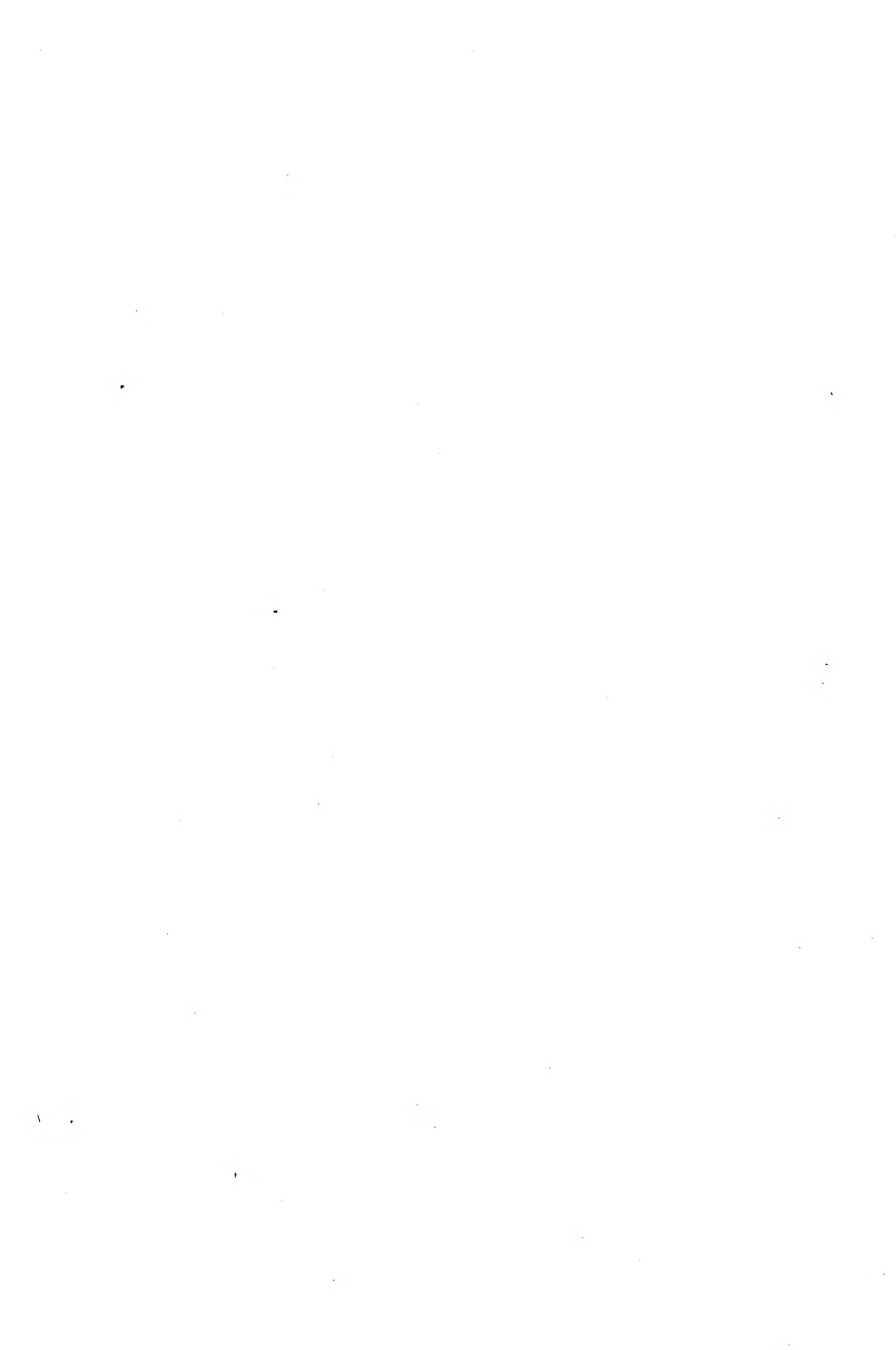
وقد بذل الحيزويت عدة محاولات لإقامة مدن تبشيرية غير أن هذه المحاولات لم تكمل بالنجاح حتى النصف الثانى من القرن ١٨ . فقد تمكن أحد المبشرين ويدعى الأب أندريز كاماشو Andres Camacho من أن يرحل بمفرده إلى هناك من أجل اكتساب ثقة عديد من مجموعات الجيفارو وبالفعل تمكن من تحقيق بعض النجاح . غير أن جماعات الحيزويت قد طردت من العالم الجديد في عام ١٧٦٧ بواسطة الملك شارل ٣ ومن ثم أسدل الستار عن محودات البعثات التبشيرية في هذه المنطقة . ذهبت بعض ذلك في فترات متفرقة بعض أساقفة الدومينكان غير أن ماحققه هناك وانتشار أمراض الجدري بين الجيفارو الذين ليس لديهم مقاومة لهذا المرض . كما أن حروب الإستقلال في أمريكا اللاتينية والتي أفلقت

أكوادور وبيرو ولم يكن هناك مفر من إبعاد الإضطرابات عن أراضي المونتانا وذلك حتى منتصف القرن ١٩ حينما أسست لإرساليات متعددة، ورغم ذلك لم تنجح أى إرسالية فى التأثير على عدد كبير من الهنود الأمريكين .

وربما كان أعظم تأثير حضارى نتج عن احتكاك الرجل الأبيض بهنود المونتانا ومثلهم فى ذلك مثل بقية الهنود الموجودين فى حوض ^{١٩}مازون هو معرفة المطاط واستغلاله . فإقليم المونتانا من الأقاليم التى كانت تنقسم بوجود كميات كبيرة من المطاط الطبيعى وذلك حينما بدأ العالم يبحث عن المطاط الخام ومن ثم فنذ عام ١٨٧٠ بدأ التاريخ الحقيقى لإزدهار حوض الامزون حيث بدأت عديد من الدول ترسل إلى تلك المنطقة البعثات الكشفية. وقد تمكن الرجل الأبيض فى أجزاء عديدة من حوض الامزون من أن يحتكوا بالسكان الاصليين نقي غضون الفترة القصيرة للعصر الذهبي المطاط الطبيعى التى انتهت فى عام ١٩١٠ حينما بدأ ظهور مزارع المطاط الحديثة فى أندونيسيا تمكن الجيفارو من الاتجار مع الاوربيين والإحتكاك بهم فعرفوا البنادق والفزوس والسكاكين . ومنذ عصر المطاط الطبيعى وجد الهنود طريقة الاتصال بالبيضائع الأوربية من مراكز بعيدة ولكنهم ظلوا مطاردين لآى محاولة للسيطرة عليهم أو التغلغل فى حياتهم . حقيقة قد تمكن بعض الرجال والعلماء من الإتصال بقبائل الجيفارو حيث استقبلوا استقبالاً كريماً من جانبهم غير أن نظام مجتمعهم قد بق على ما هو عليه ليمثل مجموعة من أنقى القبائل الأصلية الموجودة فى العالم .

قبائل التانجوس

The Reindeer Tungus of Siberia



قبائل التانجوس

ما زالت تحتوي الأراضي المترامية الاطراف في سيبيريا على بقايا عدد من القبائل القديمة . وحتى القرن ١٦ كان يقطن معظم سيبيريا عناصر بدائية ليست على صلة بالعالم الخارجي ، كما أن اتصالها بروسيا الاورالية كان محدوداً للغاية وقاصر فقط على بعض المغامرين والراغبين في التجارة والذين ذهبوا إلى هناك في بعض الاحيان وقد خضعت هذه المناطق لهجمات التار والمغول والتي اتجمعت صوب الغرب في غضون القرن ١٣ . وحيث فتحت لروسيا تدريجياً فيما بعد لتسقط تحت نفوذ روسيا في عام ١٥٨٠ . ومنذ هذا التاريخ فقد شهدت سيبيريا تغزلاً تدريجياً الروس ومستعمراتهم والتي واكبت أيضاً امتصاص وإذابة بطيئة للسكان الاصليين .

وقد ظلت أواسط آسيا لعدة قرون أراضى البدو الرعاة الذين يتجولون فصلياً بغية الحصول على مرعى لقطعان أغنامهم وأبقارهم وخيولهم . وربما انحدرت هذه الحيونات المستأنسة من مراكز العصر الحجري الحديث الكبرى التي وجدت في الجوفن الشرقي للبحر المتوسط وفي الهند وأواسط الصين . ومع انتشار هذه الحضارة لم تدخل الزراعة الاقتصاد المستقر المتطور في المناطق الصحراوية المجاورة لمراكز نشاطها كذلك إلى مناطق الاستبس والسلاسل الجبلية في وسط آسيا واقصر انتشارها على بعض المناطق المحدودة التي لا بدت فيها الظروف الجغرافية قيام هذه الحضارة .

وحيث أن هذه الحضارة اعتمدت على استئناس الحيوان فقد انتشرت صوب الشمال إلى الغابات الشبه قطبية المترامية الاطراف في سيبيريا غير أن قطعان الماشية والأغنام والحيث لم تتمكن من العيش في هذه المناطق الباردة فتركت

فكانها لا تستئناس حيوان الرنة . وقد ظل الصيد رغم ذلك أساسا هاما في اقتصاد القبائل التي ترعى الرنة .

وتضم المناطق القطبية في أمريكا الشمالية عروضاً متشابهة لتلك التي توجد في آسيا فالمناطق الجنوبية تتكون من نطاق غابي كبير يتدرج صوب الشمال إلى نطاق يحتوي على أشجار اصفر وشجيرات . وإلى الشمال من نطاق الغابات ، عند تلك السهول المعروفة باسم التندرا أو كما تسمى في كندا باسم الاراضي الجذباء ، وإلى الشمال من تلك المنطقة يوجد المحيط المنحصر في الشمال ولكن رغم هذا التشابه الواضح بين العروض القطبية في كل من القارتين السابقتين إلا أن اقتصاد البحر واليابس في كل من القارتين مختلف تماما .

ففي أمريكا الشمالية يقطن حدود البحار القطبية جماعات الاسكيمو الذين لاءموا حياتهم لصيد الثدييات البحرية إذ أن التندرا جذباء تماما وأن الموارد المحدود هي مصدر معيشة الأعداد القليلة من الاسكيمو ومجموعات الهنود الأمريكين .

أما في آسيا فعلى النقيض فتتجسر منطقة صيد الثدييات البحرية في منطقة ساحلية واحدة فالبحر على طول الساحل صخل ، كما أن الاراضي منخفضة مستقيمة بحيث لا يستطيع الانسان بدون استخدام سفن صيد الحيتان أن يصل إلى الثدييات الكبرى .

غير أن التندرا والغابات المتاخمة لها في سيبيريا تضم حضارة ارقى ومن ثم يقطن في تلك المناطق مجموعات سكانية أكثر من تلك التي تعيش في نفس العروض بأمريكا الشمالية .

وينتشر الصيد البري وصيد الاسماك إلى جانب تربية الرنة . ويعتمد قوس كبير يضم رعاة الرنة أبتدأ من شمال اسكنديناوة وعبر التندرا ومن خلال حدود

الغايات الشمالية إلى شبه جزيرة شوكتشي Chukchi إلى بحر بهرنج . ويضم نطاق رعاة الرنة في الوقت الحاضر ألاسكا أيضاً حيث أحضرت الحكومة الأمريكية القطعان السiberية وذلك لمساعدة الإسكيمو . وفي كل هذه المنطقة لا يعتمد الاهالى على أى محصول زراعى كما أنهم لا يمتلكون أى حيوان مستأنس سوى الكلب .

واستخدام حيوان الرنة بين رعاته يختلف اختلافاً كبيراً على الرغم من تشابه البيئة . يبدو أن اختلاف الاستخدام يرد في المقام الأول إلى الأصول المختلفة لمعدات الرعاة ، فبعض الجماعات الغربية مثل جماعات اللاب في شبه جزيرة اسكنديناوة يعتمدون على الأيل deer في الحصول على الالبان واللحوم والجلود كما يستخدمونه في اجتذاب حيوانات المطية . ويحتمل أنهم عرفوا قلب الاستخدامات عن طريق جيرانهم الجنوبيين . أما على النجوم الشرقية من الإقليم حيث توجد جماعات الشوكشي Chukchi الكوريك Koryck بالقرب من بحر بهرنج نجدهم لم يستأنسوا قطعانهم استئناساً كاملاً إذ يستخدمونها فقط في جر زحافتهم بطريقة تشبه استخدام الكلب في هذا الصدد . أما في المناطق المحصورة بين الاطراف الشرقية والغربية فتوجد جماعات التانجوس أو رعاة رنة التانجوس الذين يمثل الياقوت Yakut أكبر جماعاتهم كما أن قبيلة سويوت Souot الصغيرة تبدو وكأنها تمثل نموذجاً للمعدات والتقاليد الرعوية السائدة في بيئة رعاة الخيل . ففي هذه المنطقة تحلب الرنة مثلاً تحلب الخيول في أواسط آسيا ، كما تستخدم أيضاً في الحمل والامتطاء . وأسراج التانجوس أشبه أسراج خيول المغول كما أن كثيراً من تقاليد وطرق الامتطاء وإعداد المطية لديهم تشير إلى وفود هذه التقاليد من الجنوب صوب الشمال .

وتنتشر لغة جماعات التانجوس انتشاراً واسماً في شمال شرق آسيا حيث

تنقسم إلى مجموعتين لغويتين شمالية وجنوبية . وهذا التقسيم يتفق بصفة عامة مع نمطين من الاقتصاد يسود بينهم . أما عن الجماعات الجنوبية أو التانجوس الجنوبيون فيقطنون أساساً في منشوريا ومنغوليا الخارجية Outer Mongolia حيث يمارسون بعض الزراعة إلى جانب تربية قطعان الماشية والخيول الجماعيات الماشية Manchus الذين هزم أجنادهم الصين في عام ١٦٤٤ يعتبروا خير الامثلة لتانجوس الجنوب . أما تانجوس الشمال الذين يعتقد بأنهم دفعوا إلى سيبيريا من موطنهم الاصل في منشوريا تحت ضغط جماعات افوق منهم في الماضي فهم زعاة رعاة في الاصل وصيادين فيما عدا بعض الجماعات النهرية الصغيرة وكذلك بعض القبائل الساحلية مثل قبيلة الجولدي Gold والجيليك Gilyak والذين يعتمدوا في حياتهم أساساً على صيد السمك . وينتمى كل الجماعات المتحدثة بلغة التانجوس إلى المجموعة المغولية، غير أن بعضهم يتصف بأن وجوههم أقل غرضاً وقلطحة من وجه المغول الحقيقيين الذين يقطنوا الجنوب .

وينتشر زعاة الرنة الذين يربوا عددهم على ٢٠ ألف تسعة على هيئة قبائل صغيرة مستقلة تعيش على مساحة واسعة من الارض تمتد من شرق سيبيريا ابتداء من نهر يانعى وحتى شبه جزيرة كامتشكا . هذه القبائل التي تعتمد اعتماداً كلياً على الرنة تعيش في شمال بحيرة بيكال إلى الشمال من خط عرض ٥٥° ش . وهم لا يطلقون على أنفسهم اسم تانجوس كما أنه لا يوجد مثل هذا الاسم لدى أى مجموعة منهم فبعض القبائل المنفردة تدعى لنفسها اسم ايكنى Evenki وهو مصطلح لا يعرف معناه الاصل على وجه الدقة غير أنه من ذرائع مضمين استخداماته فربما يعنى شعب People . بعض الجماعات الاخرى من التانجوس الرعاة تعرف باسم الاوروكون Orochon أو مربى التانجوس . أما مصطلح تانجوس فقد أطلقه عليهم جماعات الياقوت وأخذ عنه بعد ذلك المستوطنين

الروس . أما الآن فيستخدم هذا المصطلح استخداما عليا فيطلق على كل المجموعة اللغوية المتحدثة بها .

في فصل الشتاء تغطي معظم مناطق التايجموس الشمالية بالغابات التي تسمى باسم التايجا وحيث ينفرد بها عدد من الانثنيات النهرية التي تساعد في فصل الصيف على خلق منطقة مستنقعية متسعة كذلك التي توجد في قيمان لاودية النهرية الكبيرة . والتربة فقيرة لا تصلح للزراعة كما أن فصل النمو قصير جدا غير أن الاراضي الغاية والمستنقعية تغطي بالطحالب والشجيرات والصفصاف القزمي وغيرها من الحشائش التي يأكلها حيوان الرنة . وفصل الشتاء طويل كما أنه بارد جدا حيث تنخفض درجة الحرارة إلى ٨٠° ف ، ويستمر الطقس الثلج المتجمد من أوائل أكتوبر وحتى شهرى مايو ويونيو . وتساقط الثلج خفيف كما أن غيبة الغطاءات الجليدية تساعد على تجمد التربة لعمق كبيرة .

ويسود المستنقعات كل المنطقة الموجودة في شمال شرق آسيا فيما عدا قم التلال والجبال وذلك إبان فصل الصيف ، كما أن التجمد الذي يتسرب إلى الأرض إلى أعماق بعيدة لا يذوب إلا في الأجزاء العليا فقط وذلك في فصل الصيف ، ومن ثم فالأحوال الناتجة عن ذوبان التربة العليا والتي تصل إلى بضعة أقدام لا تجف خلال فصل الصيف القصير ، كما أن المياه الناتجة عن الذوبان لا تجف منفذا لإنصهارها إذ أن الطبقة السفلى من التربة ما تزال متجمدة . ومع نهاية فصل الصيف تغطي الاراضي التي يمكنها أن تجف مظهرأ لتربة صلبة ولكنهما في العادة لا تمثل إلا قشرة يمكن أن تنهار بسهولة .

وسهول التندرا المتجمدة والتي تمتد صوب الشمال إلى ما وراء نطاق أشجار اللوزان تحمل بشة دعويه أفضل من الغابات في فصل الصيف ومن ثم تتحرك بعض

الجماعات اليم الخلال فصل الدفء . ولا توجد هناك حشائش بكثرة ولكن توجد بعض شجيرات الصفصاف والحشائش القصيرة . ولا بد للحيوانات أن تأكل ما تستطيع أكله وتضمن في هذا الموسم إذ عليها أن تقاوم الشتاء القاسي حينما تنتظر إلى الرعى فوق الجليد للحصول على القدر اليسر من الطعام والمثل في طحالب الرنة . والننى تعتبر الغذاء الرئيسى لفترة تتراوح ما بين ثمانية وتسعة شهور . وفى خلال فصل الشتاء على وجه الخصوص لا بد للقطعان من التحرك الدائم وذلك لأن تراكم الجليد قد يحول دون قدرة الحيوان على التنقيب . ونتيجة لذلك فعلى جماعات التانجوس أن تجوب فوق مساحة واسعة ومن ثم فكثافة السكان فى هذه المناطق قليلة جد حيث تصل الكثافة إلى شخص واحد لكل ١٠٠ ميل^٢ .

أما فى فصل الصيف فيعانى حيوان الرنة كثيراً من الذباب والناموس بحيث إذا ما تركت الحيوانات بدون رعاية فإنها تهزل وتمرض . ولذا فيضططر التانجوس لمطاردة تلك الحشرات وذلك عن طريق إشعال النار وتكثيف الأدخنة حول المنطقة التى ترعى فيها الحيوانات أثناء النهار . ويحدث الزحيل عادة أثناء الليل فى فصل الصيف وذلك لتجنب الحيوانات المضاربة . أما فى الشتاء فتمثل الذئاب خطراً كبيراً على الرعى حيث يفقد القطيع فى العادة ما يقرب من نصف عدده بسبب الذئاب أثناء فصل الشتاء حيث يرتفع عندئذ الضحايا بين صغار الحيوانات وضعافها . وفى المادة يخرج القطيع للرعى أثناء النهار ويبقى إلى جانب المعسكر أثناء الليل وذلك حينما تبدأ الذئاب فى التجوال .

والرنة الذى يمتلكه جماعات التانجوس من سلالات مرعاه وليس مستأنس من أصول بريه فلون الرنة ربما يكون أسود أو أبيض أو الاطراف المختلفة من اللون البنى وذلك على النقيض من اللون البنى الرمادى الذى يميز الانواع البرية

وقد يلحق في بعض الاحيان ذكور الرنة البرية بالقطعان المستأنسة، وذلك أثناء فصل التزاوج ولكن يعتمد النانجوس لقتلهم وقتل سبلالاتهم المخفنة. وذلك لإعتقادهم بأن الاصول البرية لا يمكن استخدامها. والرنة المستأنسة وضع محترم حيث يلحقوا بمسكرات النانجوس وذلك لحاجتهم إلى الملح وإلى مخلفات الإنسان :

ويمكن الخطر الأكبر للرنة في الذئاب ومن ثم فلا تزن أحجام القطعان بسهولة ، ومن هنا لا يلجأ النانجوس بذبح حيواناتهم من أجل الحصول على اللحوم ولا يحدث ذلك إلا في المناسبات القليلة الهامة وفي حالة المجاعات . وحتى في تلك الاحوال فلا يقتل إلا ضعاف الحيوانات . والاتساج الرئيسي لحيوان الرنة الألبان التي تحلى ويصنع منها الكريم غير أن نسبة الدسم منخفضة فوثقى الرنة يمكنها أن تمطى في أفضل حالتها حوالي رطل من اللبن يوميا وذلك بعد اطعام رضيعها . وتقوم النساء بحلب الألبان ورعايتها غير أنهم لا يقمن برعيها إذ يترك القطيع ليرعى بنفسه وليجد الماء كل والمشرط اللازم في أى مكان ليمود بعد ذلك بنفسه لمكانه ولا تغادر أنثى الرنة ورضيعها المعسكر ، كما تقطع قرون الذكور وذلك خوفا من أن تجرح راكبها أو تشبك في الشجيرات أثناء رعيها ، ومن الطبيعي أن تتعرض للتلطف بسهولة وذلك في فصل التزاوج . ويقدر النانجوس حيواناتهم كثيراً حتى في حالة رعيهم لا يستخدموا عصي أو اسواط لقيادتهم . وينحصر الاستخدام الرئيسى للرنة فى النقل والركوب أما استخدامه فى الحمل فيأتى فى مرتبه بعد ذلك وفى بعض الاقاليم تربط الرنة احياناً فى زحافات للسفر فى مناطق السند والإثاء الصيف والشتاء فرنه النانجوس الكبير الحجم يمكن يستخدم مثل الحصان فى سيريا حيث يستطيع ان يرحل لمسافة ٥٠ ميلا يوميا ويحمل ١٧٥ رطلا بسهولة فوق اراضى وعرة وصعبة.

لا يمكن للحصان أن يسير فيها . واستخدام الرنة بهذه الصورة يمثل اساس اقتصادى هام للتانجوس إذ تمكنه من توسيع نطاق صيده .

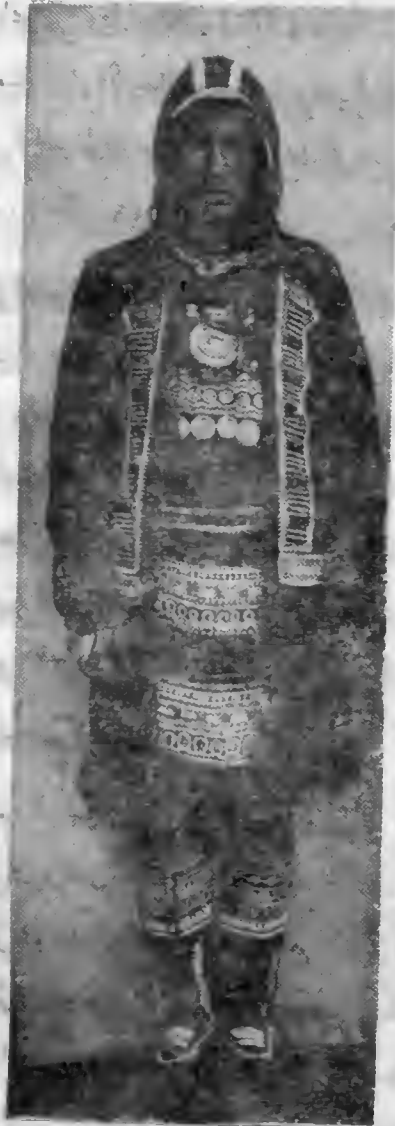
ويعتبر الصيد والقنص هو النشاط الإقتصادي اليوى لقبائل التانجوس . حيث يعتمد الاهالى لاصطياد الثعالب والسمور Saïle وبعض الحيوانات الكبيرة مثل الرنة البرى والايل والدب والذئب ذلك إلى جانب الحنازير . ويستخدم التانجوس حاليا البنادق بدلا من القوس والسهم والرمح الذى كان يستخدم قبل ذلك . ولا يمارس صيد السمك بطبيعة الحال إلا فى الأوقات التى يتحرك فيها التانجوس صغوب المجازى المائية . وعلى الرغم من الاهمية الكبرى لحيوان الرنة فى الحياة العاطفية والدينية للتانجوس إلا أنهم جماعات صائدة أساسا ، فحيوان الرنة هو الحيوان الذى جعل التانجوس يعيشون فوق مستوى الكفاف كما انه هو الذى جعلهم أكثر حرصا كصيادين ، وبهذا المفهوم فلم يفوق الحضارى على مجتمعات الصيد والقنص العادية الاخرى التى توجد فى أنحاء العالم . وتدمم منتجات الصيد بحاجاتهم الاساسية من طعام وملبس وماوى . كما أن صيد الحيوانات ذات الفراء ولاسيما السمور والسنجاب وذلك للمقايضة مع التجار الروس يمثل أهمية اقتصادية كبيرة لقبائل التانجوس منذ قرون عدة . فربح الحيوانات والبنادق والطلقات النارية والفؤوس الحديدية والسكاكين والأدوات المنزلية والشاي والنيغ كلها بضائع وسلع هامة بالنسبة للتانجوس يمكن مقايضتها نظير فراء الحيوانات ،

ويختلف ملبس التانجوس من مكان لآخر وذلك تبعاً للتأثيرات الحضارية المختلفة المستقاة من جيرانهم فى جميع الجهات . وقطعة الملابس الوحيدة الباقية من الملابس التقليدية للتانجوس هو المعطف المزركش وهو مصنوع من جلود

الرنة ويفضل جلد أنثى الرنة حيث تحاك بطريقة تشبه طريقة حياكة المعطف الأوربي . ويرتدى النانجوس هذا المعطف شتاءً وصيفاً . وربما نجد أن لفحة الامامية بها ميزات معينة أثناء الامتطاء حيث يتعرض الصدر والمعدة إلى البرد ولذا فتوضع قطعة من الجلد لحماية هذه الأجزاء من الرياح . ويوجد هذا الطراز في بعض جهات الصيد . (شكل ٩)

وربما كان الأصل الجنوبي لنانجوس الشمال وعدم ملائمتهم الكاملة لظروف الحياة القطبية عاملاً وراء مظهر آخر من ملابسهم . فالبنطلونات قصيرة . وهو نموذج معروف أيضاً بالصين . كما أنه يوضع عليها قطع متقوية عند الركبة . أما الأحذية الجلدية ذات الرقبة والتي تعتبر نموذجاً حشواً مرتبها بالمناطق القطبية فربما استمير بمظهره الكامل هذا من القبائل القطبية المجاورة وذلك لأن الخلف Footgear الأصلي الذي لا يناسبهم مطلقاً لم يستخدم . كذلك النظارات التي تحمي العين من ضوء الشمس أثناء الربيع وتخفف الرؤية لدرجة كبيرة فقد استميرت هي الأخرى من السكان السابقين .

وتتكون نواة مجتمع النانجوس من خيمة صغيرة يعيش فيها الزوج وزوجته وأطفاله على الرغم من أن والدي الزوج قد يعيش مع الأسرة في أغلب الأحيان . وتتكون الأسرة أساس الوحدة الاقتصادية والتقسيم الأولى للعمل في المجتمع بين الرجل والمرأة أمر معترف به هنا حيث يرتكز نشاط الرجال على الصيد والدفاع ضد أخطار الحيوانات الضارية والاعداء . كذلك صناعة معظم الأدوات وتحميل الحيوانات وذبحهم وساختهم ، وعملية التحطيب وغيرها من الأمور التي تتم خارج المنزل . أما النساء فتتقن بصنع الثياب والخيام وحلب الحيوانات ورعايتهم في المعسكر ذلك إلى جانب الأعمال المنزلية العادية التي ترتبط بأعداد الطعام ورعاية



شكل (٩) النانجوس في سيبيريا

الاطفال . وجماعات التانجوس لانتمسك بشدة بتقسيم العمل بين الرجل والمرأة ومثلهم في ذلك مثل كثير من المجتمعات حيث يساعد الرجل المرأة في كثير من أعمالها كذلك تقدم الزوجة المساعدة للزوج في عمله . أضف إلى ذلك فقد يقوم الرجل المسن الذي لا يقوى على الصيد بجميع الاعمال التي تقوم بها المرأة في المنزل .

ولا بد أن يكون منزل التانجوس سهل الحمل والنقل كذلك لا بد أن تكون أدوات المنزل خفيفة ومحدودة .

فخيمه الشتاء الجليدي صغير وتحتوى في العادة على اماكن مبيت لشخصين أو ثلاثة إلى جانب بعض الاطفال . اما الماوى الصيفي فيشيد عادة من لحاء الاشجار وهو أكثر اتساع من الخيمة وذلك لان مكان الاستقرار في فصل الصيف أكثر دوما منه في الشتاء . ويأخذ المنزل الشكل المخروطي حيث يحمل على اعمده مائله تتجمع عند القمة في الوسط حيث تترك مفتوحة كمنفذ للدخان . أما الاثاث فمبارة عن الجلود التي تكون الاسرة . ويفضل التانجوس الاسترخاء على الارض بدلا من الجلوس وذلك لكي يتشبقوا هواء انقى .

ولا بد وان تظل الخيمة مغلقة جيدا في فصل الشتاء كما لا بد وان تظل النار مشتعلة وذلك لشدة البرودة اما في الصيف فيتبع نفس النظام بالنسبة للمستقر الصيفي وذلك بسبب وجود الحشرات ومن ثم فالجو داخل المسكن دائما مدخن وادوات الطهي لا تزيد في العادة عن كونها مجرد غلايه من المعدن . وعنصر الطعام الرئيسي في جميع المواسم اللحوم المغليه ذلك إلى جانب الشاي والدخان اللذان يقدمان في العادة عند وفود الضيوف .

وتتسم طريقة أو اتيكيت المعيشة في المسكن بأنها معقدة حيث يخصص المكان الذى يقع على يمين المدخل للزوج والزوجة بينما يخصص الجانب الايسر لأكبر الذكور بعد ذلك وفى العادة يكون الابن الأكبر . أما الجانب المقابل للمدخل فيخصص الأرواح أو الزوار الذكور المقربين حيث يعامل الزوار معاملة تتسم بالخفاوة والكرام . والمحادثه امر عادى ولا سيما إذا كان الزائر أكبر من المضيف كما أن التعبيرات العاطفية للفرح والسرور والدهشة أمر غير مستحب وتقدم الهدايا بحريه وواحب على الضيف عدم رفض الهديه بل يقتضى الواجب عليه أن يردّها .

وفى فصل الشتاء الذى يستغرق $\frac{3}{4}$ العام ينتشر التانجوس على طول حدود القبيله ونادرا ما يجد جماعة تزيد على اسرتين أو ثلاث . ويتحرك معسكر التانجوس باستمرار مع بحث الرنه عن أراضى رعى جديدة ويغيب الرجال عادة عن المعسكر وذلك بسبب الصيد ورحلات القنص بينما تنهض النساء القطعان وتحافظ على المعسكر حتى فى حالات الضرورة قد تقمن بنقل المعسكر إلى موقع جديد . وحين يتكون المعسكر من عدد من الاسر يقسم الصيد بينهم فيما عدا الجلود التى يبقى عليها من اجل أن يتبادلها الصائد شخصا للحصول على الشاى والتبغ وبعض الكماليات .

وتعتمد اسر التانجوس لاختيار مواضع معينه لمعسكراتهم كما ان لها طرقا منظمه للهجرة حيث تأتى جميعها فى فصل الصيف إلى معسكر أكثر دواما وأكبر وقد تترك الاسر المنفردة وجماعات معسكر الشتاء مخازن الطعام والملابس والادوات الاخرى فى مواضعها المعتادة وذلك لكي تتخلص من مشكله النقل والمخازن عبارة عن اكواخ طويله صغيره ترتفع فوق ارضهه وذلك لكي

محميها من الحيوانات ويشرح لأي فرد أو أي أسرة من النانجوس التي تنتمي إلى القبيلة أو العشيرة أن يأخذ من المخزون ما يشاء وإذا ما أخذ شخص شيئا فمينا من المخزون ولم يتمكن من إرجاعه إلى مكانه قبل وصول العائلة فانه يترك مكانها نظامة من الخشب يوضح عليها شخصية المستعير وهو من ذلك أن الشيء يحوف برذا فيا بعد .

ولا يتبادل النانجوس في العادة التجارة مع غيره إذ يقتصر الامر فقط على تبادل الهدايا والاستعارة والكرم العادي أما الادوات والاشاي والنبغ والمواد الاخرى في تأتي من الخارج كلها بضائع يحضرها بعض تجار النانجوس في نظير تبادلهم للفراء. وكان من نتيجة ذلك أن احترمت الملكية الخاصة للسنباب والسنور . وفيما عدا ذلك لا يوجد اعتراف بحقوق الملكية الخاصة للمصادر الطبيعية فالابد الاكبر إذ كان قادرا يرث في العادة حقوق ومسؤوليات كبير العائلة غير أنه لا توجد ملكية خاصة بمعنى الكلمة يمكن أن تنتقل اليه : فقطيع الرنة ليس بذات قيمة لأنه ملكا دائما للأسره . فتحجم القطيع يتذبذب من سنة إلى أخرى بسبب فتك الثعالب والأمراض بهم ومن ثم فيجتمع قادة الأسر في كل صيف على هيئة مجلس العشيرة ليميدوا توزيع رؤوس الرنة على الأسر وذلك لكي تتمكن كل أسرة من العيش في خلال الشتاء القادم . وهذا يعني أن ملكية الرنة استثمار لشكل العشيرة على الرغم من الأسر المنفردة . تتحدد الجزء الخاص بها من القطيع بنفس المنطق الأرض التي تتجول فيها الأسر تدخل ضمن الحدود العشائر المتزاوجه التي تشغلها فلا توجد امتيازات ثراء مهمه بين السكان .

وتتكون عشيرة النانجوس من أسر ابويه متقاربة ، وتسمى كل عشيرة باسم

يحمل أحيانا اسم جده الرجل . وتختلف عشائر النانجوس فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث الحجم إذ يتراوح عدد أفرادها ما بين ١٢ فردا إلى عهده مئات ، ورياسة العشيرة ليست وراثية ، ففي فصل الصيف حين تجتمع كل الاسر في الماوى الصيفي يتخذ القرار باجماع اراء رؤساء الاسر أو عن طريق مجلس العشيرة . وهناك ميلا بين عشيرة معينة لأن يتزوج أفرادها من عشيرة أخرى . ونظام الزواج يخضع لأصول قوية فإذا ما زوجت عشيرة بناتها امشيرة أخرى كان على العشيرة الاخيره ان تقوم بنفس العمل . وفي الواقع كما هو جارى بين النانجوس ان ينحضر الزواج بين كل اسرتين وذلك عن طريق زواج البنات ومن ثم فيسود زواج أبناء العمومه إذ يلجأ الرجل دائما لزواج ابنة خاله ، ويعتبر الزواج في هذه الحالة مثاليا أما أبناء العمومه فيعتبروا من العشيرة ذاتها ولذا يحرم زواجهم من بعضهم .

ولقد أصبح الزواج الداخلى بين افراد العشيرة في وقت من الاوقات يتكون اساسا من الاقارب عن طريق الانحدار الوراثي ، قبائل النانجوس مشاهير في ذلك مثل الجماعات الاخرى القبلية والعشائرية تكون وحدات عريقة متماسكة متميزة لتوضيح اختلافات دقيقة وحساسة عن العشائر الاخرى ولها وحدتها الاقليمية الامر الذى يدعوها إلى ان نصفها بانها قبيلة حقيقية . ووحدات النانجوس القبلية لانحفاظ على استمراريه واضطراد سكانها لفترة طويلة من الزمن إذ يبدو يوضح من اسماء العشائر المتشابهة ومن الشعائر العلية التي تمارس في مناطق متعددة أن بعض هذه الوحدات قد انقرضت عتقدها وانقسمت إلى مجموعات منفصلة وذلك على النقيض من مجموعات أخرى من العشائر قد تجمعت سويا وقطنت اقلها واحدا .

وتوضح أنماط مصطلحات القرابة التي تستخدم بين قبائل النانجوس امرين هامين أولهما العضوية في العشيرة وثانيها العمر النسبي للفرد . فالنظام المفضل في الزواج ربما منذ الأيام الأولى يتكون أساساً من اتحاد عشيرتين ومن وجهة النظر هذه يوجد نوعين من القرابة أحدهما تختص بقرابة عشيرة الأب والآخرى بقرابة عشيرة الأم . وكل واحد من هذه تقسم إلى قسمين نوعين أحدهما يضم كبار السن أو المتحدثين باسم مجموعة والآخرى صغار السن . ونتيجة الزواج بين هذين العنصرين نمط بدائي عام وبسيط يفصل بين زواج أبناء الخال والخاله وأبناء العم والعمة وذلك لأن زواج المجموعة الأولى مباح حيث تعيش عشايرهم بعيدة أما المجموعة الثانية فينظر على أنهم من عشيرة واحدة ولذا يحرم الزواج من ابن العمومه اللزم أو ما يطلق عليه باللغة الانجليزية *Parallel Cousins* وذلك على النقيض من مصطلح *Cross Cousins* بالنسبة لزواج أبناء الخالة والخال . وقد تستخدم هذه المصطلحات على نطاق واسع بالنسبة لأعضاء آخرين ينتموا إلى عشاير الأب والأم . فيصطلح خال يطلق على كل اصدقاء الخال في العشيرة وليس على المتحدث باسمهم أو أكبرهم فحسب . أما المصطلحات الوحيدة التي تشير عن استخداما إلى اشخاص بعينهم فهي تلك التي تستخدم للدلالة على إلاب أو الام أو الاجداد أو الابناء أو البنات والإحفاد . وقد يميز الاخوة والاختوات الكبير غير المتحدث عن الاخوة والاختوات الصغار . فيما عدا هذه المجموعة الصغيرة من المصطلحات العائلية فإن مصطلحات القرابة الأخرى تستخدم بحرية في مخاطبة بين الافراد . وقد يستعمل في مخاطبة شخص غير موجود اسمه الحقيقي أو اسمه الأول .

ولا يجوز ان يخاطب الشخص شخص أكبر منه باسمه إذا ان عمل ذلك يعد اهانه كبيرة ، كذلك لا يجوز للشخص ان يجلس في حضرة شخص أكبر منه

إلا إذ دعاه لذلك ولا يجوز له التحدث أيضا إلا إذا تكلم قبله ، انضف إلى ذلك فإن مظاهر التقدير له لا بد وأن تصحب بالانحناءات .

يحدد وضع الشخص من الكبار أو الصغار لا يحدد العمر النسبي بقدر ما يحدد مجيله . فقد يحدث أن يكون الدم في سن ابن شقيقه أو شقيقته أو يكون أصغر منه وليكن لكونه ينتمى إلى جيل الأب فإنه ربما مل ابن أخيه وكانها أكبر منه كثيرا في عمرة الحقيقي . ولا توجد محرمات أو عادات يجب تجنبها بين طبقات القرابة المختلفة في مجتمع الناجوس فيما عدا تلك المسافة الاجتماعية التي تصاحب اختلاف الأجيال .

وتصر العشيرة على أن يطيع جميع أفرادها النظم والقواعد التي تضعها فكل شيء للعشيرة حق للفرد فجميع أسرها تجوب حدود الصيد لتقتنص منها حيوان الرنة كما أنها تنظم الزواج وتحمي أفرادها من الأعداء وتدعم قواعد السلوك الاجتماعية . وتحول العشيرة في معاقبة الأفراد العاقين ولها في هذا الصدد ثلاث عقوبات فالشخص يمكن أن إذا ارتكب جريمة عدم طاعة الكبار أن تساع تعاليم العشيرة كما يمكن أن يحكم عليه بالموت إذا ارتكب جريمة أكبر من ذلك كالقتل وأن كانت مثل هذه الجريمة نادرة . ثم هناك أيضا عقوبة الطرد من العشيرة وهي أقصى العقوبات لأن الطرد في هذه الحالة يفقد انتمائه إلى المجموعة وهذا الانتماء اقتصادي واجتماعي في نفس الوقت . أما أفراد الناجوس الذين يعيشون في الوقت الحاضر في المحلات الروسية هم الأفراد الذين طردوا فيما سبق من عشائرهم . أما عقوبة تجريد الفرد من ملكيته فغير معروفة وذلك لأن الملكية لا تفهم في هذا المجتمع بالمفهوم الفردى ومن ثم فليس لها قيمة . ومن ثم فالسرقة لنفس السبب ليست جريمة شائعة بل في الواقع أن الجرائم من أجنوع في مجتمع الناجوس نادرة حتى

الآن حيث لا تحدث الجرائم الخطيرة إلا في اعتقاب تناول كميات كبيرة من الكحول .

وجماعات التانجوس حريصة دائما على أن تزيد من حجم عشائرها وذلك لأن العشيرة القوية تطفى الأمان والسكينة على أفرادها . وحينما تصبح المرأة حاملا يظهر أعضاء العشيرة فرحة كبيرة لهذا الحدث ولا سيما وأنه لا يوجد تفضيل لأي من الجنسين على الآخر وذلك لأن الولد سوف يبقى يعيش في إطار أرض العشيرة ولكن البنت أيضا سوف تستخدم للمبادلة في الزواج مع عشيرة أخرى

وعندما يحين موعد ميلاد الطفل تنصب خيمة صغيرة إلى جانب المنزل لتكون حجرة للولادة ، وفي داخلها يوضع عمودان في وضع رأسي ويشجبا سويا بعمود آخر . وعند الوضع تضع الأم صدرها على العمود العرضي وتمسك بذراعيها في العمودين الآخرين .

وقد يساعدها في ذلك أمراء عجوز غير أنه لم يكن فيما مضى مسموحا بأن يساعدوا أحد . كذلك لا يسمح حاليا أو قبل ذلك أن يحضر عملية الولادة أي رجل إذ يظل الزوج بعيدا عن مكان الوضع . ولا يمارس التانجوس عملية الوئد حتى في حالة ولادة التوأم رغم أن ولادة طفلين مره واحدة تعتبر أمر غير عادي وغير مصدق بالنسبة لهم لأن سوف تكون لها روحا واحده ومن ثم فوئد أحدهما لابد وأن يكون مصحوب بموت الآخر . وبعد الميلاد تعيش الأم ورضيعها في الخيمة الصغيرة لمدة شهر وذلك إذا ما حدث الميلاد في فصل الصيف أما إذا كان في فصل الشتاء فلا تبقى إلا عشرة أيام فقط . ولا تستطيع الأم أن تدخل إلى مقر الأسرة إلا بعد أن تقام شعائر طهرها عن طريق الاستحمام وتعطير نفسها وتملكاتها عن طريق الابخره .

وبعد الميلاد بفترة قصيرة يعطى الطفل اسما الذى بقوته السحرية سوف يؤثر فى نمو الطفل وشخصيته . ويظل الطفل فى خلال الايام الاولى من ميلاده ملفوفا بالفراء ولكن يفصل بعد ذلك ويوضع فى حقيقه من الفراء ويملق حيث يبقى على هذا الحال لمدة عام . وتظل الام ترضع وليدها لمدة ثلاثة أعوام وإذا لم تلد المرأة فى غضون هذه الفترة فقد تستمر فى ارضاع طفلها لمدة ستة أعوام . ويعطى الطفل غذاء اضافيا معينا خلال عام ، ويعرض الاطفال للعرى لفترات قصيرة دائما ليقدرُوا على تحمل برد الشتاء القارس . والاستحمام نادر على أى حال كما يحرم غسل الرأس لمدة عامين أو ثلاثة ولهذا السبب نجد أن اطفال التانجوس معرضين للعدوى والمرض .

وقد يحرص الاباء والاقارب على تعليم ابنائهم قواعد الادب والمهارات المتطلبه فى المجتمع غير أن عملية التدريب لاتصاحبها العقوبات أو الزجر . فالاطفال محبوبين جدا من كبار الخيم ولذا فيسمح لهم بأن يفعلوا أى شئ من شأنه تسليتهم كالتدخين أو شرب الكحول أو ممارسة الاعمال البدنية الخطرة بين الحيوانات . ونسبة وفيات الاطفال مرتفعه جدا نتيجة اعدوى المرض أو تجمد الاطراف أو الحروق التى تحدث للأطفال من جراء اقترابهم للذرائع أثناء الزحف . ويعنى بلوغ الفتاه قدرتها على الإنجاب ويعرف ذلك عن طريق التغيرات المورفولوجيه التى تطرأ عليها ويطلق على الفتاه اسم « سمينه Fat » حينما تبدأ الحيض الذى قد يحدث لأول مرة عندما تبلغ من العمر ١٤ عاما حيث ينظر اليها حينذاك على أنها خطرته وغير نظيفه . كذلك يصل الولد إلى مرحلة الرجوله أو البلوغ تدريجيا ، ولا يوجد طقوس خاصه تصاحب ذلك إذ انه يتحمل مسؤوليه الرجال تدريجيا ابتداء من سن العاشرة إذ أن الإنماء الحقيقى لكل من الصبي

والصبيه إلى مجتمع البالغين في عشيرة يتم عند زواجها . ويحدث الزواج عادة في سن مبكر لدرجة أن الزوجين قد يكونا أحيانا غير ناضجين جنسياً إذ يفضل في معظم الاحيان أن يكون الزوجين من سن واحد ومن أبناء الخال ، كذلك يفضل دائماً أن تتبادل الاسرتين الأزواج ، والزواج المثالي أن يتزوج ابن الاسرة بنت أسرة أخرى وأن شقيق الأخيرة يتزوج شقيقة زوجها . وحين يكون الزواج على هذه الصورة لا تكون هناك أى حاجة لتبادل أشياء ذات قيمة بين الاسرتين ويحدث الزواج فى العادة نتيجة للاتفاق بين الاسرتين أولاً ثم موافقة العشيرتين اللتين تنميا لهما الاسرتين ثانياً .

والزواج الذى يتم خارج نطاق الاسرتين المتقاربه يكون مصحوباً دائماً بتبادل ملكية بعض الاشياء وذلك بعد فترة من المباحثات والاتفاقات وتبادل الهدايا ، حيث يتمكن الزوج بمعونه أسرته وعشيرته من جمع عدد كبير من حيوانات الرنة والنمى تقدم كقابل لاسرة الفتاه . وهذا المظهر يتفق على العادة على تدعى خطأ باسم مهر والذى ينتشر بصورة كبيرة فى المجتمعات الرعوية وتعتبر حجم الهدية عامل تفاخر هام بين الاسرتين لدرجة أن عشيرة الزوج قد تصل إلى حد الفقر فى سبيل تقديم هديه ثمينه للأمروس . غير أن نصف قيمة الهدية سوف يعود مرة ثانية إلى عشيرة العريس على شكل مهر يقدم مع الفتاة . وبطبيعة الحال مع مرور الوقت تأخذ قيمة وحجم الهدايا فى القلة وذلك لميل العشيرتين المستمر للتزاوج بينها وتكرار تقديم الهدايا . وفى بعض الاحيان تكون أسرة الرجل وعشيرته فقيرة ومن ثم تكون عاجزه عن التعاون فى زواج معين ومن ثم لا يملك العريس ما يستطيع أن يقدم به هدية فى هذه الحالة يقيم منزل الزوجية مع أسرة زوجته وذلك لكي تعاونه اقتصادياً . وقد توجد مثل هذه العادة أى عادة خدمة العرس بين بعض الشعوب الرعوية .

وتعقد احتفالات الزواج في وقت يحدد قبله بعام وقد يحضر الحفل عدد يزيد على ١٥٠ شخصاً حيث تقيم العشيرتان مضافاً إليهم في مكانين منفصلين ثم يبدأ اليوم الأول بالاحتفال كبير ، وتصل الإحتفالات إلى ذروتها بعد أن يقدم العريس الهدايا للعروس ، وحينما يحمل المهر على حيوان الرخة بغض النظر عن المسافة التي يقطعها للوصول إلى مأوى العريس ويكون هذا الموكب مصحوباً بملابس العرس ، وتأخذ العروس بعد ذلك مكان الزوجة في بيت الزوجية وذلك في الجانب الأيمن من المدخل على حين يجلس أقاربها وأقارب الزوج في حلقة . ويدخل العريس بعد ذلك مخفوفاً بأقرانه وأصحابه ليحيط بالدايرة ويحيي الضيوف والمهنيين . ويقوم كل ضيف بتقبيل العريس في فمه ويديه أما الخاطب الذي يقوم بدور الواسطة في الزواج بين العشيرتين فيقبل اليد ثلاث مرات ، وإذا ما تمت هذه المراسم يصير العروسين زوجين أما بقية اليوم والليل فيقتضى في الأكل والشرب .

وأفضل وسائل التسلية في حفل عرس التانجوس الرقص أو الغناء كما يطلقون عليه وذلك بسبب النغمات التي تردد أثنائه . حيث يكون الرجال والنساء حلقة دائرية كبيرة للرقص وأحياناً يكون كل منهم حلقة متصلة تشابك فيها الأذرع سوياً . ويبدأ الرقص بأن يتحرك الراقصون صوب اليسار بميل لئلا تصادهم ثم تتحرك الدائرة مع عقارب الساعة وفي هذه الأثناء يرتل رئيس الحلقة أغاني من تأليفه يرقص عليها الأفراد دون وعى وقد يستمر هذا الرقص لمدة ساعات .

وحينما تدخل الغناء الحياة الأعرية وتصبح زوجة فإن أعباء جديدة تلقى عليها لتكون أكثر من تلك الواجبات التي كانت تتحملها وهي بين امرأتها .

فقد ذلك اليوم تصبح هي نواة الأسرة والراعية الوحيدة للمشؤون الحيةمة،
 ومحتوياتها، تحمل جرة المياه وحطب النيران، وتعد الطهي وترعى الحيوانات،
 وتدبغ الجلود وتغيط الملابس. أضف إلى هذه الواجبات تتحمل الزوجة أعباء
 أخرى خارج المنزل وذلك لأن الزوج يقضى معظم وقته في الصيد. فتنشأ
 مواضع المنازل باستمرار بسبب الحاجة لحيوان الإبل عمل. يقع دائما على كاهل
 المرأة. وقبل بداية الرحيل فعلينا أن تجمع حيوانات الرنة التي ترعى كما عليها
 أن تسرحها وتضع عليها الاحمال ثم عليها بعد ذلك أن تقود طابور الرنة الذي
 يتبعه الأطفال والذين يسرون في ركابها ولذا فلا بد وأن يكون لها
 دراية كاملة بالأرض التي تسير فوقها فتعرف أماكن المياه والحطب والرعى،
 كما عليها أن تعود إلى مكان لقاء زوجها في الميعاد المحدد الذي اتفق عليه.
 وبصفة عامة نجد الزوجات معاونين لأزواجهن غير أنهن لا يحتلن مرتبة أقل منهم.
 والإختلاف القائم بينهم هو نوع من الإختلاف الموجود بين المجتمعات الإنسانية
 والذي ينحصر في طبيعة العمل إذ يقضى الرجال معظم أوقاتهم في الخارج وعملهم
 ذات أهمية اقتصادية كبيرة للمجتمع بينما تبقى هي للأعمال الثانوية في المنزل إلى
 جانب رعاية الأطفال. وتبعاً لذلك تقوم الزوجة بإعداد الطعام عند حضوره كما
 تقوم بخدمة الزوار الرجال وإن كانت لا تخرج إلى الحديث معهم كما أنها لا تتناول
 الطعام هي وصغارها إلا بعد انتهائهم من الأكل. ويبدو في بعض الأحيان أن
 العلاقة بين الزوج والزوجة غير عادية فلا يستطيع أحدهما على سبيل المثال أن
 ينادى الآخر بإسمه ولكن يستخدم مصطلح زوج وزوجة إلى أن يولد طفل ومن
 ثم يشير كل منهم للآخر على كونه أب الطفل أو أم الطفل. ومثل هذا السلوك
 أمر شائع في كثير من المجتمعات البدائية التي توجد في أنحاء العالم.
 وهذه الزوجات أمر نادر بين التانجوس ولكن يسمح به حيثما لا تنحجب

المرأة أو حينما تكون الزوجة أكبر من الزوج وتصل إلى السن الذى لا يسمح بالخل وليس من المقبول أن يتزوج الرجل شقيقته ولكن في نظام تعدد الزوجات باستخدام مصطلح أخت كبرى وأخت صغرى، كما أن الاطفال يطلقوا عليها سوية لقب الام .

ويبدو أن التانجوس أكثر تعرضا للأمراض والضعف عن غيرهم من البدائية . ومن الأمراض المنتشرة بينهم الجدري والجديري والذى يعتقد أنها من قبل الارواح غير أن التانجوس يلجأ إلى عزل المريض منعاً من انتشار المرض ، كما يمارس أيضاً عملية التنظيم . واعتقادهم في السحر والشعوذة كوسيلة للشفاء محدودة إذ أن المعالجة الطبيعية هي الأساس .

والتانجوس كثيرهم من الجماعات التى تقطن المناطق القطبية في أمريكا الشمالية بما في ذلك الإسكيمو قد تأثروا بعد استقرارهم أو بما يسمى بهستريا المنطقة القطبية Arctic hysteria . ويذهب الباحثون لتعليل أسباب هذا المرض أن العادات غير كفيلة بأن تفي بحاجات الافراد ومن ثم فالهستريا وسيلة لجذب الناس إليه وإثارة العاطفة نحوه ولذا فهى أمر شائع في تلك المنطقة . ويعتقد أن الشخص المصاب بالهستريا مرتبط بعالم الارواح ومن ثم فلا بد وأن يستدعى الشaman لطرد الارواح الشريرة من أجسادهم . وتعتمد هذه النظرية على أن الارواح تبحث عن سيد وتحاول أن تمتلكه من آن لآخر وما أن تجد وسيلة لها وهو الإنسان أو الشيطان حتى تسيطر على روحه وتمنعها من الاتصال بإنسان آخر فتعزلها إلى أن يأتي شخص آخر ويسيطر عليها .

وهكذا فدور الشaman عند التانجوس يشبه دوره بين جماعات الإسكيمو وهنود أمريكا في أن الشخص القائد على التحكم فى الروح لكي يبعدها عن

الشخص المضار كما أنه يكون من آن لآخر وسيط لها بمعنى أنه قادر أيضاً على استخدام الروح فى جميع وإرشاد الأرواح التى قد تؤذى . وبين قبائل التانجوس يمكن للراءة أن تكون شامانا مثل الرجل ، ومن الصدف أن تكون كلمة شامان من كلمات التانجوس وأنها نقلت من هناك إلى العالم الغربى بواسطة الروس الذين قابلوا التانجوس فى القرن السابع عشر الميلادى .

ويقترض فى الشامان أن لديه معلومات خاصة عن الأرواح ولذا فقد يقوم أحياناً بدور الجان وفى هذه الحالة لا بد من وجود شخص آخر يقوم بشرح أفعاله وكلماته التى تصدر عنه ورغم ذلك فدور الشامان الرئيسى هو السيطرة على الأرواح ومنعها من جلب سوء الحظ أو طرد الأرواح من الأجسام التى تعاني عدم اتزان عتملى .

ويلجأ الشامان لدى التانجوس لاستخدام أدوات خاصة تختلف فى تعقيدها من شامان لآخر ولكنها دائماً تشتمل على العناصر الآتية مرآة صينية من النحاس ولباس معاون وتومبرين أو طبلة يدق عليها ليهى نفسه لمقابلة الأرواح ومن أجل أن يوصى باقتراح أو رأى معين لذهن السامع . ويختلف مشهد الشامان ذاته فى تفاصيله من إقليم لآخر ، كما يختلف أيضاً غرض الاحتفال ولكن المشهد الأساسى هو الدق المستمر للطبلة ليظهر أخيراً الشامان وهو متلبس بالروح . والغرض المتكرر هو أن ترحل روحه إلى العالم السفلى لكي يصاحب بعض الأعمال مع أرواح الأجداد وذلك من أجل خير معشيرة . وجزء مسبق من هذا المشهد يختص أولاً بالبحث عن أسباب مرض الشخص أو المناعب الأخرى أو النبأ بالمستقبل . ولا يعنى ذلك أن الشامان رجل يتحدث بحق أو طبيب فى حالات المرض يركز دوره أساساً على التشخيص وفى حالة ما يقرر

إذا ما كان الشخص مريضاً لكي يطرد الأرواح وفي هذه الحالة يكون علاج المريض نفسى أكثر منه اجتماعى .

أما الموت فيعتقد أن سببه هو رحيل الروح الدائم عن الجسد . ومن ثم فيعتقد التانجوس أن موت الأطفال أسهل من موت الكبار وذلك لأن الأرواح فى الصغار لم تستقر بعد . أما الكبار فيتوقعون الموت كشكل أو مظهر طبيعى فى الحياة ولكن الكبار الأشراذ يموتون خلال الحوادث أو نتيجة لمرض أو بفعل الأرواح النى تطرد الروح من الجسد . وقد يكون فقدان الروح جزئى كما يحدث فى حالات الإغماء أو فقدان الرعى . فالشخص المريض الذى يحتضر أو يكون بين الحياة والموت وكذلك الشخص الحديث الوفاة يمكن للشامان فى هذه المحاولة وإذا ما قضى الشخص نحبه فإن انتباه الناس يتجه إلى مشكلة نقل الروح إلى العالم الآخر . ومن ثم يكفن التانجوس المتوفى بأفخر ثيابه وتغطى الجثة بملامه وبعد ذلك يبدأ الأقارب المأتم الذى يستمر طوال يومين إذا كان الطقس بارداً وعلى أى حال لا تقل فترة الزمنية عن ٢٤ ساعة . وتوضع أنواع عديدة من الأطعمة والشراب بالقرب من رأس المتوفى كما يوضع التبغ واليبب وأداة للتدخين بالقرب من صدره ، ومن آن لآخر يفد الأهل إلى إلقاء بعض الأطعمة أو قطرات اللبن أو الشئ فى الهواء وذلك فى حالة ما إذا كانت الروح حاضرة . وليس هناك التزامات لإظهار الحزن والأسى على المتوفى فقد يجلس التانجوس حوله يتحدثون فى ذرات عادية فى مشن الحياة اليومية . وأخيراً حينما يتأكدون أن الروح قد ذهبت ولئن تعود أنية تفتح الجثة فى صندوق خشبى حيث يوارى النراب . ويضحي بحيوان الزلة فنى هذه الجملة من أجل الروح كما توضع على الميت بعض ممتلكاته الخاصة التى يعتقد أنه سوف يكون بحاجة إليها . وإذا ما أصاب رجال المشيرة سوء الطالع أو بعض المتاعب عقب دفن الجثة فإنه يعتقد أن روح المتوفى

غاضبة لأنها لم تكرم التكريم اللازم ولذا فيستدعى الشامان لطردها وإقناعها بمواصلة رحلتها إلى العالم الآخر . أما الأرواح التي لا تصل إلى العالم الآخر فيشعر التانجوس أنها مصدر خطر عليهم .

ويتصور التانجوس أن الظروف المعيشية في العالم الآخر هي نفس الظروف على الأرض ومن ثم فالأرواح تحتاج إلى أشياء فهي تقاسى من البرد والجوع في بعض الأحيان ، كما أنها معرضة للغضب والغيرة كما يحدث في الحياة العادية-لبنى البشر وإن كانت الأرواح تظهر في بعض الأحيان ميلا للطفولة أكثر وهنا يأتي دور الشامان لإرشادها . وهكذا تنحر الحيوانات كلها أمكن وتقام الصلوات . من أجل أجداد العشيرة لكي تبعد عنهم سوء الحظ بعودة الروح . ويتكون عالم التانجوس من ثلاثة عوالم الأول العالم السفلى أو عالم الأرواح أو عالم الأجداد Lower World of Ancestor Spirits ثم العالم الأوسط Midle world الذى يعيشون فيه ثم العالم الأعلى Upper Orsky World حيث يوجد الشمس والقمر والنجوم وحيث توجد أرواح السماء . ويسود بين التانجوس أيضا ومثلهم في ذلك مثل سكان مذكوريا الاعتقاد في روح السماء . غير أن جماعات التانجوس ليس لديهم معتقدات معينة تخص بإله السماء أو المخلوقات أو نظرة واضحة لعملية الخلق إذ يبدو في نظرهم أن كل شيء ظهر بصورته الحالية . فالأرواح أجداد العشيرة هي الشيء الأساسى الذى يجذب أنظارهم وإن كان من الصعب وسوء التقدير أن نقول أن في ذلك اتجاه ، لعبادة الأجداد ، إذ لا يعدوا هؤلاء الأجداد إلا أشخاصاً انتهى دورهم بعد الموت .

وربما تعطى المستريا القطبية التى تسود بين التانجوس طابعا خاطئا للحياة اليومية لهم . غير أن السلوك الإجتماعى العادى لكثير من الزوار والباحثين الذين وفدوا إلى منطقتهم يوضح أنهم أناس على درجة كبيرة من البشاشة .

والإنفتاح . فيذكر الإنثروبولوجى بيرثلود لاوفر Berthold Laufer وذلك في مجال المقارنة مع غيرهم من سكان سيبيريا ، أنه شعر كأنه في بيئة بين جماعات التانجوس ذوى العقول المفتحة والسلوك المستقيم والنفسية المتطورة وأنه وجدهم كما ذكر الباحث فون ميدندرف A. Von Middendorff نموذجاً لإرستقراطى سيبيريا .

وقد خضعت القبائل البدائية السiberية للروس لعدة قرون غير أن نتائج هذا الغزو على الحضارة البدائية لم يغير في معالمها أو يبدل أوضاعها إلا أن التغير كان بطيئاً غير مباشراً . وربما كانت الأوبئة والأمراض الأوربية هي الطلائع الأولى لنتائج هذا الإحتكاك والاتصال . وإلى جانب ذلك كانت هناك بعض النتائج الموجبة بالنسبة لحضارة تلك القبائل حيث أدخل إليها البنادق والأدوات الحديدية التى حصلوا عليها نتيجة المبادلة وذلك إلى جانب معرفة النسيج والشاي والسكر والملح . وما هو جدير بالذكر أن مربى الرنة السiberية لم يتأثر بسرعة بتلك الحضارة الوافدة كما تأثر جماعات الياقوت الزراعية أو الجماعات الصائدة الشبه مستقرية مثل مثل جماعات الكوريك والشوكشى والجولدى Coldi إلى الشرق والشمال منهم .

وقد اعتمدت علاقات التانجوس مع الروس أساساً على التجارة المنفرقة حيث كان تبادل جلود الرنة وفراء السنجاب والثعالب والدببة هي مواد التجارة والنبال الرئيسيه على البضائع الأوربية . وكما سبق أن بينا فإن معظم السلع التى وصلت عن طريق التبادل قد ساعدت التانجوس في حياتهم أو على الأقل لم يتمخض عنها أى أضرار ، ولكن أحد السلع المتبادلة التى لا يحبها معظم البدائيين في كافة أنحاء العالم هي الكحول وهى في هذه الحالة الفردكا الروسية فقد أحدثت الصعوبات والمشاكل العادية ولكن في المناطق الشمالية المتجمدة يوجد خطر

آخر من استخدام الكحول . ففي جليد الشتاء يصبح الإسترخاء أو الكسل سبباً في تجمد الأيدي والأقدام وربما ينتج عنه الموت . والتانجوس الذين يمكنهم ببساطة عدم التحكم في النفس قد قاسوا الكثير بسبب إهمالهم في استخدام الكحول . وفي بعض الأحيان استدان صيادو الفراء استدانة كبيرة نتيجة لإدمانهم الشراب واضطروا أن يعيشوا تحت رحمة التجار الذين لا يرحمون .

وقبل الثورة الروسية اعتنق مجموعات كثيرة من التانجوس المسيحية الأرثوذكسية اليونانية ولكن يبدو أن هذا الإعتناق كان إسمياً أكثر منه فعلياً واستمر الشaman في أداء أعمالهم القديمة كما يفعلون اليوم . ومنذ أيام الثورة توقفت أعمال الإرساليات الدينية ونحن لا نعرف إلا القليل جداً عما حدث في تلك الفترة . وليس من المعقول أن التحول الفكري إلى الماركسية سوف يكون له وزناً بين الصيادين البادئين وقد تركزت الصناعة في سيبيريا في أماكن محدودة للفحم والحديد بعيداً عن منطقة التانجوس . ومن المحتمل جداً أن التغير الاقتصادي في سيبيريا يحدث بسرعة كبيرة الآن عن تلك السرعة التي كان يحدث بها أيام القيصرية عند ما كان اهتمام روسيا الإمبراطورية بالعلاقات الاقتصادية المرتبطة بأوروبا أكثر من تنمية موارد شبه قارة سيبيريا .

وكما يتضح من دراسة أجزاء أخرى من العالم فإن مجتمعات الصيد في المناطق النامية تكون أكثر عرضة للتغير المفاجيء الشامل من المجتمعات الزراعية المستقرة ، ونحن نتوقع أن يحدث للتانجوس نفس الشيء عند ما يرون أن حيوانات الفراء قد انقرضت وإن فرص العمل في المناجم وقطع الأخشاب قد زادت . ويجدر بنا أن نلاحظ أن الروس في سيبيريا لا يجبرون البدائيين على الحياة في مخيمات وليست لديهم تمييزات عنصرية ولكنهم على النقيض من ذلك يحاولون جذب المواطنين للمشاركة بسرعة في الحياة الاقتصادية للدولة .

قبائل الشين

**The Cheyenne of the North
American Plains**



قبائل الشين في شمال أمريكا الشمالية

لم تحظى أى جماعة بدائية بجذب انتباه الأمريكيين والأوربيين مثلما حظت بالنسبة للحاربين الممولين الموجودين في السهول الغربية بأمريكا الشمالية . حين يسمع المواطن الأمريكى العادى عن الهنود يذهب خيالة إلى تلك الجماعات التى تتجول بحرية صائدة الجاموس البرى وهى ترتدى قبعات الحرب المصنوعة من الريش وتزين ملابسهم الجلدية بطلاء الحرب وهم يرقصون رقصة الشمس يستخدمون الاشارات اللغوية ويعيشون فى قرى دائرية وغيرها من الصور التى تتوارد تبعا على مخيلاتهم . وفى واقع الامر يعتبر فرسان السهول من أكثر الجماعات تطورا بين هنود أمريكا . فقطعان الجاموس البطيء الحركة التى تنتشر فى منطقة السهول العظمى تعتبر نموذجا فريدا كمورد للغذاء فى العالم الجديد غير أنه عندما تطلب قبائل هندية معينة الخيول الأسبانية وتبدأ فى استخدامها لصيد الجاموس تشهد المنطقة نقله حضارية واضحة ، أضف إلى ذلك فى كمية وحجم الحروب بين قبائل تلك السهول أكبر وأكثر بصورة غير عادية بالنسبة للجماعات الهندية الأخرى وذلك بسبب ظروفها الخاصة .

والحضارة التى توجد فى هذه السهول على الرغم من شهرتها إلا أنها ليست بحضاره أصيلة كما أنها لم تعمّر طويلا . فالحصان وهو الوسيلة الكلتيه الى طرأت على حياة المنطقة انتشر تدريجيا صوب الشمال عن طريق التجار والصوف الذين أحضروه من المحلات العمرانية الأسبانية التى وجدت فى نيومكسيكو وذلك بعد عام ١٦٠٠ . وما أن عرف الهنود الأمريكى طريقة امتطاء الحصان حتى أمكنه أن يطارد عدد أكبر عن ذى قبل من الجاموس ليقته . ونظرا لمزيا الانتاج

الوفير الذى صاحب طريقة الحياة الجديدة بواسطة الخيول فقد أقبلت قبائل ذات حضارات مختلفة ولغات متعددة إلى مناطق السهول وذلك من كل صوب وحذب . ومن ثم لحضارة السهول *Plains culture* الجديدة كانت محصلة للمتطلبات الوظيفية لصيد الجاموس بالخيول ولتجمع عادات وتقاليد مختلفة الأصول . ولكن هذه الحياة الخيالة لم تستمر إلا لبضعة أجيال قليلة حيث استمر ازدهارها في كل منطقة السهول حتى عام ١٨٠٠ م وابتداء من عام ١٨٥٠ وحتى عام ١٨٧٠ فقد شهدت المنطقة حروب إبادة ضروس بين الرجل الأبيض والهنود الأمريكين وذلك إبان فترة الزحف الأوربي صوب الغرب للحصول على مزيد من الاراضى الزراعية . وقد ترتب على ذلك أن أبيدت معظم قطعان الجاموس فيما عدا تلك المناطق القليلة التى تعرف باسم المحصنات *Reservation* التى يعيش فيها الهنود الباقين .

وقبل أن يستعمر الأوربين العالم الجديد وقبل أن يتمكن الحصان من أحداث انقلاب فى نمط الحياة فى منطقة السهول كان قنص الجاموس بطريقة الارتجال غير مثمرة وغير كافية لإقامة أود عدد كبير من السكان فمعظم حضارة الهنود الأمريكين التى كانت تنتشر فى شرق الولايات المتحدة كانت تعتمد على الزراعة زراعة الذرة ، والفول والقرع . وقد انتشرت طريقة الحياة هذه من مناطق الغابات الشرقية إلى مناطق السهول حيث وجدت فى كل بقعة يمكن أن تقوم بها الزراعة على طول الأنهار . ولاسيما فى ولايتى داكوتا ونبرسكا بل امتدت أكثر نحو الغرب إلى ولاية مونتانا . وانحصر نمط الزراعة هنا فى زراعة الحنائق وليس زراعة الحنظل إذ أن الهنود لم يكن لديهم أدوات زراعية ثقيلة يمكن بواسطتها تسوية التربة وتقليبها كما ليس لديهم حيوان للجر يمكن استخدامه لتطهير أراضى الجفاف وإعدادها واستغلالها للزراعة ولذا فقد ظلت طريقة زراعة الحنائق

الهندية قاصيرة ومحدودة في أودية الأنهار .

ومكنا كان قلة تطور حضارة السهول في الفترة السابقة بكونولوميا هو امتداد الحضارة الزراعية الشرقية بجميع مقوماتها إلى تلك السهول بما في ذلك من سكان قري مستقرين . وجميع هؤلاء الهنود النحليون كانوا يعيشون في منازل دائرية بنيت من الطوب اللبن ويبلغ قطر الواحدة منها ٥٠ قدما وتضم القرية حوالي ٧٠ منزلا . وكانت رحلات صيدهم للجوامرس البرى في منطقة السهول رحلات طارئة مرة واحدة كل عام تقريبا وذلك من أجل جمع غذائهم النباتى الذى يكون أساس حياتهم ذلك إلى جانب قرون الثيران . أما الجماعات الصائدة في منطقة السهول حينذاك كانت جماعات بدوية تحدى تحرك فى جماعات صغيرة وتقامى من شطف العيش غير أن استخدام الحصان غير تماما هذه الصورة .

ولعله من النقاط الهامة التى تهتم بها النظريات الانثروبولوجية والمهتمين بهذه الدراسة مسألة التغير الحضارى Culture Change وكيفية فهم كيف تمكنت هذه الحضارة الجديدة من الملاءمة فى الاجزاء المختلفة من السهول عن طريق استخدام أدوات جديدة وظروف أيكولوجية متغيرة وكيفية استمارة هذه الحضارات لطرق ومظاهر حضارات أخرى وملاءمتها ووضعها فى الإطار المناسب فى النظام القائم . وربما ما حدث فى منطقة السهول العظمى يعطى مثلا فريدا لهذا التغير الحضارى . ففي عام ١٨٠٠ كن يقطن كل المنطقة جماعات قبلية تكاد تكون متشابهة تماما فى جميع خصائصها وطريقة حياتها وبعض مظاهر حضارتها ولاسيما فيما يخص بالتنظيم الاجتماعى الذى كان متطابقا فى تشكيلة فى كل المنطقة الممتدة من تكساس إلى البرتا . وقد كانت هذه القبائل على درجة كبيرة من الاختلاف اللغوى حيث استخدمت فيما بينها لغات تنتمى إلى ستة أصول لغوية منفصلة وأنهم قد جاؤا جميعا إلى منطقة السهول من جميع جهات

أمريكا الشمالية من الشمال والجنوب والشرق والغرب بل جازا في بعض الأحيان من مسافات بعيدة ومن ثم فالاختلافات الحضارية بينها كانت في الأساس كبيرة وعملية التحول السريع من الاختلاف الحضارى Cultural heterogeneity إلى التجانس النسبي Relative homogeneity للحضارة بين القبائل المختلفة التي تكون أجزاء من التنظيم العام للشعب أمر غير عادي غير أنه مسجل بحيث يقدم لنا مستنفا تاريخيا يبين هذا التغير. وإذا كانت اللغة قد حافظت على أسلوبها وأصولها بحيث لم يطرأ عليها تغيرا إلا أن وسيلة مميزة للاتصال نشأت بينهم وانتشرت بسرعة بين قبائل السهول واتسمت هذه الوسيلة الجديدة الشهيرة بالإشارات اللغوية Sign language ،

وقد ارتبطت أعظم فترة لانتشار الحصان في منطقة السهول العظمى بالسته عمود المحصورة بين عامي ١٧٤٠ و ١٨٠٠. فمن المعروف أن القبائل التي كانت تمشي على تخوم وبالقرب من أماكن استقرار الأسبان في نيومكسيكو قد عرفت الحصان قبل القرن السادس عشر الميلادي ولكن نظرا لأن الأسبان حرّموا بيع الحصان للهنود بسبب أن الأعداد التي كانت لديهم في بادئ الأمر محدودة لم يتمكن الهنود المجاورين للأسبان من الحصول إلا على النذر اليسير من الخيول التي يذبحونها ليستخدموها كطعام. وفي خلال القرن الثامن عشر تمكن الأسبان من حوزة أعداد كبيرة من الخيول في نفس الوقت الذي بدأت فيه قوة أسبانيا الحربية تضعف.

وهكذا كانت وفرة الخيول في ذلك الوقت عاملا مساعدا على أن تنتشر تجارتها في كل منطقة السهول حيث أقبلت القبائل على شرائها وركوبها لاستخدامها في صيد الجاموس البري الذي أخذت أعداد ضحاياه تزداد سريعا نتيجة سهولة

صيد . وقد توتب على التفوق الاقتصادى الجديد أن اجتذب إلى المنطقة وأفدين جدد راغبوا فى المشاركة فى أسلوب الحياة الجديد المتسم بوفرة الصيد . ومن المحتمل أيضا أن سكان الاودية الزراعية من الهنود لم يتمكنوا من الدفاع عن قراهم وهم مرتبجله أمام هؤلاء ممطلى الخيول وكان ذلك دافعا على هجرتهم إلى تلك المناطق وإبتياح الخيول أو سرقتها لاستخدامها فى نمط حياة متغيرة وبالتأكيد أصبح الحصان فى منطقة السهول العظمى كما أصبح فى أى مكان آخر فى العالم وسيلة فعالة فى الحروب حيث من الممكن أن نعتبره سلاحا حديثا أدخل ثورة فى كل الادوات الحربية المستخدمة .

وقبائل الشين الهندية هم جماعات مزراعة بمعنى الكلمة تحولت إلى فرسان بدو . وما إن عرفوا الحصان حتى لاءمت حضارتهم لنمط السهول وذلك أولا لانهم قدموا ليشغلوا موصعا جغرافيا واسطا فى منطقة السهول ولانهم ثانيا كانوا بمجموعه وسطاء على طريق انتقال الخيول من الجنوب إلى الشمال ثم قاموا ايضا بعد ذلك بدور نقل البضائع الاوربية والاتجار فيها بين الشرق والغرب

وقد عاش الشين كما بين المكشفون الفرنسيين الاوائل فى وادى نهر الميسيسى الاعلى على حدود ويسكنسون ومينسونا . ومصطلح الشين Cheyenne مصطلح فرنسى اشتق اساسا من كلمة Sha hi. ye (والتي تعنى المتحدثون بلغة غير ذكية) الذى اطلقها هنود السيود Sioux. indian على هنود الشين .

أما اسم الشين الذى يطلقونه على أنفسهم فهو Teis Leis tas أى الشعب . وقد صاحب طرد الهنود الأمريكين من المناطق الشرقية فى الغرب الاوسط فى عام ١٦٠٠ وصول البريطانيين والفرنسيين إلى هناك حيث أجبروهم على الاتجاه نحو لغرب ، وحيث تشير السجلات لتاريخه إلى اضطرابات وحروب استمرت

في ولايات ويسكنسون ومينسوتا واللينوى حتى نهاية القرن السابع عشر .
وأخيرا تحرك الشين إلى داكوتا الشمالية واستقروا على نهر الشين قبل بداية
القرن الثامن عشر . وفي ذلك الوقت كانوا ما زالوا يمتدوا في حياتهم على
الزراعة وإن كان عملية الانتقال لصيد الجاموس قد أخذت طريقها بينهم . ومن
المحتمل أن قليلا من القرى ذات المزارع الملائمة أو مجرعة منها قد بدأت بالتغير
أولا . ولكن من المحتمل أن في عام ١٧٧٠ كان هناك كمية من الخيول كافية بحيث
تمكن قبائل الشين أن تصبح قبائل بدوية تماما .

وما هو جدير بالذات كيد أن الحياة في منطقة السهول العظمى بجميع مظاهرها
وذلك في عام ١٨٠٠ والتي كان يمارسها شين لم تكن مجرد نتيجة بسيطة لتأثير
الحصان على حضارة أصلية وزيادة هائلة في صيد الجاموس إذ أن حضارة الرجل
الابيض قد تركت بصماتها على أشياء كثيرة في حياة الهنود بحيث لا تمل في
قيمتها عن ادخال الحصان اليهم . وربما لم يكن الشين قد عرفوا أو
شاهدوا الرجل الابيض أو أنهم شاهدوه أحيانا تجاراً أو مكتشفين ولكن تجارة
الرجل الابيض أخذت تدفق على منطقة السهول العظمى حيث شارك فيها الشين
مشاركه فعالة . فالسلعة الرئيسية كانت الخيول التي جلبت في نظير المنتجات
الحلية وفي نظير الحصول على الفراء إلى جانب جلود الجاموس التي انتشرت
تجارها بين القبائل الهندي إلى أن وصلت إلى محلات الاوربية الغربية وإلى مناطق
الاستقرار الزراعى .

وقد كان من نتيجة هذا التبادل أن أصبحت الفئوس الحديدية والسكاكين
والاواني والاسرة مستخدما على نطاق واسع في منطقة السهول ذلك إلى جانب
رغبة الهنود الدائمة في الحصول على البنادق .

وقد دفعت رغبة الهنود في الحصول على البنادق والرصاص والبارود إلى المزيد من شن الغارات للحصول على الأموال . فقد أعطت البنادق ميزة كبيرة في الحرب إذ بواسطتها يمكنهم أن يكونوا بعيدا عن مرمى القوس والسهم . وبصفة عامة كانت كل منطقة السهول في غضون مائة عام إحدى الترسانات الحربية التي شهدت صراع قبلي مرير لم تعرفه في أى وقت من الأوقات . فلم يكن هناك حدوداً أو حقوقاً ثابتة للقبائل وذلك أولاً بسبب التذبذب في أعداد الحيول المطلوبة لمختلف القبائل وثانياً امتلاك البنادق التي كل المنطقة في حالة غليان .

وقد انعكست طبيعة الاختلافات الفعلية في المناخ على طبيعته مرعى الجاموس البرى ومن ثم فقد أثرت أيضاً في التنظيم الاجتماعى والسياسى لهنود السهول العظمى فكان أكثر مرونة وسهولة عن تلك التنظيمات التى توجد بين المجتمعات الزراعية المستقرة بين الهنود . ففي السهول الوسطى والشمالية تنمو الحشائش بسرعة مع نهاية فصل الربيع وبداية فصل الصيف ولكن مع أواخر فصل الصيف تزيل الحشائش وتجف والبقية الباقية منه تموت . ومرعى الشتاء فقيراً جداً وفى أغلب الأحيان تغطيه الثلوج .

وكنتيجة لهذه الظروف الجغرافية ترحل الجاموس في قطعان كبيرة في خلال فترة القحط على الرغم من أنها تكون مملوءة بالشحم واللحم مع منتصف فصل الصيف . وفى فصل الشتاء والتساقط تتناثر قطعان الجاموس في مجموعات صغيرة وتتجول بسرعة في نطاق واسع للبحث عن المرعى . ومن ثم فتصبح حياة الصيادين وتنظيماتهم تتجه نحو نظام الهجرة الفعلية للجاموس البرى . فهم يتجمعون في شكل قبائل متماسكة أبان فصل الصيف للعصيد فقط بينما يهاجرون بقية العام في

اعداد صغيرة مستقلة حيث يقتاتون من المخزون من الطعام أو ما يثمر عنه نشاط النجوال من حصول على طعام .

وحينما وفد الشين إلى بيثنهم في السهول الغربية في شالي كولورادو وجنوب ويننج wyoming وشرق التلال السوداء كان عددهم حوالى ٣٥٠٠ شخصا وقد ارتبطوا في منطقة السهول على هيئة رابطة band اطلق عليها اسم سوتاىو Swtaio التى يتكلم أفرادها لهجة تنتمى إلى مجموعة الالجونكيان اللغوية Algonkeian Language والذي ذابوا في المجتمع . وجماعات الاراباهو Arapaho التى تحدث أيضا اللغة السابقة لهم تاريخ يشبه تاريخ جماعات الشين كما انهم هو وأقاربهم المعروفين باسم جروس فتر Gros ventre عكسوا معاهدات تحالف مع الشين والذين امكنهم بهذه التحالفات من السيطرة على مساحات كبيرة من الارض إلى الغرب من نهر الميسورى بين نهري بلاتا واركانسس وليكونوا جبهة ضد اعدائهم القدامى في داكوتا وكرو Crow في الشمال والغرب ، والباونى Pawnee فى الشرق وجماعات الكيوا kiowa والكومانش فى الجنوب . ويعتبر الجاموس البرى الغذاء الرئيسى للهنود السهول ومن ثم فالصيد الكبير من أصعب الأمور فى حياتهم الاقتصادية . فليس مسموح لأى فرد ان يصطاد الجاموس كما يشاء لان هدف المجموعة هو القضاء على القطيع البرى دفعة واحدة حين مشاهدته أو اكتشافه .

والطريقة الرئيسية للصيد الجماعى تتركز على محاصرة القطيع ثم يندفع رجل ممتطى حصانا يرهبا بقوسه ويسوقها إلى داخل الدائرة حيث يصرع كل هندي باصطياد أقرب جاموس إلى مكانه . وإذا ما كان الصيد منظما ، زاد اضطراب قطع الحيوانات التى تندفع فى كل مكان فيسهل للهنود اصطيادها .

وقد تستخدم السيوف من فوق ظهور الخيل فى اصطياد الجاموس الذى يقتل بعد ذلك بواسطة السكاكين . ومثل هذا الصيد يتطلب عملاً مضنياً ولكن الحصول على وفرة من الصيد تبرر أى مجهود يبذل فى هذا الصدد وقد يستغرق ذبح وسلخ ونقل اللحوم والجلود إلى معسكر الهنود عدة أيام حيث تجفف فى جيركات « Jerky » ثم تصنع لحوماً يطلق عليها اسم البيميكان Pomnicau وهى مطعمة بالتوت حيث تخزن بعد ذلك . وهذا العمل من اختصاص المراه إلى جانب حياكة الجلود .

وتقسيم العمل بين الرجل والمرأة صارم وقد يبدو أن هذا التقسيم غير متكافئ إذ تقضى المرأة معظم وقتها فى الجلوس فى الدفىء بينما على الرجل أن يستنفذ طوال أيامه فى الاجواء المتجمده يطارد الصيد ويتعرض للاخطار الجسيمة . كما يبدو أن أنشطة المرأة فى بعض الاحيان والتي يدخل ضمنها الخدمة المنزلية قد تؤدى كضريبة كما حدث لاحد الرجال البيض الذى ذهب الى معسكر الشين فى عام ١٨٤٦ .

وبما هو جدير بالذكر أن الاغنام البرية والاياثل تجوب السهول واقدام التلال باعداد كبيرة ومن ثم فيعرف الهنود عادات هجرة هذه الحيوانات فيطاروهم للامساك بهم فى حفرة أو فى مكان مسورة وقليل من قبائل السهول يمارسون الصيد غير أن جماعات الشين تنبغ فى هذا الصدد . أضف إلى ذلك تجمع الجذور والدرنيات فى مواسمها كما يمارس صيد الحيوانات الصغيرة، وقد تقدم لحوم الكلب كطعام وذلك من أجل التغير .

ويحصل الشين على معظم خيولهم عن طريق الشراء أو الإغارة غير أن هناك بعض المحاولات قد تمت من أجل أسر الخيول البرية . فهم لم يتمكنوا من أن

يتعلموا الطريقة الأسبانية في صيد الخيول وذلك بإلقاء ما يسمى باسم : اللاسو Lasso على الحصان إنما استعملوا بدلا منها الحبال التي تلقى للقبض على الحيوان. وأما ان الخيول مرتفعة كما أن مركز الشخص يقيم بعدد الخيول التي في حوزته. ويبلغ متوسط عدد الخيول لكل أسرة حوالى عشرة ولكن قد تمتلك الأسرة في بعض الأحيان أكثر من هذا العدد كثيرا . وتستخدم أفضل الخيول في الصيد والحرب أما الخيول الأخرى فتستخدم في نقل البضائع وحملها ، والبغال أيضا ثمنها مرتفع إذ تستخدم هي الأخرى كوسائل حمل وانتقال غير أنها نادرة في كل المناطق فيما عدا منطقة السهول الجنوبية الغربية . وقد توضع جميع متاع المنزل فوق ظور الحيوانات وقد تربط أيضا فيما يسمى باسم الترافو Travois وهما عبارة عن عمودين يربطان في الحيوان وفي نهايتها ما يشبه الزحافة . وفي العادة يجر الترافو الكلاب .

ويستخدم الشمين على جلود الجاموس وعظامهم وقرونهم وكذلك على منتجات الابل في الحصول على مواد الخام الأساسية لصناعة أدواتهم وأسلحتهم وملابسهم وماواهم أيضا . فحجنتهم المخروطية الشهيرة المعروفة باسم Tipi خيمة كبيرة في العادة تسع ما يقرب من ٢٠ شخصا وهي مصنوعة كلية من الجلود المدبوخة المزركشة . أما القوس فيصنع من طبقات من قرون الجاموس على الإيماء ، كذلك تصنع الانية من الجلود ومن القرون . أما المغارز والمقاشط فتصنع من قرون الوعل في حين تصنع الملابس من الجلود . أما النسيج فأمر غير معروف أو ربما تركه الهنود حينما تحولوا إلى حياة البداوة . ويصنع الفخار في بعض الأحيان في السهول وإن كان قد أفسح المجال سريعا إلى الانية الفخارية التي عرفت عن طريق التجارة.

وملابس الشين محاكة جيفة ومزركشة بصفة خاصة ، وترتدى النساء فساتين مكونة من قطعة واحدة مصنوعة من جلود الإيل أو الظبي الفاخر وتصل إلى القدم وصدرها واسع على هيئة المعطف ويتسم الفستان بأنه مطرز ترتدى النساء كذلك ما يشبه الجوارب تمتد من الركبة على القدم وترتبط بواسطة ما يشبه الرباط . في فصل الشتاء تلبس ذيل الجماموس إلى جانب الشعر . ولا يرتدى الرجال البنطلون والمقسين Moccassin « حذاء بدون كعب » إلا في فصل الصيف أما في الشتاء فيرتدون بالإضافة إلى القمصان المصنوعة من جلد الإيائل والتي تتدلى إلى مقاعدهم الجوارب الطويلة تصل إلى تحت القميص . وتتصف القمصان بأن الكمم طويلة وبعضها مزين بالخرز الذى يصف أيضا حول خصلة جاجم العدو . ويطلق فى العادة على هذا القميص اسم قميص الحرب وذلك بسبب الزركشة كما أنه يرتدى فى مناسبات الإحتفالات . شكل (١٠)

ويغرم الشين تزيين أجسادهم . ويركز الرجال انتباههم بصورة خاصة على شعورهم التى تترك لكي تنمو أطول ما يمكن حيث يرشقوا فى وسطها الخرز وأنواع مختلفة من البلور . ويعمد كل من الرجال والنساء إلى عمل الشعر على هيئة ضفيرتين . أما ريش الطيور فلا يرتديه إلا كبار السن . وقبعات الحرب المصنوعة من الريش والتي تنسم بوجود زيلين طويلين هى القبعات التقليدية الشهيرة لقبائل داكوتا ، أما بين الشين فلا تستخدم إلا فى الإحتفالات لبعض الرجال المبارزين . أما العقود والاساور والحلقان فتستخدم على نطاق واسع كما يغطى الوجه والجسد بألوان عدة وعلامات مختلفة .

وتنقسم قبيلة الشين إلى عشر جماعات Bands منظمة منفصلة لكل منها محرماتها الخاصة واحتفالاتها وعقائرها . ويشعر افراد كل مجموعة انهم اقرباؤهم



شكل (١٠) الشين - هنود سهول أمريكا الشمالية

ثم فالزواج بين افراد الرابطة الواحدة غير مسموح به . كذلك يوجد تقسيم قبلي داخلى بين هؤلاء الذين يعيشون فى الجزء الشمالى من الحدود وهؤلاء الذين يقطنون الجنوب . وقد ترحل هذه الجماعات على مدار السنة ولاسيما فى فصل الشتاء فى مجموعة من العائلات الصغيرة نسبيا ، وفى بعض الاحيان تتقابل سويا وتعاكر معا ولكن تذهب كل مجموعة بعد ذلك إلى شأنها . وهذه التقسيمات أو المعسكرات تعرف باسماء وتمارس وظيفة القطاعات الإجتماعية فى الرابطة غير أن تكوينهم فى تغير مستمر حيث تلتحق مجموعة صغيرة بمجموعة أكبر أو ينشطر جزء من المجموعة ألا كبر .

ويتقابل كل أفراد قبيلة الشين فى فصل الصيف وذلك بغرض التعاون فى صيد وفير ومن أجل أيضا إقامة الاحتفالات الهامة للقبيلة . حيث ينظم المعسكر الكبير للقبيلة على هيئة جزء من دائرة أو على شكل حدود الحصان ويتكون من ثلاثة أو اربعة منازل واسعة . حيث يفرض على كل عشر روابط أو عصب ان تعاكر فى موضع خاص بالنسبة للدائرة وتترك المنطقة الوسطى الكبيرة خالية ليمارس بها الرقص وليجتمع مجلس القبيلة ولتقام الاحتفالات العامة .

وتقسم القبيلة ككل إلى عدد من المجتمعات ذات الوظائف الحربية والإجتماعية والترفية وذلك فى وقت تجمع الروابط المختلفة فى فصل الصيف ، وأكثر وابرز المجموعات ست مجموعات عسكرية . وعلى الشاب ان يختار الانحاق بأى مجموعة ولكن جرت العادة على أن يذهب الرجل إلى المجموعة التى ينتمى إليها ابوه ولا يقبل فى عضويه هذه الجماعات غير الأفراد الاشداء الشجعان من القبيلة . وتسود بين بعض قبائل السهول نظام الفئات العمرية بمعنى أن على الرجل ان ينتقل من واحد إلى الأخرى مع تقدمه فى العمر إلى ان يصل إلى قمة المجتمع التى تتكون من كبار السن ذوى الشخصيات السياسية الهامة والمراكز المرموقة فى الاحتفالات .

وهذه المجتمعات هي التنظيم الحربى فى القبيلة وقوتها البوليسه ومن الواجبات اليومية للهنود مراقبه تحركات المعسكر وحماية الطابور المتحرك أثناء مسيرته وتطبيق السلطة على الصائدين أو التحركات الأخرى التى قد تؤدى إلى اضطراب خط سير الجاموس البرى . وتمارس كل مجموعة رقص خاص للقبيلة كما تخبص فى بعض الأحيان أربعة اشخاص مرموقين لاحتلال مراكز الصدارة فى الاحتفال وكل جماعة تنتخب لها رئيسا الذى هو فى الواقع يعتبر قائدها الحربى الشجاع .

ويكون عدد محدود جدا من رجال القبيلة الشجعان مجموعة صغيرة تعرف باسم المعارضون Contraries وكما يوحى الاسم هم مجموعة من الرجال يعارضون كل شئ بمعنى أنهم يقولوا « لا » حينما يعنون « نعم » وفى الحرب والمعارك نجدهم يتسلحون بسحر خاص أو ببقوس الرعد Thunder bow الذى يجعلهم يقوموا بأعمال خارقة من الشجاعة . وإذا ما استدعى شخص لينضم إلى مجموعة المعارضين فإنه منذ تلك اللحظة يأكل فى أطباق خاصة ويعيش فى كوخ أحمر ولا يصاحب الهنود العادين إلا عاما .

والتنظيم السياسى للشين كما يظهر فى لقائهم الصيغى متطور جدا وذلك إذا ما قورن بالعديد من قبائل السهول حيث توضع كل أمور القبيلة أمام مجلس القبيلة الذى يتكون من ٤٤ عضوا بحيث يمثل كل رابطة band أربعة اشخاص بالإضافة إلى الأربعة رؤساء العامين . ويعتزل هؤلاء الممثلين عقب مرور عشرة أعوام ويحق لهم اختيار خلفائهم ولكن يلعب الرأى العام من الناحية العملية دورا هاما فى اختيار الرئيس . ويعبر عن حكم المجلس بمجتمعات الجنود غير انه لا يوجد جهاز لانزال العقاب على الأفراد المجرمين .

ويلاحظ أن هناك تفرقة اجتماعية واضحة بين الرجال . فالشجاعة والقوة

والكرم صفات تقدر تماما ومن ثم فمركز الشخص يتأثر كثيرا بمدى توافر هذه الصفات . ويتنافس الشباب بصفة خاصة يشدة لامتلاك الخيول إذ أن أسر أكبر عدد من الجنود دليل على جسارة الشباب وقوته . وقد يظهر الرجل كرامة عن طريق اغراضه للخيول الجيدة أو في بعض الأحيان الاستغناء عنها . يمكنه أيضا الاتجار بالخيول مع القبائل الأخرى في نظير الحصول على الآنية والفؤوس والسكاكين والخرز وغيرها من السلع المطلوبة له . وهكذا يقدر الكرم وحسن الضيافة لدرجة أن حفلات العطاء ceremonies « giveaway » تذكرنا بمهرجات النوتكا Nootka الشتوية .

ويعد الانتصار في الحرب الطريق الرئيس للحصول على المنصب حيث تبدو العملية كلها في صورة حرص شديد على تمثيل الفرسان الأوربيين وعلى أى حال فالهدف الأول هو الحصول على حصان أما الثاني فهو تهديد الجماعات المجاورة بغارات مستمرة حتى لا يفكروا في الاعتداء على حدود الشين . فشباب الذكور يتفاخر دائما بإبطلانهم القتلى أثناء مواجهتهم العدو . ولكن البعض يقدر أكثر للرجال الذين يأسرون الخيول .

وبصفه عامه نجد أن معظم رجال الشين من المحاربين المهره إذ أنها هي مهنة الرجل الحقيقية كما أن حب القتال توضع بذوره في نفس الفرد منذ طفولته . فالموت في ساحه القتال هو أفضل أنواع الموت ولذا فاغلب قبائل السهول لها مجموعة من المآثر البطولية التي تفخر بها . فقتل عدو كبير كما أن الابهتلاء على فرس من ميسكر العدو عمل أقل أهمية . وتجمع فروع رؤوس الأعداء ولكن أهميتها قليلة بالنسبة لمآثر الشجعان .

واقدم تشن الغارات الهادفه للحصول على الخيول على الأرجل ، ويستطيع أن

يقوم بهذه الغارة أى رجل يقود مجموعة ولكن لابد وأن يكون هذا الرجل ذر
كلية مسموعه حتى ياتمر بأمره باقى المجموعة المغيرة وكافة قائد عليه ان يعقد عدة
لقاءات مع كبار الرجال ثم يقدم بعد ذلك العطايا إلى الأسهم المقدسه . وإذا ما
كان الرجل لأول مرة نازدا فعليه ان يتجه للتلال للصوم ولتطهير نفسه وذلك
على أمل ان يتلقى نظرة أو نفحه نجاح من روح اجداده . وفى الليلة السابقة
لليلة الاغارة تسير المجموعة المحاربة حول دائرة المعسكر ليخرج من بداخل
المساكن ليقدموا اليهم الهدايا عند سماعهم لأغانى الحرب .

وفى اليوم المحدد يجلس القائد بمفرده ، وفى أوقات مختلفة يترك الباقون
المعسكر ويتجهون إلى اتجاهات مختلفة يتقابلوا معه فى نقطة متفق عليها . وما أن
يصلوا إلى ارض العدو حتى يرسل قائد المجموعة شابين من رجاله لاكتشاف
مكان الممركة قبل ان يدخلوه وبعد اكتشاف معسكر الاعداء يختار القائد مكان
الاختفاء حيث يرصد منه كل محاربة وحيث تترك الاسلحة الزائدة وفى الليل
ترجع المجموعة صوب القربه حيث يعمد الشبان إلى محاصرة أكبر عدد من
قطيع الرعى بينما يختار بعنايه الرجال الكبار الذين يتسللون إلى المعسكر للحصول
على خيول الجاموس التى توضع دائما بالقرب من صاحب المعسكر .

ويعود الجميع بعد ذلك إلى النقطة التى تركوا فيها ادواتهم الزائدة ومن
هناك يعاودوا الادراج حيث يقود كل فرد الحيوانات التى استولى عليها . ومع
طلوع الفجر تربط الخيول فى قطيع واحد بعد أن يتعرف كل رجل على ما يخصه
ويساق القطيع بعد ذلك لمسافه طويله قد تستغرق ٢٤ وذلك لكي يستعدوا بهم
عن أى مقتنى أثر لهم . وفى هذا الوقت يكون الخطر قد مر إذ لا يمكن لاي
هندي أن يتعقبهم بحصان واحد طول هذه المسافه وتنجح غارة الهنود فى العادة

إذا ما خرجوا من المعسكر دون أن يزعجوا أحدا . وفى طريق عودتهم إلى المعسكر يعطى بعض الرجال كل حصيلة من الخيول .

ومجموعات الحرب على النقيض من مجموعات الاغارة تخرج مدفوعة فى الرغبة فى الانتقام . فقتل العدو يبحث على عزاء الجماعات المسكوبة . وفى بعض الحالات الزائرة حينما تكون الجروح كبيرة تخرج كل القبيلة لملاقاة العدو دون اصابة المجموعه المحاربه بخسائر . وهذا امر سهلا جدا إذا ما حصرت مجموعته صغيرة من العدو وايدت وعلى الرغم من ان الجماعات الهندية تتصف بالشجاعة والاقدام إلا انها تفتقر إلى التنظيم والنظام ومن ثم فالمعارك الطويلة نادرة .

وقد تبقى مجموعة المحاربين العائدة خارج المعسكر طول الليل وذلك استعدادا للدخول لهم مع الفجر كمتحصرين وهم مرتدين ملابس الحرب حاملين معهم فراء رؤوس اعدائهم على صواري ويتقدمهم فى ذلك هؤلاء الرجال الذى أظهروا شجاعه كبيرة فى المعركة حيث يخرج جميع افراد المعسكر لاستقبالهم بالغناء والصياح . وإذا ما قتل أى فرد من المجموعة فلا تحمل جثته إلى المعسكر بل تترك بدون دفن إلى البرارى . وفى هذه الحالة يذهب المعسكر إلى الحداد ولا يحدث مثل هذا الاحتفال.

وعلى الرغم من حقيقة ان المعسكر الكبير يجمع أفراد جماعات غير متقاربة إلا أن معظم المعالجة اليومية للشين تحدث بين مجموعة من الأقارب . فعلى مدار السنة تعيش المجموعة الصغيرة المتقاربة منعزلة عن المجموعات الأخرى حتى ولو كانت متجاورة منها فى معسكر القبيلة . وأساس النظام الإجتماعى هو الأسرة الأموية الممتدة . حيث تتكون المجموعة العادية من رجل وزوجة وبناتهم المتزوجات وأزواجهن الذين وفدوا من مجموعات مختلفة بالإضافة إلى أطفال

البنات والأبناء الذين لم يتزوجوا بعد . ويعيش في خيم مفردة « Tipi » الزوج والزوجة والأبناء الصغار بينما يقطن بقية أفراد الأسرة في خيم أخرى مجاورة . ويتعاون جميع أفراد الماسكر في أنشطة متعددة من بينها الطهي الجماعي على الرغم من أنهم يتناولون طعامهم في خيامهم المنفصلة .

ومصطلحات القرابة التي تسود بين الشين من النمط الواسع الانتشار والذي يطلق عليه الاثنوبولوجيون اسم النظام الوراثي « generation system » والذي يعنى أن أبرز تميز هو ذلك الذين بين الأجيال ، أما بين أقارب الجيل الواحد فليس بينهم إلا قليل من التميز . ويوجد هذا النظام على وجه الخصوص بين البولنيزين . فكما سبق الذكر تتبع الإقامة بعد الزواج الأم غير أن الاحفاد يتبعوا بعد ذلك الجانبين ، بمعنى أن أقارب الأب هم أيضا بالكامل أقارب الأم . ولا يميز أبناء العمومة على أساس أبناء الأعمام وأبناء الخال Cross and parallel types . كما انه ليس هناك تميزا بين الأقارب فالجميع ينادوا بنفس المصطلح على الرغم من الاختلاف في النوع والسن . كذلك الزواج بين الأقارب غير مسموح به . ويطلق مصطلح أم على الحالة عندما تكون من جيل الامومية ولكن يطلق على العمة مصطلح مخالف . كذلك يطلق على العم مصطلح أب أما الخال فيخاطب بمصطلح آخر . ويسمى أبناء الأخ باسم الأبناء والبنات أما أبناء الاخت فيعرفوا بأسماء أخرى .

وهناك أنواعا مختلفة من المجاملات بالنسبة لمختلف الأقارب فهناك من يعاملوا باحترام زائد وبحسبب وذلك على النقيض من الجماعات الأخرى التي لا يوجد بينها حاجز في المعاملة . والعلاقة بين الأباء والأبناء والأقارب بطبيعية الحال قوية ومتصلة . وبصفة عامة نجد العلاقة بين الآب وابنه وأقاربه من نفس

النوع علاقة غير رسمية وذلك على النقيض من علاقته مع الجنس الآخر . وما أن يصل الابن والإخت إلى سن البلوغ حتى يحترم كل منهم الآخر لاحتراما شديداً . كذلك العم والحالة اللذان يطلق عليهما مصطلحي أب وأُم ويعاملان باحترام نظرا لقربتهما الشديدة أما الخال والعمة اللذان لا ينتميان إلى العائلة الأموية فعاملتهما مع أولاد أختهم وأخيهن تنسم بالبساطة والتبسط . وكما هو الحال في معظم المجتمعات يتمتع الأجداد سواء أجداد الآباء أو أجداد الأمهات بعلاقات طيبة مع الأبناء .

والعلاقة بين الأبناء وأبنائهم « بحكم القانون » على جانب كبير من الأهمية فالنظام الأموي في السكن يفرض على الرجل أن يصاحب ويمش مع أبنائه بحكم القانون غير أنه لا يرى البنت دائما ومن ثم فقواعد اللياقة والذوق ليست صارمة بالنسبة لها . ويعامل كل من الرجل وحماة بعضها باحترام وكلفة شديدة لدرجة أنها لا يخاطب بعضها مباشرة رغم وجودهما في كوخ واحد ، ولذا تقابلا صدفه فعلى الرجل أن يغطي رأسه ، أما الحياة فيهم بزواج ابنته ولذا فحرية المناقشة بينها سائدة غير أنه لا يتدخل في أموره .

ويأخذ الزواج على أنه وسيلة لتوسيع دائرة الأقارب ، وهذا أمر هام جدا إذ يذكر الشين أنهم لا يستطيعوا الزواج إذا كانوا أقارب مهما كانت الدرجة بعيدة . فالشاب يذهب إلى مجلس أقارب الفتاة وليس إلى الفتاة ذاتها عن طريق إرسال هدايا لهم . ويتقدم العرض إلى والدي الفتاة وأحيانا إلى شقيقها وذلك عن طريق أحد أصدقائه المقربين : ويتم الزواج عن طريق تبادل كمية كبيرة من البضائع بين الأمرتين .

وينظر الزواج إلى شقيقة الزوجة الصغرى على أنها ربما تكون الزوجة الثانية

لإذ يحتمل أن يتزوجها في حالة وفاة زوجته . وفي بعض الأحيان قد تحضر لتعيش في منزل شقيقتها بعد بلوغها سن النضج ومن ثم فهي على الأقل ومن وجهة النظر الاقتصادية للمنزل زوجة ثانية لزوج شقيقتها أو أخيها في القانون . وإذا ما توفي الزوج فمن المتوقع أن يحل شقيقه محله . ورغم أن هذه التقاليد غير إجبارية إلا أنهم مقبوله ومتوقعه ما دامت الرغبة موجودة للمحافظة على الأسرة الممتدة . ومن الأشياء الحسنة أن يتزوج شقيقان شقيقتان وذلك لأنهما في هذه الحالة سوف يكونا متقاربين ومتجاورين في المعسكر .

وتعاون الأسرتان سوياً عند ميلاد طفل الزوجين حيث تساعد النساء الكبيرات من الأسرتين في عملية الميلاد ، بينما يصعب زوج الشقيقة مهد للطفل في حين يربطها الزوج بنفسه بعد الميلاد في الشجرة . أما اسم المولود فيتفق عليه مسبقاً بين أسرة الأم حيث يعطى له اسم أحد أفراد الأسرة الكبار ، وتوجه عناية للطفل في غضون العشرة أيام الأولى للميلاد . شكل (١١)

وقد تتكفل عائلة الزوج بعد ذلك بالاحتقالات مثل قص شعر الطفل لأول مرة ، كما يختار الزوج صديق له لممارسة شعائر ثقب الأذن . ويفترض أن الشخص الذي يختار الزوج لتمثيله في الاحتفال أشقاء بعد ذلك . وتعتبر أسرة الزوجة مسؤولة للدرجة كبيرة عن تربية الطفل في حياته اليومية وذلك لأنه يعيش بينهم . وقد تقوم الأم بحمل طفلها على ذراعيها في خلال الشهور الأولى من الميلاد ولكن بعد ذلك وإلى أن يتمكن من السير فيوضع في مهد يحمل فوق ظهر الأم . ولا يوجد احتفال خاص عند وصول الطفل إلى مرحلة البلوغ غير أن الحيض الأول للبنات يتم الإثارة إذ تطلى البنات بطلاء أحمر بعد اعتزلها في كوخ خاص بصحبة جدتها لمدة أربعة أيام . ثم يعلن الأم النبأ في اجتماع



(شكل ١١) أحد اطفال هنود السهول بأمريكا الشمالية

عام في المعسكر الكبير وعليه أن يطلق عدد من الخيول إذا كان في مقدرة احتفالا بذلك . وتعتبر فترة الحيض بالنسبة للمرأة فترة خطره وهن ثم تفرض بعض الرقابة والعناية على نشاطها في هذه الفترة .

ويعتبر أول صيد لجاموس برى وأول اشتراك في مجموعة حرييه الأحداث الهامة في حياة الصبي . ففي عمنون فترة الطفولة يتعلم الأطفال مهارات الكبار ولذا يكون الصبية مهرة في الصيد وركوب الخيل في سن ١٠ و ١٢ عاما حيث يعهد اليهم في هذا العمر رعاية قطع من الخيول . ومع سن ١٣ و ١٤ عاما يكون الصبي مستعد للصيد الأول للجاموس البرى الذى إذا ما نجح فيه يحتفل الأب به عن طريق إهداء بعض خيوله إلى جماعات لديها عدد قليل منها . والإشتراك في أول حمله حربية تمثل حدثا تاريخيا للشباب فإذا ما نجح فيها وثبتت شجاعته يعطى اسما جديدا ، ويعقب ذلك انه يعتبر من بين المنعقلين حيث يعامله والده وأقاربه بعد ذلك معاملة الرجال .

ويتوقع من الشباب ممارسة بعض تعذيب النفس وذلك لكي يكتسب نظرة لارواح الحظ السعيد التي سوف تحمية في ساحة القتال وتجلب له الحظ السعيد في الصيد . وترتكز هذه العملية أساسا على الصوم لمدة اربعة ايام والجلوس عاريا بمفرده على قمة النل وقد يتأق اكتساب نظره الارواح في بعض الاحيان عن طريق التعذيب الجسدى لفترة قصيرة من الزمن . فمن الطرق السائدة وضع سيخ من الخشب تحت مجموعة من الجلد غدد الضدن ثم يربط السيخ في حبل يثبب في قمة عمود وبعد ذلك يمضى الشاب طوال يوميه يشد نفسه بعيد عن اللود من اجل تمزيق اللحم . وقد تقطع في بعض الاحيان قطعة لحم مماثلة من ظهر الصبي وتربط في رقوس عدد من الجاموس التي تشد خلفها طول اليوم .

وقد تمارس مثل عمليه النعذيب الجسدى هذه أحيانا أخرى من أجل مصالح خاص .

وكا يبذل الجهد لتعليم الصبية فنون الحرب ومهارات الصيد فإنه يوجه أيضا لتعليمهم الطاريقه الصحيحه لصحبه عشيرتهم فمن المفروض أن يحترمون كبار السن على مدى حياتهم كما لابد وان يكونوا بشوشين لأمناء واصدقاء مع ذويهم واصدقاتهم . أما سلوكهم ازاء الاعداء فلا بد وان يكون قاسيا جافا ، رغم أن مجتمع الشين لا يتصف بذلك .

أما عن الذوق والسلوك الاخلاق كقيمومات للتركيب الاجتماعى والانثربولوجى لجماعات الشين فيلاحظ انه يجعل حياتهم اليومية تسير فى هدوء وسكينه فمثلا إذا مادخل زائر المنزل عليه ان يتجه صوب اليمين ثم يتوقف ثم على صاحب المنزل الذى يجلس فى الخلف والذى يكون فى العادة فى الغرب يدعو الضيف للجلوس وإذا مارغب فى ان يزيد من تكمريمه فإنه يدعو للجلوس إلى جانبه . ومن العادات السيئه ان يتجه الضيف نحو اليسار لان هذا المكان خاص بالاسرة كما انه لا يجوز ان يتخرق الفرد الممر بين موقد النار والشخص الجالس . ولابد وان يصاحب الزوار الرسمين « جوزه التدخين Pipe Smoking » ، حيث يبدأ المضيف بنشر دخان الجوزه إلى السماء والارض وإلى الجهات الاصلية الاربع ثم يصلى بعد ذلك ومن ثم يأخذ نفس منها ويدبرها على الجالسين من اليمين إلى اليسار وبعد سوء طالع ان تمس الجوزه أى شىء فى دورانها لذا لابد وان تعطى بعناية .

وتقام فى العادة الصلوات قبل تناول الطعام كما يحجز جزء من الطعام على

جانب للارواح وقد يتناول الرجال والنساء الوجبات سوا في مسكنهم غير انهم في المناسبات الرسمية يأكل الرجال بمفردهم . والاعیاد الخاصة تكون مصحوبة دائما بالخطب ومرد القصص . ومن افضل السهرات حين يجتمع افراد مجموعتين من الجنود لتفاحزا بما فعلا لاذ يحاول كل شخص ان يحصى عدد قتلاه ويلتزم في ذلك بالصدق إذ تقدر هذه الصفة في الرجال .

وقد تعود الشين على رؤية الجرحى والقتلى باسباب طبيعية ولا سيما في الصيد والحروب غير أن المرض يعال على أنه المرض من فعل قوة خارقة وانه لا سبيل إلى التخلص منه إلا عن طريق لرجل المطيب ، حيث يمارس الشامان - كما هو الحال بين قبائل الهنود الامريكيين الاخرى بعض الشعائر والطقوس التي تعتبر من اسرارہ وخصوصياته . فبادى ذى بدء يرتل سبع أغاني مختلفة مصحوبة بمشخصه وذلك بعد اطلاق دخان الجوزة المقدسة والتي تعتبر جزءا من علاجه الخاص حيث يخلط بها مجموعة من الادوية السحرية التي يفرکها بيده ثم يصنعها على الجزء المصاب من المريض . ويعتني بعد ذلك تسع أغاني يتناول بعضها الطعام الذى يقدم اليه .

وقد يوضع المريض في بعض الأحيان في كوخ صغير للبخير حيث توضع صخور محمية في داخله ومن أن لآخر تصب عليها المياه لكي تصدر بخار كثيف . وفي هذه الاثناء يصل الشامان ويغنى ويهز خشخاشه . ويتبع ذلك غطس في النهر وكما هو الحال في عديد من مجتمعات الهنود الامريكيين يعتبر حمام البحر تطهير ومن ثم يستخدم من العادة لاغراض دينية بحتة .

ومعظم الهنود لديهم وجهات معينة من أدوية والاعشاب يتناولوها في حالة المرض . وقد تأتي بهم الوصفة الطبية في المنام حيث ينظر إليها كقوة روحية

أكثر من كونها دواء حقيقى . ويحمل الرجال معهم دائماً خدومه طيبة
« Medicine bundle » من الاعشاب الخاصة التى تربط من أعناقهم أو فى
شعورهم .

ويستطيع أى هندي أن يكون شامانا وفى اطار هذه النظرة فجميع أفراد
الشين لهم درجات من قوة السحر ، ولكن إذا ما كان هناك شخص اعتقد أنه على
درجة غير عادية من التطيب فإنه يستدعى لمساعدة الشخص العليل فى مقابل
هدايا تعطى له ومن ثم يصبح ممتها تلك الحرفة . ويعتقد أن قليل من الشامانين
لديهم قوة سحرية غير عادية يمكنهم بها تطويع الممرض أو الموت لارادتهم .
وتستخدم هذه المقدرة فى العادة للتأثير على الناس ولكن نادرا ماتحدث .

وحين يموت شخص يسرع الشين بالتخلص من الجثة وذلك خوفاً من الاشباح
فتبعد الجثة لمسافة بعيدة عن المعسكر وتوضع على حاملة من الاشجار أو فى كهف
أو تغطى بالصخور . كما يقتل حصانه المفضل ويوضع بالقرب منه ذلك إلى جانب
ممتلكاته الخاصة . أما بقية ممتلكاته فتعطى للغير . وقد يستمر المأتم لمدة عام
أو أكثر ، وتقوم النساء المقربات اليه بقطع شعورهن وجرح رؤسهن وأرجلهن
وإذا ما قتل الشخص فى معركة قد يصل الجرح إلى حشد قطع الأصبع . أما
الرجال فلا يقوموا بحلق شعورهم ويتركوا تطول خلال فترة الحداد .

ويعتبر الشين أن جميع الاموات تذهب إلى العالم الاخر فيما عدا هؤلاء
الذين ينتحروا فعالمهم هو السماء الذى يمكن الوصول اليه عن طريق معلق وفيها
يعيش الميت مثلما كان يعيش على الارض ولكن فى صورة أشباح وظلال . ومما
يجدر ملاحظته فى هذا الصدد أنه حينما وصلت المرايا إلى جماعة الشين عن طريق
التجارة انزعجوا بشده لانهم تصوروا أن الانعكاس عليها من فعل الارواح وأنه

من سوء الطالع أن ينظر إليها . ونفس الشيء حدث في السنوات الأخيرة حين وصلت الصور الفوتوغرافية إليهم .

ويعتقد الشين في قوة الهين أكثر من غيرهما من الالهة والارواح ، ويقطن احدهما في السماء والاخر تحت الارض ، كما أن هناك أربعة أرواح قوية تعيش كل واحدة منها في إحدى الجهات الأصلية . وإلى جميع هذه الالهة يوجه الشين صلاتهم ودخان البيت المقدس .

وإلى جانب يلب التدخين أو الييب المقدس هناك عدد كبير من الأغراض الأخرى تستخدم كأيقونات وتعويذات لازالة وإبعاد الحظ السيئ وتأثير الارواح الشريره . فدرع المحارب وقيص الحرب وتلوين الجسد كلها علامات لها دلالتها المقدسه عنده . فكل شخص يرتدى أو يحمل سحر خاص مثل رؤوس الرماح أو خصله من الشعر أو حجر أو بلور أو بعض الحشائش والاشب . وهكذا تحرم عديد من الافعال اليومية خوفا من انتظام الارواح . فالرجال الذين لديهم دروع معينة لا يمكنهم أكل الامعاء كما أن هناك أيضا من يحرم عليهم استخدام السكين في الطعام أو أى أدوات معدنية أخرى وآخرون لا يستطيعوا أكل قلوب الحيوانات ... وهلم جرا .

وهناك نوعان من المعتقدات السحرية *Fetishes* لها دلالة كبيرة بالنسبة لكل قبيلة الشين أولهما الاربعة أسهم التي يخصص اثنان منها للجاموس واثنان للرجل . والتي ينظر إليها على أنها مقدسه كما أنها تحت توجيه قوة خاصه . وهذه الاسهم مثل حزمة الدواء *Medicine bundle* لها نفس الدلالة عند جميع أفراد القبيلة حيث يسعى كل واحد لحوزتها ومن ثم تقام بعض الاحتفالات الهامة عند الشين من أجل تجديد الاسهم المقدسة .

أما النوع الثاني من المعتقدات وهو قبعة الطب Medicine hat والتي كانت في وقت ما معادلة لرمز القبيلة سوتاىو Sutaio وحيث أصبحت مقبولة بعد أن اتدمجوا في قبائل الشين الحقيقية .

وتصنع القبة من رأس الجاموس وقرونها ثم توضع في رابطه تحت حراسة رجل خاص وحينما تعرض للجمهور في مناسبات خاصة فيعتقد انها تجلب الحظ والصحة والرخاء على القبيلة . والمكان الذى توضع فيه القبة يشبه الكنيسة فهو مكان مقدس لا يجوز لأى شخص أن يرتكب فيه جريمة أو يتبجح عدو .

وتقيم القبيلة طقوسها الدينية الرئيسية في فصل الصيف حين يجتمع كل أفرادها من المعسكر الكبير وأشهر هذه الطقوس ما يطلق عليه رقص الشمس Sen dance والذي يمارس في جميع أنحاء السهول.. ذلك بالإضافة إلى احتفال الماسايم Mossaum والذي يعرف في بعض الأحيان باسم الرقص المجنون Foolish dance والذي يتضمن استعراض للمعارضين .

ورقص الشمس عند الشين أو كما يعرف لديهم باسم مكان الطب فهو يشبه بصفة عامة الاحتفال عند بقية هنود السهول على الرغم أنه بين قبائل الشين يواجه بوضوح إلى الأرواح وذلك من أجل خير القبيلة . فيقام منزل للاحتفال كبير على شكل مستطيل يوضع في مركزه عمود مقدس تجرى حوله حلبة الرقص وتقدم العروض وتقام الشعائر المختلفة . وفي ختام الأيام الأربعة للاحتفالات يربط الشباب الراغب في التعذيب الجسدى في العمود بعد وضع الأسياخ في جلود صدورهم . وقد ائمت هذا العمل الأخير أنظار الأوربين والرجل الأبيض بعضه خاصة وكان عاملا في منع رقص الشمس في مخصصات الهنود الحمر على الرغم من أن هذا العمل ليس من أبرز مظاهر الإحتفال .

أما رقصه الماسيم Massaum ففي أساساً محاكاة للسحر إذ ترتكز على تصور الشخص لصيد الحيوان وتمثيل الظروف التي يقتنص فيها الحيوان . وغرض هذا الاحتفال هو طلب وفرة في الصيد وشفاء المرض وتأكيد النجاح في الحرب ولذا فقد يمارس المعارضون حركاتهم التي تثير ضحك المتفرجين .

وقد وصلت حياة هنود السهول إلى أوجها في الفترة التي تزايد فيها الاتصال السريع بالمجتمع الأمريكي . في ذلك الوقت أصبحت منطقة السهول المعظمي ميدان للصراع بين المدن الشرقية ونيو مكسيكو وكاليفورنيا وأريجون ولكن لفترة لم يكن هناك استحوار على الأرض إذ أن الرجل الأبيض كان لا يوجد شيئاً سوى حماية عربات البضائع من السطو إذ أن استمرار العلاقة السلمية بينهم وبين هنود القبائل الهندية ساعد على حصولهم على الفراء في نظير إعطائها الخرز والمرايا والسكاكين والآنية النحاسية والحديد . ثم أخيراً البنادق والبارود والقصدير والويسكي الرخيص الذي أقبل على تناوله شباب الهنود ومن ثم أصبح عنصراً هاماً في التجارة .

وفي عام ١٨٢٢ افتتح طريق سانت في Santa fe الشهير الذي عمل على زيادة التجارة بين المدن في مسينوري ونيو مكسيكو كما أن قبائل الهنود الجنوبية تاجرت على القوافل وعملت معهم غير أن بعض الجماعات قد هاجمتهم من آن لآخر لأنه لم يكن هناك بوليس قبل . وكل هذه الأمور كانت مثيرة غير أنها لم تمثل أى تهديد لقطعان الجاموس البحري في أرض الشين .

ولكن بعد أن بدأت أعداد العربات تزداد في طريق أوريجون في السهول الشمالية حتى صممت حكومة الولايات المتحدة على وضع الهنود في حدود خاص بهم ومن ثم فقد عقدت معاهدة في عام ١٨٥١ في قلعة لاراي بينهم وبين

هنود الشين والاراباهو *Arabaho* حددت بواسطتها مساحة واسعة لصيدهم بين شمال نهر بلانا ونهر اركانس وبين جبال الروكي وحتى التلال السوداء *Black Hills* وقد كانت هذه المساحة كافية غير أنه بعد مضي ثمانية أعوام على توقيع الاتفاقية بدأ الباحثون عن الذهب يتجهون إلى منطقة نهر بلاتا ومن ثم توقع الهنود أثر صوب الغرب . وأسوأ من ذلك الجاموس البحري الذي كان يعد المورد الرئيسى لمنطقة السهول أخذت أعداده تقل بسرعة . فقد لجأ الصيادون الاورييون لصيد الجاموس من أجل جلودها فقط كما أن المسافرين عمدوا لقتل أعدادا منهم على سبيل الرفاهية . ويبدو أن ظهور الذهب كان بشير لإقناء المورد القديم للمنطقة وهو الجاموس الذى بدأ تقل أعداده ببطء فى بادىء الامر ثم أخذ ينقص بدرجة مزهلة إلى أن كاد ينقرض بعد أعوام قليلة من الاحداث السابقة .

ويبدو أن تتابع الاحداث بسرعة قد ترك هنود السهول فى حالة من الإضطراب تقريبا . وذلك أولا لان أعداد كبيرة من الاورييين وفدت فى أعقاب قيام طرق القوافل ولم يلاحظوا أو يعرفوا طبيعة المعاهدات التى وقعت مع الهنود من قبل ومن ثم فعند ما كان الهنود يهاجمون الهنود كانت قوات الحكومة تتبعهم وتفككهم . وهكذا تردد بين الاورييين أن أفضل الهنود هو الهندى المقتول ومن ثم فلم يفرق الرجل الأبيض من الهنود غير المسلمين أو الهنود المسلمين أو الهنود الذين يجب عقابهم لجرائم لا يعرفوا عنها شيئا . فقد ذهب الجنرال كوستر *Custer* إلى قرية الشين المسالمة فى بلاك كتل *Black Kettle* وأبدوها عن آخرها . كذلك فقد تمخض عن الموقعة التى حدثت فى *Sand Hill* بالقرب من دينفر *Denver* أن حصر معسكر الشين ورفع عليه علم القوات الأمريكية بعد أن أريد من فيه وعرضت أشلائهم فى مسرح دينفر .

وقد وفد أعداد كبيرة من البيض بعد الحرب الأهلية إلى منطقة السهول وتبعاً لذلك أصبحت حياة الهنود في هذه المنطقة مستحيلة . وفي عام ١٨٦٧ قبل الهنود الذين يعيشون في النصف الجنوبي من السهول بما فيهم الفرع الجنوبي من الشمين نظام المخصصات ومن ثم فاستقروا في خلال أعوام قليلة في أوكلاهوما . أما في الشمال فتمدد أدى استمرار تدخل الرجل الأبيض في أراضي الهنود إلى نشوب الحروب الهندية التي بلغت ذروتها في أعوام ١٨٧٠ . فقد اتحدت قبائل الشين مع بعضها حيث نجحت في إلحاق الهزيمة بالجنرال كوستر في موقعة ليتل بيغ هورن Little Big Horn غير أن الدائرة أردت عليهم وهزموا وانتهى بهم الأمر للعيش في مخصصات .

وبما هو جدير بالذكر أن معظم أراضي المخصصات غير صالحة للزراعة ، كما أن الزراعة هي في هذه الحالة من اختصاص المرأة . وحتى رقصة الشمس قد حرمت ذلك إلى جانب جميع مظاهر الحياة القديمة لهم التي لم تجد مجالاً لها في المخصصات . وهذا التوجيه الخاطئ الذي تكرر باستمرار في أجزاء متعددة من العالم حيث توجد الجماعات البدائية قد خضع للحضارة وكان رد الفعل في أغلب الأحيان عنيفاً . ومثل ردود هذا الإحتكاك يعرف باسم **Revivalism** أو **messianism** والتي تنطوي على إيجاد نظم تحمى الإحتفالات والتقاليد الخيالية التي كانت موجودة قديماً .

وقد وجدت بين هنود أمريكا حركة عرفت باسم رقصة الشبح الدينية **Ghost Dance Religion** والتي بدأت في نيفادا في عام ١٨٨٨ ثم انتشرت بعد ذلك إلى بقية القبائل الهندية الأمريكية المنتشرة في الغرب الأقصى إلى أن وصلت أخيراً إلى قبائل السهول . وقد ذكر أحد قادة هذه الحركة من الهنود

ويدعى وفوكا Wovoka إن ماتعلبه من أصول الرقصة يساعده على إحضار أجداده
الراجلين وتجديد الأرض بصيد جيد. وفى هذا الوقت تمكن الثمين وكذلك قبائل
المسحول الأخرى من اعتناق الدين الجديد. ومن ثم فقد دعوا سلباً لمواصلة الحرب
المقدسة ضد البيض. وهذه الحركة كانت فى مضمونها حركة الأحياء Revivalistic
حرمت فيها الملابس والعادات والأدوات الجديدة للرجل الأبيض وجمدت فيها
الطرق القديمة . وهكذا قامت حركة مسلحة لهنود تيتون Teton فى داكوتا
غير أنهم هزموا فى ونددنى Wounded knee ولم تحدث معارك أخرى على
الرغم من أن الاضطرابات قد استمرت عدة أعوام .

وفى وقت لاحق صاحب حركة الأحياء أكل هنود أمربكا لزراير جافة
مصنوعة من نبات معين يحصل عليه عن طريق التجارة على الهنود الذين يعيشون
فى المناطق الجنوبية الغربية وفى المكسيك . ونظراً لأن هذه السامة تحتوى
على مادة مخدرة فقد انتشر استخدامها من الجنوب إلى هنود السول حيث
يستخدمها الآن معظم الهنود .

ومنذ أن فشلت جهود الحكومة فى إجبار الهنود الذين يعيشون فى المخصصات
الشمالية على الزراعة وحتى أخذت تربية الماشية تجد طريقهما فى الأهمية بالنسبة
 للمنطقة . وقد ساعد على ذلك أنه ينظر إلى تربية الماشية على أنها وسيلة أفضل
لعمل الرجل كما أن البيئة ملائمة لذلك . غير أن المساحة المخصصة صغيرة لا تكفى
هنود الشين الشماليه والذين يبلغ عددهم ١٦٤٧٠ فردا لكي يربوا قطعان من
الماشية تكفيهم . فمعظم السكان يعيشوا فى الوقت الحاضر فى اكواخ متلاصقة
كدوع من الأحياء الريفية الفقيرة Rural Slum وهم على درجة كبيرة من الفقر
فبعض الرجال يعمل دورى وإن كان القليل منهم له حرف ثابتة بالقرب من

المخصصات أو بها ذلك إلى جانب بعض أرباب المعاشات وهؤلاء الذين يباعون بعض منتجاتهم المحلية . فقد وصل متوسط دخل الفرد لديهم في عام ١٩٤٥ حوالي ٢٤٠ دولار وهذا المبلغ يوزع بطريقة أو أخرى بين الأفراد عن طريق المشاركة .

ولازال بعض التقاليد الأصلية معمرة بين الشين فالتأكد على القرابة مازال ينعكس على فترة الزيارة الطويلة للآقارب ، كما أن قليل من وسائل التطبيب القديمة مازالت معمرة ذلك بالإضافة إلى أن بعض الاحتفالات القبلية مازالت تمارس . ومن هذا يبدو أن عملية الاندماج في المجتمع الأمريكى الحديثة يسير ببطء شديد حيث توجد معوقات أكثر من تلك التى ظهرت في نظام المخصصات وعلى أى حال فالنزوح والاختلاط مع الرجل الأبيض مستمر فزيد من أطفال الهنود يلتحقون بالمدارس ، كما أن المزيد منهم يحصل على وظائف خارج المخصصات أكثر من قبل . وإذا مااستمر هذا الاتجاه فإن وضع الهنود الحالى سوف يتغير في غضون جيلين أو أكثر . وفي تلك الاثناء فإن الأمريكى الأصلى المصائد والمحارب والمكتفى ذاتيا أصبح مواطن من الدرجة الثانية بأمرىكا وهو على مستوى اجتماعى واقتصادى منخفض بالنسبة لآى مهاجر وفد على تلك الأرض .

قبائل النوير

The Nuer of the Upper
Nile River



قبائل النوير

يقطن النوير مناطق طويلة من الحشائش المدارية التي تشغل المنطقة الممتدة من النخوم الجنوبية للنطاق الصحراوي وصوب الجنوب إلى شـرق إفريقيا ، وهم جماعات طويلة القامة ذوى سيقان طويلة ورؤوس ضيقة إذ يمشون نتاج سلالى متنوع بين سلالة البحر المتوسط وزنوج غابات إفريقيا . ويتحدث جميعهم لغات متقاربة وضعت حديثا كلها تحت مجموعة اللغات السودانية الشرقية . وقبائل النوير قبائل ترعى الماشية تتمثل خير تمثيل فى الجزء الشمالى من شرق أفريقيا غير أنهم يختلطوا أكثر بجماعات البانتو الزراعيين كما اتجهنا جنوبا إلى أوغندا .

ومن الجماعات الرعوية النقية الماساى فى جنوب كينيا وشمال تانجانيقا وهم جماعات معروفة جيدا على الرغم من أنهم ليس أفضل التماذج النوير إذ أن الجماعات التى توجد فى الشمال تعتبر أكثر تمثيلا للمجموعات القبائل السودانية الرعوية المنتشرة فى المنطقة على نطاق واسع .

وأرض النوير فى وسط وجنوب السودان عبارة عن منطقة واسعة من الحشائش يخترقها المجرى الأعلى من نهر النيل بروافده المتعددة ، ومى ذات مناخ مدارى حيث تنقسم السنة بالنساوى بين فصل شديد الجفاف وآخر غزير المطر فتبتدا من شهر ديسمبر وحتى شهر يونيو تنخفض المياة فى نهر النيل وفروعه ويبدو المظهر الطبيعى فى المنطقة وكأن الجفاف يسيطر على كل شىء ولكن ابتداء من شهر يونيو وحتى شهر ديسمبر تسقط الأمطار الغزيرة وتفيض الأنهار على ضفافها وتنمو الحياة العشبية الغنية بحشائشها الطويلة .

وقد تبدو المنطقة للناظر حينذاك وكأنها منطقة مستنقعية . لآعلاقة لها بالمظهر الصحراوى الذى كان يسودها فى الجزء الآخر من السنة .

ومن وجهة نظر الزراعة الحديثة أو رعى الحيوان يبدو أن هذه المنطقة تشهد فترات تزيد فيها المياه عن الحاجة وأخرى تقل فيها للدرجة واضحة ، ولذا توجد أنواع متعددة من الحشرات في المنطقة . ففي فصل الأمطار يوجد الباعوض بكثافة غير عادية للدرجة تحول دون عمل الانسان والحيوان اللهم إلا إذا احرق نارا يصدر منها دخانا كثيفا . أما في فصل الجفاف فيهاجم الذباب بأنواعه المتعددة الحياة الحيوانية .

ويعتقد النوير أن بلادهم أفضل الاوطان على سطح الأرض ، والقليل منهم من تعدى في ترحالهم مدينه الخرطوم . وتنصف جماعات النوير مثل بيتنهم بالشح وعدم الجود ومن ثم فالقبائل المجاورة لهم تخشاهم ، كما أن القوى الاستعمارية لم تهتم كثيرا بالاستيلاء على أراضيهم أو تجنيدهم الاهالى في العمل . ونتيجة لذلك يعتبر النوير في الوقت الحاضر من أكثر الجماعات البدائية الاصلية نقاوة في عاداتها الاجتماعية وتنظيماتها على الرغم من المنطقة شهدت استعمارا بريطانيا .

ويبلغ عدد البوير حوالى ٣٠٠ ألف شخص غير أنه لا يربطهم جميعا أى وحدة سياسية فلا يشار إلى النوير كشعب أو مملكة بل عبارة عن مجموعة من القبائل المتشابهة حضاريا ولغويا والنسب تجمعها تشعر بدرجات متفاوتة أنهم يكونون مجموعة مختلفة عن جيرانهم . وجماعات الدنكا التى ظلت لفترة طويلة من أشد أعداء النوير أكثر شعبا لهم من الجماعات الاخرى المحيطة بهم ومن المحتمل أن ينتمى النوير والدنكا إلى أصل حضارى ولغوى واحد (شكل ١٢) .

ومن جيرانهم الاخرين القبائل المتعددة المتحدثة بلغة الشلوك مثل الجالا فى أنيوييا والانواك Anuak والبوير Boir . أما إلى الشمال فيوجد العرب الرعاة الذى اتصل بهم النوير في بعض الاحيان . وبصفة عامة نجد أن طبيعة وصفات



شكل (١٢) النوير

اختلاط النوير بجيرانهم كانت واضحة .

وجامعات النوير جماعات رعوية أساسا على الرغم من أنهم مثل أى مجموعة رعوية أخرى في العالم ، يقومون بزراعة بعض المحاصيل القليلة حينما يدفعهم الفقر إلى ذلك بغض النظر عن فقر التربة وعدم ملائمة المناخ لذلك . وينظر النوير كما ينظر كل رعاء شرق افريقية إلى الزراعة على أنها مهنة أقل من مهنة رعى الماشية حيث يعتزوا واعتزازا كبيرا بالمهنة الأخيرة . وتمثل الماشية المصدر الرئيسى للطعام فتأخذ منه الألبان واللحوم والدماء كما تستخدم الجلود في صناعة الإسرة والحقائب والحبال والطبول والدروع في حين تصنع العظام والقرون أنواعا متعددة من الأدوات المنزلية والآلات . وتعتبر الماشية من أهم ممتلكات النوير الذين لا يعادلون أهميته امتلاكها بأى شيء آخر فقد ذكر أحد الباحثين وهو البروفسير ايفانس بويتشارد *Evans - Pritchard* في كتابه عن النوير الذى صدر فى اكسفورد عام ١٩٤٠ أن النوير لا يتحدثون عن شيء سوى حيواناتهم . وأنه وصل لدرجة اليأس أحيانا لأنه فشل أن يجد فى حديثه مع الرجال سوى الحيوانات والنساء بل أن الحديث عن النساء كان يقوده دائما إلى الحديث عن الموضوع الأول ، .

ويعتبر اللبن غذاء النوير الاساسى على مدار السنة ، فقد يشرب طازجا أو يخلط بالذرة لعمل العصيدة كما يملح لعمل طبق خاصة من الطعام ذلك إلى جانب صناعة الذبد وتحلب الماشية مرتين فى اليوم ، وتقوم النساء والاطفال بهذا العمل ويمنع على الرجل حلب الابقار ولا يسمح بها إلا فى حالة عدم وجود امرأة . وفى فصل الجفاف حين يكون الطعام نادرا يحف لبن الابقار ومن ثم فقد يلجأ النوير إلى قطع أحد شرايين الرقبه فى البقرة للحصول على الدماء منها . ويغلى الدم إلى أن يصبح سميكاً ، وقد يترك ليتجمد وبعد ذلك يشوح ويأكل .

ولا ترعى الماشية من أجل لحومها ولكن حينما تصبح ضعيفه أو مجروحه أو
أو كبيرة في السن فإنها تذبح وتأكل في ظل احتفالات وطقوس. ويتولى الرجال
رعاية القطعان فبعد أن تنتهى النسوة من حلبهن يقوموا بقيادتهم صوب المرعى
والماء والاشراف عليهم طوال اليوم ليعودوا بهم إلى حظائرهم بالمساء، وفي تلك
الائثناء ينشدون أغاني تصف محاسن حيواناتهم. وما هو جدير بالذكر أن النوير
يقتلوا أيدهم ووجوههم في بعض الاحيان ببول الابقار كما أنهم ينظفون أجسادهم
وأسنانهم بدماء مصنوع من روث الماشية.

وأهم الغلات التي يزرعها النوير السوريجام وبعض الذره. ويعتبر السوريجام
أهم الاطعمة لدى النوير بعد اللبن فيصنع منه العصيده والبيرة التي تمتق أسبوعيا
ويؤكل قليلا من الذره حيث لا ينمو جيدا مثل السوريجام في ظل الظروف المناخية
الرطبة. أما الماعز والاغنام فتنتشر بين قطع الماشية غير انها لا تعتبر مصدرا هاما
للاقتصاد لديهم. ويمثل صيد السمك مصدرا آخر هام لطعام النوير. مع نهاية
الفصل الجاف ومع بدء موسم فيضان الانهار وتكوين المستنقعات يسهل عليهم الصيد
الذي يتواجد في البرك المنتشرة في أراضيهم. وموطن النوير غنى بحيوان الصيد
غير أن النوير لا يقبل على الصيد بكثرة، فتوجد هناك عديد من أنواع الجاموس
والفيلة إلى جانب وفرة من التماسيح غير ان النوير يشمر ان الفقير الذي ليس
لديه قطع من الماشية هو الذي يتجه للصيد من اجل الطعام. وقد يضطر النوير
لصيد الفهود والذمور في فصل الجفاف حين تهدد تلك الحيوانات مصدر قطعانهم
اى ان الصيد في هذه الحالة من اجل حاية انفسهم ويعتمدوا في ذلك على الكلاب
والرمح. ولا يربى النوير الطيور كما يعتبروا ان كثرة اكل الطيور البرية وببعضها
امراً غير مقبولا.

وفي خلال فصل الامطار يعيش النوير في قرى اقيمت فوق الاراضي

المرتفعة البعيدة عن غثلة الفيضان حيث يمارسون زراعة حديقهم الصغيرة. وهذه البقع التي تقام عليها المحلات العمرانية قليلة جدا ومن ثم فاغلبية الاراضى الفيضية المنسعة أماكن غير مؤهلة وكذا تتباعد القرى عن بعضها لمسافة قد تصل الى حوالى ٢٥ ميلا . ويتحدد حجم القرية بعدد سكانها ومساحة الاراضى الزراعية الملحقة بها ، وهكذا يتراوح قاطنى القرية الواحدة ما بين خمسين شخصا وعدة مئات ومن الاشخاص . ومع نهاية الفصل الممطر وبعد أن تجف الارض يشعل النوير النيران فى الحشائش من أجل تهويتها لقيام مرعى جديد ثم يرحلون لاقامة معسكراتهم بالقرب من المجارى النهرية وروافدها وذلك لفترة ستة شهور وكثرة الحركة والانتقال ضرورية فى هذه الفترة نظرا لان المرعى يصبح أكثر تناثر مع تقدم فصل الجفاف .

ولا توجد حقوق ملكية دائمة للارض عند النوير . فاختيار موضع القرية يحكمها فكرة أن الارض مشاعة للجميع وأن المملكية الوحيدة المتمسك بها هى ملكية قطعان الماشية وهذه المملكية ملكية أسرية أكثر منها فردية ولذا فبعض العائلات أغنى فى قطعانها من البعض الآخر . ويعود هذا الاختلاف أساسا إلى مركز صاحبها غير أن هذا الاختلاف لا ينتج عنه اختلاف ذات قيمة فى مستوى المعيشة . فدرجة المساهمة فى المجتمع وأيضا فى المجتمعات المجاورة يتوقف على دور المجموعة ككل فى مدى اشتراكها فى مصدر طعام واحد . ولا توجد تجارة بين النوير إذ أن النمو الاقتصادى بطيء جدا فى بعض الاوقات فى أثناء العام ولا سيما فى أواخر فصل الجفاف يوجد نقص واضح فى الطعام ومن ثم فيفرض على مجتمع النوير أن يتعاون جميعا فى كيان اقتصادى مشترك .

وتتمثل الوحدة الاقتصادية الصغرى عند النوير فى المنزل أو النزله

hame stead حيث يتكون من كوخ او مجموعة صغيرة من الاكواخ وحظيرة للماشية بنيت جميعها من البوص وطين اللبن وقد تضم المنزل اسره بيولوجية واحدة أو ربما تشتمل على اسرة ممتدة تركز على الاباء وعدد من الابناء مع عائلاتهم . اما فى فصل الجفاف فالمعسكرات المؤقتة تشيد من حصر بسيطة لتكون مجموعة من الاكواخ على هيئة خلية من النحل يعيش بها مجموعه من العائلات المتقاربة التى تتعهد كورال Corral ، او حظيره كبيره مسورة تضع بها الماشية ، أو قد يعيش بها عائلات واحدة تجوب مساحة واسعة وتعتمد فى حياتها على ظروف الأرض وقربها من المرعى وأماكن العسيدة الوفير وفى العادة يرتبط النشاط الاقتصادى بالمنزلة وذلك فى غضون الإقامة فى قرى بينما فى فصل الجفاف يصاحب النوير قطعان ماشيتهم فى مرعاهم ولذا تكون الأنشطة الاقتصادية أكثر شيوعاً .

ويربط جميع أفراد القرية أو المعسكر صلة القرابة وهى نفس الرابطة التى تربط كل الأفراد والجماعات التى نصاحب النوير . فكل الحقوق والواجبات والامتيازات والمعدات ينظمها إطار القرابة ، فلا يوجد أى شكل آخر للصدقة فإما الشخص قريب او عدو ، وهكذا يستطيع النوير ان يصنع أى شخص له احتكاك بهم فى وضعه الصحيح . ومصطلحات القرابة لدى النوير متعددة ومنها ما يطلق على افراد المقربين للأسرة ذلك إلى جانب الأقارب من نفس العمر أو هؤلاء الذين تربطهم صلات معينة بالأفراد المباشرين للأسرة .

ومعنى ذلك أنه من المشكلات الاجتماعية تحديد نوعية الأقارب من مصطلح يطلق على أحد الأفراد المباشرين فى الأسرة . ولذا فجميع الأقارب المذكور الذين ينتمو لجيل الآباء والامهات يطلق مصطلحى أب وأم ، كما أن الأقارب من

جيل واحد يطلق عليهم مصطلح أخ أو أخت ، كما أن أطفال الأخ والاخت يطلق أبناء وبنات . ويعتبر الحال كما هو في بعض المجتمعات ذا وضع خاص في القربى بالمقارنة بالذكور الآخرين في نفس جيلة ولذا فيشار اليه دائما بمصطلح يميز وبطبيعة الحال هناك طرق مختلفة لتحديد درجات القرابة بشكل أوضح . فقد يستخدم مثلا مصطلح شقيق الاب في مخاطبة العم بدلا من اطلاق مصطلح أب عليه ولكن ينظر النور على استخدام مصطلحات محددة في القرابة شكل شئ ، يتسم بالبرود والبعد .

وتعتبر قرابة السن مسألة هامة في العلاقات الشخصية بين النور ويبدو أن هذه المسألة تفوق في أهميتها أى اعتبار آخر . فيوضع كل فرد من أفراد النور في قسم تبعا لمصطلحات نظام العمر . فجميع الذكور يقسموا إلى درجات تبعا لأعمارهم فهناك الكبار والمتساوين والصغار . فيستطيع المرء أن يميز الكبار على أنهم أرفع قدرا من الصغار وأنه غير متكافئين مع متوسطى الأعمار . أما النساء فيتبعوا النظام الذى يحتوى الامهات والزوجات والشقيقات والبنات اللاتي تنتمين إلى أشخاص ذكور معينين . وهكذا بحكم استخدام مصطلحات القرابة العمر النسبى أكثر من القرابة الفعلية ولهذا فيخاطب أى شخص من مجموعة كبار السن بمصطلح أب أو أم بينما يخاطب الصغار بمصطلح ابن أو أبنه . أما الشيوخ فيطلق عليهم لقب جد وجده . أما الرجال من نفس العمر إذا ما كانوا أصدقاء ينادى كل منهم الآخر باسم ثوره إذ أن اسم الثور يطلق على صاحبه .

وعلى الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلحات القرابة المحدودة التي تطلق على عدد كبير من الناس إلا أنه توجد اختلافات هامة في السلوك بين الأقارب من مختلف الدرجات . فلكل شخص صلات قرابة من جهة ابيه وأخرى من جهة

والده ، غير ان القرابة المنصلة بالطرف الاول تعتبر أهم قرابة الطرف الثانى . فافراد تسلسل الاب وهم أقرب الاقارب والمقربين لا يشترط تقاربهم فى الحدود ولكن القرب هنا فى الشعور أوضح . وهذا هو السبب فى أن الحال يخاطب فى بعض الأحيان بمصطلح خاص بينما يشار إلى العم بمصطلح أب إذ ان الأخير احد الافراد المتحدثين لتسلسل الاب وذلك على النقيض من الحال الذى يشمل نوعا آخرى . ويعنى التسلسل القرابى Lineage number ship التمثيل فى المجموعة التى تشارك فى حقوق الارض والتى تحكمها التزامات سياسية وقانونية عامة كما ان لها حقوق احتفالات معينة . ويعيش فى كل قرية أكثر من تسلسل قرابى بل ان التسلسل الواحد قد يكون له فروع متناثرة فى قرى مختلفة . وهكذا يلعب التسلسل القرابى الدور السياسى بمعنى أن كل افراد القرية لهم شعور طبيعى قوى نحو قريتهم . وهذا الشعور يكون بطريقة ما وحدة متكاملة يشارك أفرادها اعداد من الانشطة الاجتماعية والاقتصادية . ولا يسمح نظام التسلسل القرابى بزواج الفرد من مجموعته التسلسلية انما يحدث الزواج فى القرية بين التسلسلات المختلفة .

ومن ثم فالتسلسلات القرية تربط أفراد القرية بعضها ببعض حيث تشكل اتجايدات وتخلق مجموعات أكبر بحيث قد تبدو القرى مكتفية ذاتيا .

وتكون الانساب المتقاربة بمجموعات أكبر وهى العشيرة . وإذا كان درجة قرابة أى شخص تعرف بين ذوية فإن العشائر ينظر إليها على أنها تتكون من انساب وليس من أفراد فصلات قرابة كل نسب بالآخر معروفة فى العشيرة ولكن الأفراد يعرفوا فقط - كتتابع لأفراد لعشيرة التى انحدرت من جد عام .

وقد تتحد القرى فى مقر سكنى عام إذ قد تشغل عدد من القرى منطقة من

أرض يشعر قاطنيها بأنها وطنهم بعادتهم وحرفتهم . وفي مثل هذه الحالة تعرف هذه القرى باسم عام هو اسم الناحية وفي نفس الوقت اسم مجموعة السكان . وقد يشعر أيضا بعض هذه النواحي بصلة القرابة بين بعضهم في مساحة أكبر من الأرض وبالتالي تشعر المجموعة الأخيرة بنفس الصلة بمجموعة أكبر منها إلى أن يظهر اتحاد أعم واشمل يربط بين المجموعة المتقاربة تحت اسم القبيلة .

وجامعات النوير كلها تنقسم إلى ثمان أو تسع قبائل كبرى يتراوح عدد أفراد كل منها بخمسة آلاف شخص وإن كانت هناك جامعات أصغر من ذلك كثيرا . ولكن القبيلة هي أكبر وحدة من السكان الذين يقطنون منطقة معينة ولهم اسم خاص والذين يشعرون سويا بالانتماء belongingness . ولا توجد حكومة بين قبائل النوير ومن ثم يعرفوا كشعب وكأمة في إطار اشتراكهم في لغة وحضارة وحدود واحدة أي أن التعريف السياسي غير وارد في هذا الصدد .

وتتكون كل قبيلة من قبائل النوير من عدد من العشائر ولكن يوجد دائما بينهم عشيرة تشعر أنها أعرقهم وأكثرهم تميزاً وهي في بعض الأحيان وليست دائماً أكبر العشائر . وعلى الرغم من أن لكل عشيرة عدد من أفرادها في كل قرية إلا أن هناك عشيرة بعينها تشعر أنها هي الأهم في كل قرية ، وأخرى في كل ناحية وهلم جرا ومن ثم فهناك من الأشخاص من يستطيع التحدث باسم العشيرة المساندة في كل ناحية كما هناك من يمكنه التحدث باسم القبيلة ككل . وفي ضوء هذا الواقع نجد بعض الاختلافات الاجتماعية بين الأسر في كل المناطق حيث تربط هذه الاختلافات بالمركز أكثر من السيادة أو الامتياز . فلا يوجد هناك طبقات اقتصادية تعتمد على ثراء اقتصادي مورث أو اختلاف في مستوى المعيشة .

ولا يوجد بين قبائل النوير حكومة بمعنى الكلمة أو سلطة منظمة أو أى قانون . إنما يوجد فقط بعض الرجال المؤثرين الذين لديهم نوعا من السلطة التى تعتمد على مقدرتهم على القيادة أكثر من اعتمادها على المركز أو الوظيفة الموروثة وفى العادة يأتى القائد من العشيرة البارزة واسكن لا بد له من أن يكون قوى الشخصية ذا حكمة حتى يمكنه اجتذاب الآخرين . والنوير جماعات تؤمن بالمساواة بقوة ولذا فلا يمكنها قبول أى سلطة فيما عدا تلك التى تتأتى عن طريق الأسر والتى تنطوى تحت تقسيمات السن والنوع فى نظام القرابة .

والمركز الذى يشبه كثيرا الوظيفة السياسية هو رئيس جلد النمر — Leopard Skin chief وسمى بهذا الاسم لأنه يشمخ له بأرتداء روب من جلد النمر . ووظيفته الأساسية بالإضافة إلى بعض الطقوس المعينة — التوسط بين الخصوم . واعنف الاضطراب الاجتماعية فى حياة النوير ترتبط بتقل رجل لآخر . فكما هو الحال فى المجتمعات البدائية الأخرى التى تفتقر إلى وجود مؤسسات حكومية فإن هذا العمل يسبب الفقرة بين الأقارب ويكون بداية للخصومة والعداء الحقيقى . ولا تسمح مجتمعات النوير لهذا الحدث أن يمر بدون ربط لاذ أن المجتمع لا تنعدم فيه السلطة كلية رغم عدم وجود قضاء أو أى سلطة حكومية فى المحلة العمرانية .

فحينما ترتكب جريمة قتل يذهب القاتل إلى رئيس جلد النمر المحلى ولذا ما كان يخشى الانتقام فى الجبال فإنه يظل مع الرئيس الذى يعتبر منزله مقدس . ودور الرئيس بعد ذلك هو إن يذهب إلى اسيرة القاتل ويتفق معها على دفع عدد من رؤوس الماشية إلى اسيرة القاتل ثم يحاول بعد ذلك إلى اقناع اسيرة القاتل بقبول التعويض وعلى أى حال فهو الوحيد الوسيط . وإن كان ليس لديه أى سلطة للحكم أو للأجبار على الدفع أو القبول .

ويمثل جلده النمر دور الوسيط. في بعض المنازعات الأخرى كما هو الحال عند الاختلاف على ملكية الماشية . وقد يستطيع الرئيس ومثله في ذلك مثل كبار السن في المجتمع أن يعبر عن رأيه في الحالة ويحاول أن يناقش طرفي النزاع . ولكن كما سبق أن ذكرنا ليس لديه أى سلطة بالنسبة للداعى أو المدعى عليه .

وفي بعض الأحيان يوجد بعض الرجال الذين يفضل الأهل تسميتهم بالانبياء لهم بعض النفوذ السياسى . وهؤلاء الرجال يكونوا في معظم الأحيان من الشامانيين أو المطبيين والذين يعتقد انهم يملكون روحا سماوية قوية . وفي بعض الاوقات يتمكن هؤلاء الرجال من توحيد عدد من المجموعات إبان الحلات الحربية أكبر من ذلك العدد الذى يمكن تجميعه في غيابهم . ومن أفضل مآثر هؤلاء النبلاء ما قاموا به من مقاومة التغفل العربى والإوربى لأراضيهم في القرن الماضى غير أن الاحتلال البريطانى لأراضيهم قد وضع نهاية لنشاط هؤلاء الانبياء .

ويؤمن النمر بأن العلاقات السلمية لا بد أن تسود بين الأقارب الذى يجب مساندتهم وإن درجة القرابة ترتبط أيضا بدرجة المسالمة . وبصفة عامة نجد النوير يتزوج من قبيلته ومن ثم فرابطة القرابة لا تتعدى حدود القبيلة . وإن كانت القرابة قد تمتد من ناحية أخرى إلى ماورا . القرى المحلية لأن قبول جماعات النوير فكرة تحريم الزواج من الأقارب وسعت نطاق مجموعات الزواج لديهم فلا يستطيع النوير أن يتزوج من ذرية أو عشيرة وبما أن العشيرة قد تكون كبيرة جدا لذا فقطاع عريض من السكان حرم عليه الزواج من بينهم . كذلك تحول قواعد الزواج الارتباط بأمرة الأم وله بأى ذرية من عشيرتها . ولا يوجد تحريم للزواج المحلى غير أن القرابة لكونها تضم مجموعات متقاربة لذا لا يد للزوج للبحث

عن الزوجة خارج نطاق قرينته . بمعنى أن الزواج المثالي هو الذى يحدث بين افراد
تزاور عائلتهم فى قرى تبعد عن بعضها .

وهدف الحياة النوير ذكور كانوا أم أناثا منذ نعومة اظافرهم هو الزواج والبيت
والابناء . فبعد البلوغ تطلق الحرية كاملة للفتى والفتاة لممارسة الحب حيث يمكن
طرف رفيقه دون تدخل من الاسرتين غير أن الزواج غرض بعيد عن العلاقة
العاطفية ، إذ أن اسرة الفتاة من الضرورى وأن توافق على اسرة العريس إذ لا بد
وان يكون لديهم عدد كاف من قطعتين الماشية .

وقد يتم الزواج الحقيقى بعد دفع اسرة العريس عدد من رؤوس الماشية لاسرة
العروس وفى العادة يتم الدفع على ثلاث فترات تصاحب كل منها طقوسا معينة
ترتبط بالخطوبة Petrothal والزفاف Wedding واكتمال الزواج
Consummation . وفى وقت حفل الخطوبة بمنزل العروس تأخذ اسرة
العريس يرافقتها اصدقاء العريس عدد من رؤوس الماشية كهدية حيث يمكن
« افضل الرجال » best man (وهو المنحدر باسم اسرة العريس) الوصول
مع اسرة العروس على اتفاق بشأن عدد رؤوس الماشية وتواريخ احتفالات الزواج
وفى هذا الصدد يقام احتفال غنائى راقص ويذبح ثورا كوليمة . وبعد مضي عدة
أسابيع وبعد مناقشات مستفيضة يحدد خلاط اعدد رؤوس الاغنام التى تعطى
لاقارب الفتاة الخاضعين يعقد حفل الزواج مرة أخرى من منزل الفتاة ويحضره عدد
كبير من افراد الاسرتين .

أما الزواج الحقيقى فيحدث عندما يعقد الاحتفال الثالث فى منزل العريس .
وهذا الاحتفال هاما لانه يتوج الرابطه النهائية بين اتحاد الاسرتين كما أن الزوج
ليس له حقوق على زوجته حتى هذا الحفل بمعنى انه لا يستطيع معاقبتها فى حالة

خروجها عن أوامرة كذهابها مثلا إلى حفل راقص يدعى إليه أناس غير متزوجين وهناك لحظات هامة في الاحتفال الثالث أهمها أثناء الليل حين يحدث الانصال الجنسي لأول مرة بين العروسين ، وحين تذبج الثور في الصباح كنحور مقدس يأكل منه جميع أفراد العائلتين فيما عدا العروس التي يحرم عليها الأكل في منزل حماتها . وفي هذه الحالة تدهن العروس بالزبد ويحلق شعرها كإعلان لتغير وضعها .

ولا يعيش الزوجان سويا بمعنى الكلمة إلا بعد انجاب طفل . فتعطى الفتاة كوخا خاصا في مقر أسرتها بينما يبقى الزوج بين أفراد أسرته ويقوم كل ليلة بزيارة زوجته كلما استطاع ذلك . ولكن بعد انجاب الطفل يقبل الزوج كهضوفى أسرة الفتاة حيث يقيم مع أسرتها إلى يقطم الطفل ثم يرحل بعد ذلك هو وزوجته ليعيش في قريته .

وقد يظل الزوج والزوجة والأقارب في قلق شديد إلى حين ولادة الطفل وسبب ذلك لا يعود إلى حبهم إلى الأطفال فحسب بل لأن الزواج لا يصبح مستقرا إلا بعد ميلاد الطفل . فمن الممكن أن ينفرط عتد الزواج بسبب المقيم وفي هذه الحالة ترد رؤوس الماشية التي أخذتها أسرة العروس إلى أسرة العريس ومعنى ذلك أنه لا يجوز التصرف في رؤوس الماشية طوال هذه الفترة .

وبعد فطام الطفل الأول يبنى الزوج كوخا لزوجته وطفله في مقر والده وأول واجبات الزوج في مستقرها الجديد هو تشيد « دروة Wind Screne » من الطين لتكون مكانا لأرواح ذوبها . لأن ذلك يعنى كثيرا من التغير بالنسبة للزوج إذ عليها من الآن وصاعد أن تدرع ذرعها وتحلب ماشيتها حيث يعطيها والد زوجها عدد من رؤوس الماشية لكي تبدأ حياتها المنزلية المستقلة .

ومع مرور الزمن وتتابع الحوادث نجد أن أحدا لا يفترق مافع له من ثروة

إبان الزواج إذ تنقسم المجموعة الماشية التي تأخذها في أى وقت بين الأقارب ومن ثم فعليهم جميعا المساهمة في تجميع الماشية المطلوبة لأى عرين ودفع الماشية بهذه الصورة لاي معنى مطلقا شراء العروس لها إذ أن الماشية كما تأتى إلى المحلة العمرانية تخرج منها . إذ أن أبرز ناحية لتحرك الماشية من ناحية والمرأه من ناحية أخرى هو الاستقرار الوظيفي الذي وجد في المجتمع إذ من أكثر الأمور صعوبة وتعقيدا هو انهاء الزواج وذلك لأن الماشية الموزعة على نطاق واسع لابد من عودتها لذا تستخدم أسرة الزوجه كل نفوذها لى تظل مع زوجها ولهذا السبب ولسكى تتجنب كثير من الصعاب يأخذ الزواج وقتا طويلا ومراحل متعددة لأن النوير يرغبوا من التأكد من استقرار الزواج قبل أن يتورطوا كاملا فيه .

ولابد للرجل الشاب من أن يميز عن أقرانه بحكم القانون وإن كان بعد ميلاد طفله الأول وفطامه يتغير وضعه حيث يقبل على انه أحد الأقارب أكثر من كونه مجرد خاطب Suitor فولدى الفتاة يخاطبونه الآن باسم مولودة كما ان العلاقات الاجتماعية أصبحت مبنية على استخدام مصطلحات القرابة . وحيث لايتجنب الرجل أو الصبى حماه لفترة طويله بعد ذلك فيمكنه مخادعتها بحرية كما يمكنه زيارتها من أن لآخر ولايحرم على الزوج إلا شئين أولها تناول الطعام في منزل والدى عروسة وثانيها الظهور عادى أمامهم .

ويمارس بين النوير نظام « الليفيرات » Levirate التى تجبر الاخ على زواج زوجة أخيه في حالة وفاته . ففي العادة يضطلع الاخ الأصغر بمسئولية هذا الزواج ورعاية زوجة أخيه وأبنائه . وفي هذه الحالة لانقام أى احتفالات للزواج وتظل الأرملة محتفظة باسمها الاصلى كزوجه للاخ المتوفى .

وأحيانا يكون للرجل أكثر من زوجه وفي هذه الحالة لا يكون للزوجة

الاولى أى وضع خاص إذ يعتقد النوير أن الزوجات لابد وان تعاملن جميعا بالتساوى . وقد يؤدى هذا الوضع إلى احتمال الاحتكاك بين الزوجات ويعرف النوير ذلك جيدا إلا ان أسباب تعدد الزوجات إلى جانب نظام الليفيرات ترجع إلى حين يموت الرجل دون ان ينجب ذكراً إذ لابد ان يستمر اسم الرجل فى ذريته الذكور وان الأرواح والاشباح سوف تكون غاضبه . كما يعتقد النوير إذا حدث ذلك . ولهذا يعمد اخيه الاصغر أو أحد المقربين اليه لرواج زوجة الرجل المئوفى وهنا يعتقد أن شبح الرجل المئوفى هو الزوج الشرعى يأخذ الاطفال اسمه ويسمى هذا الزواج باسم زواج الاشباح « *ghost marriage* » .

كذلك يوجد هناك نوعا من الزواج بين امرأتين اللتان يكون احد أزواجهن عاقر . حيث يحضر الاطفال إلى الزوجين بمساعدة رجل قريب أو صديق ويمارس الاب فى هذه الحالة مسئولية نمو الاسرة كرها وكوالد الاطفال . وليس هناك أى دليل على ان هذا الوضع نتيجة لعلاقة جنسية شاذة بين امرأتين إذ حقيقة الامر ان شخص ثالث هو المسئول عن الطفل .

ويميش الاطفال مع امهاتهم فى الكواخ صغيرة تحيط بحظيرة الماشية ، وحين يبلغ الصبى سبعة أو ثمانية أعوام يأخذ الطفل من أمه ليذهب لقيام وياً كل ويتقضى وقت فراغه فى الحظيرة التى اقيمت لحماية الماشية فى الوقت المطير ولتكون بنفس الدور الذى تقوم به دروة الرياح فى فصل الجفاف أى لتكون منتدى ويمكن انجمع الرجال وهكذا ترتبط الكواخ بالحدائق بينما تتصل الحظائر بالماشية ومن ثم فالقسيم الإقتصادى لعمل المرأة فى الزراعة والرجل مع الماشية كل فى قطاعه المنفصل ، وهذا لايعنى أن مركز المرأة فى مجتمع النوير أقل من الرجل إذ تقوم بجزء من النشاط فى الحياة اليومية للمجتمع فنختلط بحرية بين الرجال وتساهم برأيها بحرية بين الآراء .

ولا تقتصر خبرات التوير على عائلته فحسب فكل السكان الذين يتجاورون مسكنه يساهموا في تنشأة الطفل كما أن أى امرأة مريض في أى مكان في القرية يمكن ارضاعه . ويقع على الام وأقاربها الاناث ولا سيما كبار السن منهم مسؤولية توجيئة الاطفال . أما أباء التوير فيدللون أطفالهم ويقضون اوقات طويلة معهم في اللعب ولكن لا يعاقبهم ابدا .

والطفل الاول ولا سيما إذا كان صبييا يعامل معاملة خاصة ، فكما سبق ان ذكرنا يولد الطفل في منزل أسرة والدته وانه يأخذ إلى مستقر ابيه بعد فطامة وإذا ما كانت جدته لاه على قيد الحياة فربما يترك تحت رعايتها ولا يذهب إلى قرية ابيه طوال فترة تربية أن إذ لم يكن له جده فإنه يبقى مع ابوية حتى السادسة أو السابعة من عمرة ثم يذهب بعد ذلك إلى منزل عائلة أمه ليعيش مع اخواله حتى السن الذى يقوم به باعمال الرجال ليعود ثانية إلى منزل أبيه .

وأهم حدث في حياة الصبي التويرى وذلك قبل زواجه هو وضعه في نظام الاعمار . هذا الحدث كما هو الحال في معظم الجماعات البدائية يتضمن مجموعة من الشعائر الممقدة والنعذيب المضنى الذى ينزله من مرحلة الطفولة إلى المرحلة النى يتطلع فيها بمسؤوليات الرجال . فيوضع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٤ و ١٦ سنة سويا والموجودين في القرية في هذه الشعائر حيث يوجهوا توجيها جماعيا .

واربز مظاهر النعذيب النى تصحب وصول مرحلة الرجولة هو احداث ستة قطوع في الوجه تمتد من الاذن إلى الاذن الاخرى ، وبعد هذه العملية يوضع الصبية فى معزل خاص تمارس فيه مختلف المحرمات . ولا يحضر هذه الطقوس والشعائر والاحتفالات سوى الاباء ورفاقهم من نفس العمر وافتتاح واختتام

فترة التنصيب تذاع على جميع القبيلة ونبدا باعلان خاص من متخصص يطلق

عليه رجل القطيع Man the of Cattle

ويحاول الصبية الذين التحقوا بفترة التنصيب أن يشتركوا في أى غارة وذلك من أجل إبراز رجولتهم وشجاعتهم غير أن نظام الاعمار ليس فى الواقع نظام حربي كما هو الحال بين بعض المجتمعات الرعوية الأفريقية الأخرى أو نظام متصل بأنشطة معينة . حتى شعائر التنصيب ذاتها لا تتضمن أى تدريبات أو تعليمات خلقية إذ لا معنى لها سوى تقسيم المجتمع إلى مجموعات تنظم بينها العلاقات السلوكية بين الرجال بعضهم وبعض وذلك فى إطار مصطلحات التقارب العمرى . ولا يمثل عمر التنصيب للشباب أهمية بالنسبة للأعمال المنزلية المحلية إذ يعطى الأب أو الخال الولد فى هذه الفترة أول رمح يحوله إلى وضع محارب كما أول ثور . وفى هذا الوقت يأخذ اسم ثوره أى ينادى بالاسم الذى ينادى به لثور الخاص به . ومنذ تلك اللحظة ولما أن يتزوج يصبح رجل بمعنى الكلمة إذ يحاول جهد استطاعته ليبرهن على مقدرته على أن يكون رب أسرة وعلى مقدرته على الرقص وعلى الحب وذلك من أجل طلب الزوجة .

ويحرص النوير على إظهار الخضوع الحقيقى لكبار السن ولكن فيما عدا هذا النوع من الطبقة الإجتماعية فلا يوجد أى نظام للسيادة أو الخضوع فالمجتمع يتسم كما سبق أن ذكرنا بالتساوى . والنوير كرماء فيما بينهم ولكن يقابل أى طلب على صورة أمر بغضب شديد . ولا يشير وجود النوير بينهم أى خوف أو حب استطلاع إذ يعتبر النوير انهم سياد الأرض .

ولم يتمكن النوير من تطوير أى نوع خاص من الفنون فيما عدا الفناء الشعري وهم يشاركون فى ذلك لأسباب متعددة غيرهم من الشعوب الرعوية فى

العالم ، فحين يشمر الطفل النوير بالسعادة يغنى ، ويفعل نفس الشيء أيضاً حينما يرفعى الماشية أو يخطب فتاة وبعض الأغاني تقليدية غير أن بعضها ينظمها ويرتلها المغنى فى الحال . وبعض الأغاني تكون جماعية وبعضها فردية إلا أن محورها جميعا يدور حول رعى الماشية .

ويوجد لدى النوير خوف شديد من أشباح الموتى . فبعد الموت بوقت قصير تدفن الجثة فى قبور عمقها حوالى أربعة أقدام بعد أن تلف بجلود الأبقار ولا يوضع معها أى ممتلكات شخصية أخرى . ويبدأ الأقارب وأصدقاء العمر فى ترك شعورهم تنمو ويخلعون الزينة والحلى من على أجسامهم . وأهم احتفال يحدث فى نهاية فترة الحزن وذلك بعد مرور ستة شهور على وفاة الرجل أو ثلاثة شهور على وفاة المرأة ، حيث تذبح الثيران لأقامة وليمة ويرش اللبن فى الشعائر . وبعد الوليمة يخلق المعزبون والأقارب رؤوسهم ويردون حلبيهم المعتادة . والغرض الأساسى من الحفل هو مباركة الروح الصاعدة وذلك لكى لا تقوم بأى محاولة لأخذ زوجة المتوفى أو زوج المنوفية والأولاد والنطيع .

وإذا ما قضى المرء نحبته فجأة بدون مرض سابق فيمتد القد النوير أن إله السماء Sky God قد أخذ الروح ورفعها إلى السماء . وفى هذه الحالة لا تحدد فترة للحزن إذ أن الروح لن تعود إلى الأرض فى هذه الفترة ومن ثم تنجر الماشية فى الحال بعد دفن الجثة . ولا يظهر النوير تأثر شديد أو حزن على الميت وذلك لأنه رغبة إله السماء إذ ما اختار شخص وأن إبداء أى عاطفة يعتبر اعتراض على فعل الإله .

ويوجد عديد من إله السماء أو الأرواح والتي أقوها ذلك المعروف باسم الدنج Deng والذي يرتبط بالمرض . وهباك أرواح أخرى ينظر إليها على أنها

إله الحرب والصيد والرعد والبرق . وعلم جرا . كذلك توجد أرواح للأرض ينتمى عديد منها إلى أنواع مختلفة من الطيور والحيوانات والتي تؤدي وظيفة الطواطم للإصابة وتعتبر الطيور طواطم مقدسة على وجه الخصوص لدى النوير وهذا يوضح السبب وراء عدم تناول النوير في طعامهم لحوم وبيض الطيور .

ويوجد في مجتمع النوير بعض الرجال الذين يدعون قوة خاصة في التطبيب بسبب سيطرتهم على أحد الأرواح الطوطمية . ويعرف في هذا الصدد عدد من المطبيين المتخصصين فهناك المتخصص في الكهنوت والعرافة والآخر في شفاء صداع الرأس أو الإمساك . ويرتبط الكهنوت بقراءة الآغاني بينما تتضمن عملية الشفاء الطرق العالمية في النندليك واستخراج أو جذب الأشياء الغريبة من الجزء المصاب في المريض وقد اكتسب بعض الشامانية تأثير قوى على النوير فأطلقوا عليهم اسم الأنبياء وذلك لإعتقادهم أنهم يتلكون أرواح أقوى تساعدهم أكثر من الكهنة العاديين . ويمارس بعض هؤلاء وظيفة صانع المطر والمسئول عن الاحتفالات التي تقام ويضحوا فيها بالماشية من أجل روح الرعد . وصانع المطر وظيفة هامة بين جماعات الدنكا والشلوك المجاورة لجماعات النوير غير أن هذه الوظيفة أقل أهمية لدى النوير .

ويقوم النوير في بعض الأحيان بأهرامات مختلفة الأحجام وذلك تكريما لروح إله معين ، وقد يصل ارتفاع هذه الأهرامات إلى ٥٠ قدما ويحيطها إلى ٣٠٠ قدم . وتبنى الأهرام من طوب اللبن والرمد ويحاط بأنيساب الفيلة . وربما وصلت إليهم فكرة إقامة الأهرام عن طريق مصر الفرعونية ولكن أهرامات النوير على النقيض من الأهرامات المصرية لم تستخدم كقابر ولم يحنّد في بنائها العمال ، ويسود بين النوير فكرة العين الحسود evil eye ، أو الشخص الذي لديه

قوة خارقة تسبب الحسائر لاي شخص ينظر اليه . ويرتبط بذلك أيضاً عمل السحر ولا سيما هؤلاء الذين يمارسون بعض شعائرهم على جثة الميت الحديث وذلك من أجل السيطرة على أرواح الاقارب الذين على قيد الحياة . وكما هو سائد في المجتمعات الإنسانية فإن الأشخاص غير المحبين أو الذين يقومون بأعمال تثير الخوف في النفوس وترتبط بالسحر يذكر النوير أنهم كانوا يقتلوا فيما مضى . ولدى النوير عدد من المعتقدات والاساطير الخاصة بنشاطهم كبشر ويبدأ عاداتهم . فهناك اتفاق عام بينهم على أنهم انحدروا من السماء ونزلوا إلى شجرة كبيرة جداً ومنها إلى الأرض ليصبحوا بشرا . والاجداد الأوائل كانوا أخوة غير أن « البطل الحضارى Culture hero » المعروف باسم « جا Gaa » قسمهم إلى قسمين وأمرهم أن يتزوجوا فيما بينهم وحرم عليهم الزواج من نفس المجموعة . ومع مرور الزمن وازدياد الأعداد تفرع النسين إلى عدة فروع لتكون المجموعات المتقاربة عشائر .

والتوقيت الزمني لدى النوير محدد بمدى قصير جداً بمعنى أنهم مثل معظم القبائل البدائية لا يعرفون الوقت Timeless people . فينظر إلى السنة على كونها مجرد مصطلحات بسلسلة من الاحداث نشأت من فصلين متميزين . وقد تستخدم الاقارم والتي تحدد بالدورة القمرية شهرياً في بعض الاحيان لمعرفة الوقت وعدد الايام وأي جزء من اليوم . ولكن يعرف الوقت أساساً لدى النوير بالإشارة إلى الانشطة فليس لدى النوير مصطلح معنى كلمة وقت كما هو معروف في العالم المتحضر حيث لا يوجد لديهم مفهوم مجرد لهذه الكلمة بمعنى الإضاعة أو التحرر أو الإختصار . فالانشطة لا توجه عبر الزمن لذا أن التحكم في أداة الانشطة يعود للانشطة ذاتها التي تمارس على كونها أنشطة الترفية أو للحياة المعيشية .

أما فيما يختص بتسجيل الاحداث الماضية فيبدو أن النوير لم يبذلوا أى محاولة لحساب السنوات أو لتذكر أى فعل حدث قبل أو بعد وقت حدوث الحدث ذاته وربما كان نظام السن age-set هو العلامة الوحيدة للتذكيرة فيقال أن الشيء قد حدث قبل بداية مرحلة عمرية معينة أو قد يقول الشخص أن هذا الحدث قد وقع قبل وصوله إلى مرحلة التنصيب بثلاثة أنظمة قبله . ولهذا فإن تاريخ النوير قد يمتد لاكثر من قرن من الزمان . فتذكر الاحداث مثل حدوث المجاعات أو الحروب في الازمنة القديمة كما تظهر في تقاليدهم تبدو جميعا في نظرهم وأنها حدثت قريب . وربما خير دليل على ضحالة النظرة الزمنية لدى النوير اعتقادهم بأن الشجرة النى انحدوا منها ما زالت قائمة حتى الآن .

ولم يتمخض اتصال النوير بالعالم الخارجى عن تغير أساسى في حضارتهم وربما التغير الجندرى الذى طرأ على حياتهم كان من جراء القضاء على عشر قطعان الماشية في خلال القرن الحالى نتيجة لطاعون الماشية الذى انتشر بين الحيوانات بما فيها الاغنام والماعز فى الماضى كانت ثروة العرس تتراوح ما بين ٦٠ و٤٠ رأسا من الماشية أما اليوم فيقدم للعروس نصف هذا العدد أو أقل . وقد دفع نقص الماشية النوير إلى زراعة الذرة بدرجة أوسع من زراعة من قبل وذلك لكي يعرضوا النقص والحسماره فى مورد معيشتهم . وربما أدى التوسع فى زراعة هذا المحصول إلى زيادة ارتباط النوير بقراهم أكثر والإفلاق من ترحالهم عن ذى قبل . وتضام قطعان الماشية لدى النوير ربما يفسر على الأقل سلوكهم العدائى فقد تعرض رعاة الدنكا، لغارات عديدة شنّها جيرانهم النوير عليهم بينما قبائل أخرى مثل قبائل الشلوك لم تتعرض لغزوهم وحجة النوير فى ذلك هى أنهم لا يغيرون على قبائل لا تمتلك قطعاناً وان الشلوك لو كان لديهم ماشية لشنوا الغارات عليهم للاستيلاء على ما يملكون .

وعما هو جدير بالذكر أن العرب تجار الرقيق والعاج الذين اخضعوا فيما مضى معظم القبائل السودانية كان تأثيرهم ضعيفا على النوير . فالحكومة المصرية وكذلك حكومة المهدي التي حاولت ان تحكم السودان في الفترة ما بين عام ١٨٢١ ونهاية القرن الماضي لم تتمكن من بسط سيطرتها على النوير وكذلك كان الحال بالنسبة لاي سلطة إلى ان تمكن الحكم المصري السودانى من تأسيس نظام ادارى فى ارض النوير فى عام ١٩٢٨ وكان هدف هذا النظام الادارى عدم التدخل فى حياة النوير اليومية ومحاولة الاقلال من غزواتهم على جيرانهم .

ونظرا لان منطقة النوير فقيرة فى مواردما فلم تكن مطمعا للرجل الابيض ولذا لم يطرد النوير من اراضيهم كذلك لم يبدى النوير من ناحية أخرى أى ميلا للتطور التكنولوجى والحضارى الحديث إذ ظلوا معتمدين على قطعان ماشيتهم مكثفين بطريقة حياتهم البسيطة التى تسمح له بالاكتفاء الذاتى وعدم الاتصال بالاوربي .

والخلاصة أن جماعات النوير تكون مع الدنكا والشلوك المجموعة الشمالية من الجماعات النيلية التى تقطن المنطقة الممتدة من جنوب الخرطوم حول النيل الابيض وفى مديرية بحر الغزال والمديرية الاستوائية حتى بحيرة كيوجا . ويسكن النوير منطقة المستنقعات من الحوض الأدنى لبحر الجبل والزاراف حيث تمتد منطقةهم إلى بحيرة نو وينتشرون شرقا حتى نهر السوبات وتقدر مساحة اراضيهم بحوالى ٢٦ ألف ميل^٢ . وينقسم النوير إلى مجموعتين احدهما تعيش غربى بحر الجبل والاخرى فى شرقه .

ويطلق على المجموعة الاخيرة اسم نوير الاحراش Bush Nuer ويعتمد

النوير في حياتهم على المطر في فصل سقوطه ولكنهم يضطرون لحفر الابار في فصل الجفاف وخاصة في الاودية النهرية الصغيرة الجافة ويزرعون الذرة الرفيعة والشامية الى جانب رعي الماشية وصيد الاسماك والحيوانات وفرس النهر ويمتاز النوير بالرأس الطويله والقامة الطويلة جدا اذ يصل طول القامة بينهم الى ١٨٥ سم وطول القامة مصحوب دائما بطول الساقين وضمورهما بصفه خاصه ويظهرون دائما في وقفتهم التقليديه على رجل واحدة مرتكزين على حربه

تاهیتی بولینزیا

The Tahitians of Polynesia

تاهيتى بولينزيا

تشير السينما دائماً وقصص البحار الجنوبية South seas الرومانية إلى مجموعة جزر المحيط الهادى المعروفة باسم بولينزيا ولتى تنتشر فوق مساحة هائلة من مياه المحيط فى منطقة على هيئة مثلث فى وسط جزيرة تاهيتى وفى قته جزر هاواى وفى وسط الضلع الغربى جزيرتى ساموا وتونجا بينما فى ركنه الغربى جزيرة نيوزيلندا وفى الركن الشرقى جزيرة استر . ويبلغ طول كل ضلع من هذا المثلث حوالى ٤٠٠٠ ميل فالمسافة كبيرة بين الجزر والانتقال من واحدة إلى أخرى يتطلب ملاحا ماهرا الأمر الذى كان سببا فى أن تعمير هذه الجزر جاء فى فترة متأخرة نسبيا .

وقد ظلت جزر بولينزيا منذ الفترة التى وطئت فيها اقدام الملاحين المكتشفين أرض تلك البلاد فى القرن السابع والثامن عشر الميلادى وحتى الوقت الحاضر جزر الجمال والمناخ الأمثل وموطن لشعوب مبتسمة . وجزيرة تاهيتى إحدى جزر سوسيتى التى تقع فى وسط مجموعة الجزر البولينزية كانت من أجمل جزر المحيط الهادى كما كان سكانها على درجة كبيرة من الكرم علاوة على أن نساءها قد سحرن بجمالهن بحارة السفينة بونتى Bounty الشهيرة والتى كان يقودها كابتن Bligh والذين أعلنوا الثورة على الباخرة رغبة فى البقاء وعدم الاستمرار فى الرحلة . كذلك تشتهر تاهيتى بأنها ملجأ الرسام الفرنسى الشهير بول جاوجوين Poul Gauguin وعدد آخر من اللاجئين الذى وفدوا فى أعقابها .

وتنتشر جزر بولينزيا كما سبق الذكر فوق مساحة ضخمة من المحيط الهادى فالمسافة بين جزر هاواى التى تقع فى قمة المثلث إلى نيوزيلندا فى الجنوب تصل إلى حوالى ٥٠٠٠ ميل ، كما أن أكبر مسافة بين الشرق والغرب تصل إلى ٣٠٠٠ ميل

وتتمثل بمجموعات الجزر الكبرى في جزر هاواي ، واليسى Ellice و سالمون وتونجا وكوك Cook وسوسيتى Society وتواموتان Tuamotan وماركيز ونيوزيلندا .

وأهم الجزر المنعزلة جزيرتي إيستر Easter ونيي Niue ذلك بالإضافة إلى وجود عدد كبير من الجزر الصغيرة . وفيما عدا جزيرة نيوزيلندا التي تشغل مساحة أكبر من مساحة الجزر الأخرى والتي تقع في منطقة مناخية أكثر اعتدالا لا تختلف مجموعات الجزر الكبرى الأخرى في ظروفها الجغرافية كثيراً عن بعضها وإن كان يوجد اختلافات واضحة داخل بعض المجموعات .

والاختلاف الكبير بين الجزر هو ذلك الاختلاف بين الجزر الكبيرة المرتفعة ، high Islands ، ذات الأصل البركاني والجزر المنخفضة Low islands والتي تتكون من شعاب مرجانية صغيرة . وقد تشمل عديد من مجموعات الجزر الكبرى النوعين معا . على أى حال ففي الجزر المرتفعة كان يقطن معظم السكان البولينيزيين أصحاب الحضارة البولينيزية الكلاسيكية التي انقرضت . أما الجزر المنخفضة فقد عمرت من جماعات قدمت من الجزر المرتفعة غير أنه لتكون هذه الجزر صغيرة ومواردها أقل وأكثر تحديدا لذا فقد سكانها عديداً من المظاهر المادية لحضارة الجزر المرتفعة .

وتتميز الجزر المرتفعة بانها وعرة تغطيها بقايا المخاريط البركانية ولا يوجد بها إلا التندل اليسير من الأراضي المستوية في داخلها غير أنه في بعض الجزر مثل جزيرة تاهيتي يوجد سهول ساحلية منبسطة ونهر خليجي عريض . والأراضي الصالحة للزراعة غنية جداً إذ أن التربة هي حصيلة العوامل الجوية في التربة البركانية كما انها مغطاة بنبات مدارية كثيفة والأمطار غزيرة على الجزر المرتفعة كما أنها أكثر من تلك التي تسقط على الجزر

المرجانية وذلك لأن الانتم للداخلية مرتفعة في العادة وتستطيع أن تدفع الرياح المحملة بالأمطار إلى أعلى إلى العروض الباردة حيث تنسحب سقوط أمطار على اليابس أكثر من على البحر . ويستطيع المسافرون أن يتبينوا الجور المرتفعة من على بعد برؤيتهم السحب الكثيفة التي توجد فوقها . ومناخ معظم الجزر البولينية مدارى غير أن درجة الحرارة ليست مرتفعة على وجه الخصوص إذ يصل متوسطها في جزيرة تاهيتى إلى ٧٧°ف كما يتراوح المدى السنوى بين ٦٩° و ٨٤°ف .

ويوصف سكان بولينزيا دائماً على أنهم محصلة اختلاط ثلاث مجموعات جنسية وهى القوقازية والمغولية والزنجية ، ومما كان الخليط فسكان بولينزيا متجانسين في صفاتهم الجنسية . وبصفة عامة فلونهم بنى فاتح ، طوال القامة بدون لحية ، وشعر بنى مموج وعيون بنية وملامح الوجه توحى بارتباطهم بمسالة البحر المتوسط . ولغة البولينيزيين متجانسة أيضاً على امتداد الجزر المتناثرة في المثلث بحيث نجد اتفاق بين كل من التجانس الجنى واللغوى عبر المنطقة . وقد دفع هذا الارتباط اللغوى والجنسى الذى يسود فى بولينزيا بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن انتشارهم الجغرافى والواسع فوق عدد كبير من الجزر يرجع إلى فترة حديثة نسبياً .

وتكون فترة ما قبل التاريخ للبولينيزيين مشكلة مشيرة إذ أن هناك كثيراً من الفروض التى تشير إلى أصولهم والنسب من بينها أن البولينيزيين انحدروا من قاره غير موجوده حالياً . وقد انترح ثور هيوهال Thor heyerdahl أن البولينيزيين وفدوا من العالم الجديد حيث يعتمد فى ذلك على رحلة طواف Raft voyage من بيرو إلى جزر كواموتو وهى اشارته إلى امكانية اتصال

الهنود الأمريكين بتلك الجزر . غير أن هذا الغرض لم يجد استجابة لدى
الانثروبولوجين الطبيعيين الذين درسوا البولينيزيين حيث لم يوجد في التركيب
الجنسى للسكان أى اصول تعود إلى العالم الجديد أو أى اتصال حضارى هام . جاء
من هذا الاتجاه .

وهناك ادلة عديدة ومختلفة الأنواع تربط البولينيزيين وحضارتهم بالقارة
الاسيوية ولا سيما الجزء الجنوبي الشرقى منها . فالخليط الجنسى للبولينيزيين يمكن
ارجاعه إلى وجود مجموعات سلالية مختلفة في جنوب شرق آسيا . وأكثر من
ذلك فإن الارتباط اللغوى بين البولينيزيين والملايويون أمر واضح إذ ينتمى
المجموعتان إلى العائلة اللغوية الملاوية البولينيزية . وخلاصة كل هذه الأدلة توضح
أن الجزء الاعظم من حضارة البولينيزيين لها أصولها ومثيلها في أندونيسيا .
ويعتقد بعض الباحثين أنه حتى لو أمكن تتبع موجات هجرات البولينيزيين
وطرقها إلا أن ذلك لا بد أن يعتمد على علم الاجناس والاساطير الخاصة
بالبولينيزيين أنفسهم ولكن بالتأكيد يتفق معظم الانثروبولوجيين الان على
النتائج التالية :

أن استقرار البولينيزيين في جزر بولينزيا قد تم في فترة حديثة لا تزيد عن
٢٠٠٠ سنة مضت وربما أقل من ذلك ، وان البولينيزيين قد قدموا من بعض
أجزاء اندونيسيا ، ذلك بالإضافة إلى أن جزر سوسيتى كانت من أوائل المناطق
التي عمرت في وسط وشرق بولينزيا حيث برزت هناك صفات أنماط الحضارة
البولينيزية وتفاعلات من الاسس الحضارية الاندونيسية . كذلك انتشر من وسط
بولينزيا السكان إلى الخارج من جزيره الى أخرى إلى أن عمروا النقاط البعيدة
في هاواي وجزر ماركيز واستر ونيوزيلندا .

ومعظم الجزر التي توجد ضمن مجموعة جزر سوسيتي في وسط بولينزيا هي جزر مرتفعة على الرغم من أنه يوجد بعض الجزيرات المرجانية الصغيرة وتبلغ مساحة الأرض الكلية حوالي ٦٠٠ ميل^٢، وجزيرة تاهيتي التي تعتبر أكبر الجزر يبلغ طولها حوالي ٣٥ ميلا وعرضها في أكثر جهاتها اتساعا حوالي ١٧ر٥ ميلا . ويصل ارتفاع قمتها البركانية إلى حوالي ٧٠٠ قدم ، والجزيرة مغطاه بمحشاش كثيفة وأشجار ، ومعظم خط الساحل محي بشعاب مرجانية داخلية تعطي لاجونا هادئا جميلا . ويتركز معظم السكان في المناطق الساحلية المستوية وكذلك على بعد مسافات قصيرة من مصبات الاودية النهرية . وقد بلغ عدد سكان جزر تاهيتي في وقت اكتشاف الاوربيين لها حوالي ١٠٠ ألف نسمة .

أما عن الحياة النباتية والحيوانية في كل الجزر البولينزية فيما عدا نيوزيلندا فهي ضئيلة في أنواعها واستغلالها حيث أن الحضارة الأصلية له تستطيع أن تطور بعيداً . فلا يوجد نباتات برية صالحة للأكل وباستثناء حيوان البند *Pandanus* وبعض الطيور القليلة لا يوجد حيوانات للصيد . ويعتبر البحر هو المصدر الطبيعي الغني للطعام . على الرغم من أن الاطعمة الأساسية للبولينزين تجلب لهم من أندونيسيا كجوز الهند والبطاطا واليام والتارو *Taro* والموز وقصب السكر ذلك إلى جانب حيوانيين مستأنسين وهما الخنزير والدواجن .

وفي كل بقاع بولينزيا فيما عدا نيوزيلندا يعتبر طعام البحر هو أكثر الموارد الطبيعية استغلالا . فطرق صيد الاسماك متطورة وعلى درجة كبير من التنوع فهناك أشكال متعددة ومختلفة من الشباك والسناير والفخوخ الى بجانب سموم الاسماك وانواع أخرى من الخطاف .

والبولينزيون رجالا كانوا أو نساء أمهرة جدا في السباحة فتغطس النساء

لصيد الكابوريا والاسماك الصدفية والامساك بالاخطبوط عن طريق لفة حول عصى لسكى تتمكن من سحبه خارج الماء . أما الرجال والصبية فيقضون وقتنا طويلا فى الغوص الى أعماق بعيدة للحصول على قواقع اللؤلؤ واللحوم التى تستخدم كطعام والاصناف التى تصنع منها أدوات عديدة وحلى .

ويعتبر نخيل جوز الهند من أهم النباتات المستأنسة فالحجم بجوز الهند الناضج غذاء مفيد ذلك بالإضافة الى زيتته الذى يستخدمه الإلهالى فى طهى الطعام وفى حماية جلدهم من حرارة الشمس ومياه البحر . كما أن سائل أو لبن جوز الهند الصغيرة يمد مشروبا منعشا ولذيذاً . وتستخدم أوراق النخيل كقش والنسيج للدوبار وصناعة الحصر والسلاك .

وينمو نخيل جوز الهند بصورة جيدة حتى فى مناطق التربة الفقيرة ولا يحتاج لعناية كبيرة فى خلال السنوات القليلة الاولى لنموه أى قبل بناء اسوار حوله لحمايته من الخنازير .

والى جانب جوز الهند تعتبر ثمرة الخبز Bread fruit أهم غذاء فردى فى تاهيتى إذ تبدأ هذه الشجرة فى حمل ثمارها الكبيرة الدائرية فى عالمها الخامس وقد تستمر تعطى محصولها لمدة تزيد على أربعين أو خمسين عاما دون حاجة لعناية كبيرة . وثمار هذه الشجرة وفيرة ومغذية ولكن ربما ترجع قيمتها الكبيرة الى كونها تخزن وذلك على النقيض من المواد الغذائية الأخرى لدى البولينيزين . وفى الواقع يمكن لثمره الخبز تحت النظام الذى يتبعه البولينيزين فى التخزين أن تحافظ على طبيعتها حيث يعتمد البولينيزين الى حفظ الثمار الكبيرة ذات النكهة الجيدة . ففي قة موسم نضج المحصول تشرح أكوام كبيرة من الثمار أو تخبز فى أفران حجرية كبيرة وبعد ذلك توضع فى حفر كبيرة مبطنه بأوراق الاشجار ثم تغطى

وشجرة ثمرة الخبز تمد الاهالى باخشاب تصالح لصناعة المراكب والمنازل .
والناهيثيون فلاحون مهرة يستغلون الاراضى الخصبة القليلة الصالحة للزراعة
أقصى استغلال عن طريق زراعتها كحداائق بعد تحويل جوانب التلال إلى
مدرجات ، وحفر القنوات اللازمة للرى والزراعة وتخصيب التربة بالطرق المختلفة
المرتبطة بزيادة نسبة العناصر الغذائية بها . وترتبط النباتات المزروعة بزراعة
الحاصيل الجذرية كالثارو واليام والبطاطس ذلك بالإضافة إلى الموز وأذان الجدى
Plantain وقصب السكر والقـرع . وتعتبر العصى المعقوفة أهم الادوات
المستخدمة فى الزراعة .

وأهم مصدر بورتينى إلى جانب طعام البحر البورك والخنـاذير التى تربي
بمناية وقد تأكل الدواجن ولكن لا يستخدم بيضها كذلك تربي الكلاب
كحيوانات أليفه ولكن تستخدم أيضا كطعام .

وتزرع أنواعا عدة من أشجار الفلفل على طول الجارى المائية وذلك من
أجل جذورها التى تستخدم فى صناعة الكافا Kava وهى مشروب مسكر لها
مذاق المياه بالصابون . وتمضغ الفتيات الصغيرات الجذور ثم توضع بعد ذلك فى
أوعية كبيرة يضاف إليها المياه ثم يصنى الخليط بعد ذلك . ليعطى العصير مادة
قلوية يستمد منها المشروب تأثيره .

ومن الاشجار النافعة الاخرى الموجودة فى تاهيتى شجرة أوراق التوت التى
تزرع من أجل لحائها الداخلى الذى يستخدم فى صناعة ملابس اللحاء الشهيرة
باسم تابا Tapa حيث توضع قطع مختلطة من اللحاء مع بعضها وتضرب سوياً
بمضرب لتشكل مادة تشبه الورق الخفيف ولكنها قوية جداً على الرغم من عدم
مقاومتها للماء . ويقوم كل البوانزين بتزينها عن طريق طلائها أو صبغها . ولا يوجد

في تاهيتى أى خيوط يصلح لعمل المنسوجات غير أن الحصير يصنع من وبر البنده
الخشن ومن خيوط أو نسيج جوز الهند. كذلك تصنع بعض معاطف الاحتفالات
من الريش .

والتكنولوجيا في جزر تاهيتى معقدة على الرغم من ان الموارد محدودة فلا
يوجد بها أى معادن ومن ثم فجميع الادوات تصنع من الاصداف والاحجار
أو الخشب حيث لا يوجد أيضا صلصال لصناعة الفخار .

وتوجد أنواع متخصصة عديدة من الأدوات الخشبية . فتوجد الفؤوس ذات
المقابض على أنواع وأحجام متعددة ، كما أن مخراز النفخ يعد من مآثر البولينيزين
أذ يتكون من اسطوانه مدببة مستقيمة مع نقطة غرز من الحجر أو العظام ، ومع
تشغيل الاسطوانة خلال لوحة افقية من الخشب الثقيل أو الحجارة التى تمثل عجلة
متحركة وفى أعلى الاسطوانة تربط بالدبارة عن طريق اللف حولها وشبكها بأحد
أطراف عمود خشبي مقيد . وعند جذب العمود الخشبي إلى أسفل تدفع حبال
الدوبار العمود الاسطوانى للعمل ومن ثم العجلة المتحركة على دوران العمود

أما القوارب والكانو فأفضل ما يصنعه النجارون هناك حيث تحضر السكنله
الخشبية ويصنع منها كانو مزود بشراع ومجداف ويستخدم فى الرحلات المحلية
وقد تصنع مراكب أكبر عن طريق وضع سطح فوق كانونيين أو مركبين
صغيرين . ويتخصص فى صناعة الكانو طبقة خاصة من العمال الذين يرتلون كثيرا
الصلوات والادعية أثناء عملهم . وتتمتع هذه الطبقة بمركز مرموق حيث ينطون
تحت نقابة تلحق بالكنيسة .

ولا يوجد لدى البولينيزين أدوات ملاحية ميكانيكية إنما اعتمادهم الوحيد
يتوقف على معرفتهم للفلك والجغرافيا . فهم يعرفون كل الإجمام ومواضع

النجوم ومن ثم توصلوا إلى نتيجة ان الارض كروية وذلك قبل وصول
الاوربيين اليهم .

وتشيد المنازل يشبه بناء القوارب يعتبر مهنة خاصة في جزر سوسيتى فنازل
القادة والرؤساء يبنينها اعمال محترفين لذا قد تبدو كبيرة ومزينة. ويبلغ طول المنزل
في تاهيتى حوالى ٣٨٧ قدما . ومعظم سكان تاهيتى يبنون منازلهم التى تتسم بأنها
صغيرة ومربعة وغير مميزة نسبيا . ويبنى المنزل التقليدى فوق اعمدة ركنية
يربط بينها عوارض خشبية وتسقف . ويصنع جوانبها وحدائقها من القش المختلط
بوبر البندى واوراق جوز الهند أما الابواب فتغلق بواسطة بوص البابو .
وقد تستخدم حصير جوز الهند او اقشعة التابا فى تبطين منزل الرئيس من الداخل
وقد يهد حول المنزل مساحة من الأرض تبعد عن المنزل بحوالى عدة ياردات
وقد تغطى بالحصى او الشعاب المرجانية .

وأثاث المنزل ضئيل وهزيل وذلك لأن معظم الحياة المنزلية مثل الطهى
تأخذ مكانها خارج المنزل أو فى مكان الطهى . وفى العادة يجلس رب الأسرة على
كرسى غير أن السكان يجلسون بصفة عامة القرفصاء على الأرض . أما الملابس
فتعلق على الاشجار فى حين يفرش الحصير فى المساء ليحل محل الأسرة كما أن
الوسائد عبارة عن كتلة خشبية مقعرة . وعلى الرغم من عدم الراحة كما يبدو فى
النظام إلا أن البولينيزين يشتهروا بنومهم العميق فقد لاحظ بعض رجال
الاراساليات أن هناك رجال ينامون مايقرب من ١٥ و ١٦ ساعة دون استيقاظ .

ويتم الطهى فى العادة فى فرن ترابى مبطن وهى عبارة عن حفرة مبطنه من
الحجارة تحرق فيها النيران قبل أن يوضع بها الطعام ويغطى بالاوراق وبالتراب
والطريقة الاخرى الهامة فى الطهى هى ما تعرف باسم غلى الحجر Stone poiling

حيث تلقى الاحجار المحمية فى سلال غير قابلة لنهاذ المياه أو أوعية خشبية لغلى المياه . وهذه الطريقة شائعة فى جميع أنحاء العالم حيث لا يوجد فخار أو أى أوعية أخرى تتحمل النار . وتأكل الاسماك والاصداف نيئة فى العادة ولكن تطهى اللحوم والخضروات . وتعمل الخضروات فى العادة كمجينة ثم تخلط بلبن جوز الهند أو الزيت . وطعام الرجال يعده الرجال بأنفسهم أما النساء فتطهى طعامهن وطعام الاطفال حيث يتناولوا الطعام بمفردهم .

وفى العادة يتناول البولنيزيون وجبتين يوميا ، الاولى وجبة خفيفة وتأكل فى الصباح ويستطيع الفرد أن يتناولها فى أى مكان وفى أى وقت أما الثانية وهى الوجبة الغذائية فيتناولها دائما فى المساء . والبولنيزيون أناس أكرون لاذ أن الولايات التى يقيمها فى احتفالاتهم قد أدهشت الإوربيين . ويقدم الطعام على أطباق من الورق أو فى أوعية خشبية محفورة أو على اصداف جوز الهند حيث يتناولون طعامهم بأيديهم .

وليس لدى سكان جوز تاهيتى إلا قليل من الملابس فيرتدى الرجال ما يسمى باسم ملابس الأسد Loin cloth بينما ترتدى النساء دكلوت Kilt ، أو جنله كلاهما مصنوع من اقشة التابا . اما معاطف الريش فتلبس فقط فى المناسبات الخاصة . وفن تزيين الجسد فن راقى فى جزر تاهيتى . فالوشم Tattooing ظاهرة عامة فى بولينزيا وان كانت طريقتها تختلف من مكان لآخر هناك . (شكل ١٣) .

ففى جزر سوسيني يشم الرجال انفسهم بغزارة احيانا فوق كل الجسم فيما عدا الوجه بينما لا تشم النساء فى العادة إلا ايديهم واقدامهن . ويتم الوشم عن طريق غرس الكربون فى الجلد بواسطة اداه حادة من العظام . وتختلف تسريحة الشعر اختلافا كبيرا فى بولينزيا ولكن فى كل مكان فهى مظهر هام لزيينة الشخص .



شكل (١٣) فتاة من بولنيزيا

ففي جزر سوسيتى تالف النساء شرورهن بطريقة بسيطة ولكن الرجال يصنعون شعورهم الطويلة على هيئة كعك Bunrs او ذيل الخنزير ، او حلق جزءا من الشعر وعمل الباقي تسريحات مختلفة ومعقدة . وفى بعض المناسبات فى حالة الحرب مثلا - يرتدى الرجال باروكات طويلة مزينة بريش مصبوغ . ويلبس كل الرجال والنساء تقريبا وبصفة دائمة عقود من الزهور حول اعناقهم كما يضعوا زهور منفردة فى شعرهم وفوق احد آذانهم . ويرتدوا ايضا عقود مصنوعة من الاصداف والاسنان ذلك بالاضافة الى الريش . ويقضى كل من الرجال ونساء وقتا طويلا فى الاستحمام والتعطير وتزين الشعر .

ويعطى التاهيتيون اهتماما كبيرا لتجميل مناطقهم السكنية فداخل المنزل والمناطق المحيطة به تنظف بصفة مستمرة عن طريق الكس كما تمهد الممرات المؤدية اليه وتبعد عنها المخلفات . اما منازل الرؤساء والضيافة فزين كما تزرع الزهور الجميلة فى المناطق الفضاء التى تفصل بين المنازل المتناثرة ،

ووحدة الحياة الاساسية فى المجتمع التاهيتى هى الاسرة الموسعة او الكبيره التى تتكون من شقيقتين أو ثلاثة وزجاتهم وأطفالهم . وإفراد هذه العائلات التى تتناثر فوق رقعة محدوده من الارض ترتبط سويا من ناحية انحدارها من أب واحد ولذا فقد يكونوا نسبا محليا . وربما يتبع النسل من جد لكل من الأب والأم لتبقى الذرية فى عده أجيال حيث تتوارث المركز الاجتماعى والامتيازات وحقوق الارض فيما بينها . ويتوقف فى العادة مركز الشخص على ما ورثه من الذكر ولكن فى بعض الاحيان حينما يكون الانحدار من جد الأم بعيد قد يجد الفرد صعوبة فى اثبات حقوقه . وحيث أنه من المعترف به أن الزواج لا بد وأن يكون بين شخصين متكافئين أو متساوين فى المركز لذا ليس هناك حاجة لتتبع النسب وذلك لتقييم المركز .

ويشغل جميع أفراد جزر تاهيتى مكان صغير فى مركزه ومن ثم فيستطيع الأب أن يعطى مسؤولياته ويميزاته لآى من أبنائه حيث لا يمكن أن يشغل هذه المكانة سوى فرد واحد من أسرته وهذه الظاهرة تفسر تأكيد البولينيزين على حق البكورة أو الأبناء البكر *Primogeniture* . إذ أن الابن الاول إذا ما وصل إلى مرحلة النضج يأخذ مسؤولية الكبار فى رعاية أخوته والدفاع عن مصالحهم . أما الابن الثانى فكنوع من الواجب يأخذ مكان الاكبر فى حالة غيابه أو وفاته إلا أن يكبر الابن الاول للشقيق المتوفى . وأصغر الأبناء فى الأسرة الكبيرة شخص منكوب لان فرصته ضئيلة فى التميز التتابعى إذ أن مركزه سيظل دائما أقل من أخوته الكبار ماداموا على قيد الحياة .

وفى الاسر الكبيرة فى كل مكان تقريبا تسود النظام التسلسل *hierarchy* بين الاخوة والاخوات بمعنى أن الاخوة الكبار لهم سلطة على الاخوة الصغار غير أن هذا النظام الاجتماعى بين الاخوة والاخوات معقد فى جزر تاهيتى إذ يحدد وضع الفرد فى كل حياته وفى علاقته بالاسر القرية له . فكل أسرة بل كل نسب فى المجموعة يتوقف مرتبته على أصله ودرجة قرابته للجد الاصلى . فالنسل خلال الفرع الاول للمواليد يتبع تماما فى كل جبل للتعرف على الصاحب الحقيقى للمركز والسلطة الاصلية .

وفى مثل هذا المجتمع نجد القدرة على تتبع الاجداد والتعرف عليهم أمر على جانب كبير من الاهمية حيث يمكن تتبع أصول الافراد الذين يحتلون مناصب رفيعة إلى مايقرب من ٥٠ جيلا . فالفرع الرئيسى للتسلسل وكل فرع يعرف باسم حيث يأخذ الابن البكر أو الابن البكر أو الابن الاول اسم والده حين يخلفه فى وضعه . ذلك إلى جانب اسم فرعى آخر يحدد وضعه فى الجيل الذى يعيش فيه

وهذا النظام في الاسماء والالقاب يشبه إلى حد كبير نظام النبلاء الاوربي حيث ترتبط الالقاب بأوضاع ويميزات وواجبات ومسؤوليات خاصة.

وتتدرج الرتب والمراكز الفرعية من القمة إلى القاع غير أنه من الافضل أن نذكر أن المجتمع يتكون أساساً من ثلاث درجات فعائلات الرؤساء في النواحي الكبيره تعرف باسم Ari'i ورؤساء الانساب الاقل وعائلتهم ويوضعوا في مجموعة وسط تعرف باسم Ra atira . اما البقية من السكان فتشملهم الطبقة المعروفة باسم Manahano . ويجب ألا ينظر إلى المجتمعات التاهيتية على أنها عشيرة إذا أن الاختلافات الاجتماعية بينهم تشبه الاختلافات داخل النظام الاسرى . فالطبقات الاجتماعية الثلاث الموجودة لدى البولنيزين تضم كل طبقة منها مجموعة من العائلات بأكملها . وتتضمن المراتب الاجتماعية في جزر تاهيتي سلطات اقتصادية وسياسية ودينية وباختصار تتضمن مبادئ أتوكراتية . فنوع من القوى الروحية التي تسمى باسم مانا Mana . توجد في كل أفراد تاهيتي غير أن درجاتها مختلفة وتتطابق مع الرتب فالطبقة العليا وهي طبقة Ari'i تمتلك كمية كبيرة من هذه القوة المقدسة وذلك لأنها أقرب الطبقات إلى حد الاله الذي هو مصدرها بينما الطبقات الاقل فنصيبها من هذه القوة أصغر ويعتقد أن المانا سلطة قوية يمكن أن تكون ضارة إذا ما ذهب إلى شخص أضعف أو أقل مرتبة من التي يجب أن تكون معه . وربما فكرة المحرمات في مجتمع تاهيتي نشأت أساساً من امتناع احتكاك الطبقة التي لديها سلطة أقوى من المانا من الطبقة التي لديها أدنى سلطة .

وقد نظرت بعض البعثات التبشيرية الاولى في جزر تاهيتي إلى رؤساء تلك الجزر على أنهم حكام مستبدين وذلك بعد أن شاهدوا الازعان الشديد لما يقدم

اليهم وبعد أن لاحظوا أيضاً أن الإلهى يدفعون لرؤسائهم نوعاً من الجزية وبفحص جميع اعتبارات الموقف فى المجتمع التاهيتى يمكن التوصل إلى أن الأذغان شعور دينى وأن استخدام مصطلح استبداد ليس فى محله . كذلك ما يسمى بالجزية ربما يكون مرتبطاً بما تقدمه الطبقات أكثر من كونه ضريبه ولا سيما وأن كميات كبيرة من الهدايا يعاد توزيعها على الإلهى .

ولا يوجد سوق لتبادل المنتجات بين سكان تاهيتى . فالهدايا التى تقدم إلى الرئيس أو التى تقدم من رئيس أصغر إلى رئيس أعلى أمر ينظر إليها على أنها وسيلة معقده لتبادل السلع حيث يجمع الرئيس الفائض من الإنتاج الذى يعطى له ثم يعيد توزيعه فى الأعياد الكبرى . وقد لاحظ بعض الكتاب الأوائل هذه الظاهرة الغريبة فى حياة سكان تاهيتى حيث وصفوا المجتمع بأنه مجتمع شيوعى وبعض الملاحظين الآخرين الذين لفت نظرهم استغلال الرؤساء نظرهم إلى الأمر على أنها تجميع الإنتاج أكثر من إعادة توزيعه . وكما يبدو أنه من الصعب التعميم بدقة أن مجتمع تاهيتى مجتمع استغلالى أو مجتمع شيوعى والأصح أنه نظام جديد تمام على الخبرة الغربية .

ومن الأشياء الأخرى الخاصة بعادات سكان جزر تاهيتى والتى لفتت انظار الزوار الأوروبيين الأوائل هو تركهم لأولادهم بصورة متكررة كبيرة الأمر الذى جعل الباحثين : يصفوها بأنها ظاهرة اجتماعية هامة وفى نفس الوقت أعاده لتوزيع اقتصاد غير متكافئ ففى ظل حقيقة أن جميع الأرض والمناصب وراثية يصبح أنه لاسبيل من إيجاد طريقة تحفظ توازن واستقرار النظام أن تحاول الأمر أن تستمر فى أحجام متساوية عبر الزمن ولكن الاتجاه العادى هو أن تنمو بعض الأنساب على حين تقل الأخرى فى حجمها تبعاً لظروف غيبه حدود أو فقر

الأرض الذى قد ينتج عنه اختلافات فى اقتصادية جديدة غير موجهه لهم إلا إذا قسمت الأرض ذاتها ثم يعاد توزيعها من آن لآخر وكما يحدث فى عديد من المجتمعات الزراعية البدائية فإن تحديد حجم الإسره هو الوسيلة الوحيدة للمحافظة على الحالة الثابتة Status quo فى الأسره خلال الأجيال المتلاحقة . ويمارس سكان تاهيتى قتل الإطفال Infanticide لدرجة ما وذلك للتحكم فى حجم الإسره ولكن فى اغلب الأحيان ينتقل الأطفال من العائلات الكبيرة العدد إلى العائلات ذات الإعداد الأقل . حيث يأخذ الطفل المتبنى لقبه ونصيبه فى الأرض من الاب المتبنى ووضعه فى هذا هو وضع الابن الحقيقى على الرغم من أنه قد يقضى وقتا كبيرا فى زياره اعضاء اسرته الأصلية .

وليس من المستغرب ان يعكس الدين الدور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الهام الموروث والذى يؤكد اهمية عباده السلف . ففى حجر تاهيتى لكل اسره مكانها المقدس الخاص بأسلافها كذلك كل مجموعة اكبر من العائلات لها البقعة المقدسة التى تسمى باسم Marae وهى عبارة عن مساحة مفتوحة من الأرض مسورة بحائط حجرى منخفض وبها جزء مرتفع فى نهايتها يشبه الهرم الصغير . والماراى مكان للدفن وأيضاً لإقامة الإحتفالات لديزية .

ولعل الماراي تعكس النظام الاجتماعى الموجود فى تاهيتى بوضوح . حيث يوجد بها دائرة من المقاعد الحجرية ، كل مقعد منها يسور لمختلف الرؤساء الذين يجلسوا عليها فى الإحتفالات الدينية ، وقد نظمت هذه المقاعد تبعاً للاهمية الاجتماعيه للرؤساء . وفى الفترة الأولى نمو وتوسع المجتمع التاهيتى دأبت المجموعات المتقاربة التى تهاجر إلى مكان آخر أن تأخذ معها مقعد رئيسها من الماراي ليضعه فى ماراي جديد فى المكان الذى تستقر فيه ، وقد يظل موضع المقعد

الحجرى القديم في الماراي الاصلية شاغرا ومن ثم تظل المجموعة المهاجرة مرتبطة بنسبها في البقعة الاصلية .

وفي الإيام الاولى من التوسع كانت من الامور العادية الواضحة ميل اشقاء الرؤساء الصغار للرحيل الى اماكن جديدة وتأسيس مجتمعات جديدة وبذلك تكون محلاتهم السكنية أكثر حداثة وأقل تميزا في مناصها الاجتماعية من المجتمع الأكبر وبالمثل تكون ما رأيهم أقل قداسة من الماراي القديمة . وفي إطار هذه الحقيقة نجد أن الماراي الكبيرة الموجودة في جزيرة راياق Raiatea الغربية تعتبر أكثر قدسية من تلك الموجودة في جزر تاهيتي الإمبر الذي يوحى بان التعمير الاول لجزر بولينيزيا قد أخذ مكانا في تلك المنطقة قبل غيرها ،

ويرتبط أنماط السلوك الاجتماعى العام والآداب بالدين ونظام الرتب . إذ يعتبر مركز أو مرتبة الفرد مبدأ هام فصطلحات القرابة العامة التى تستخدم فى مخاطبة الأفراد فى المجتمعات البدائية كجزء من الإداب لإستخدام فى بولينيزيا إذ يحل محلها استخدام الألقاب التشريعية فى مخاطبة الأشخاص . وأقسام القرابة لدى المجتمع البولينيزى بسيطة نسبيا . فكل أبناء الإعمام سواء كانوا من الدرجة الأولى أو الثانية Cross or parallel يوضعوا تحت تعريف نسب Siblings أما أقارب الجيل سواء كبروا أو صغروا فيشار اليهم أيضا بمصطلح فردى عام . وتميز الجيل بالنوع والسن هى الظاهره الوحيدة للتقسيم القرابى غير أن أهمية السلف ووراثه المراتب تنعكس فى استخدام الإلقاب بدلا من مصطلحات القرابة فى التخاطب المباشر .

وربما أوضح ظاهرة معروفة فى السلوك الاجتماعى للبولينيزين بتلك المرتبة بفكرة المحرمات Taboo . فكل فرد من أفراد المجتمع يحرم عليه بعض

المأكولات التي ترتبط بمركزه الاجتماعي ففي وقت الغذاء مثلا لا يستطيع ذوى المراتب الدنيا أن يتناولوا الطعام على أصحاب المراتب العليا ونظرا لأن الرجال أكثر قدسية من النساء والاطفال لذلك لا بد وأن يتناولوا طعامهم بعيدا عنهم وبعض الاطعمه العادية محرمة على النساء والاطفال كما تحرم اطعمه خاصة على مرا كز بعينها . فطبقة Ari'i العليا طبقة مقدسة جدا لذا فأى شيء تستخدمه يصبح محرما ، وأى طعام يتناوله يصبح ساءا إذا ما استخدمه فرد من طبقة أدنى منها . وقد حلت هذه العقده في بعض جزر بولينزيا عن طريق العزل التام للرئيس الاكبر حيث يحمل في محفه Litter وينسل ويطعم بواسطة مرافق وفي غرب بولينزيا لا يسمح له بمجرد مخاطبة الجمهور إذ يتحدث أخيه الأصغر الذى يعرف باسم متحدث الرئيس Orator chief - بدلا منه . ومن العادات ايضا أن الكلمات التى يستخدمها الرؤساء الكبار فى حديثهم تعتبر محرمات على العامة . ويمكن ان تعرف هذه اللغة بالكلمات الدينية كما أنه فى العاده لغة الكهنة .

والشابع الاجتماعى داخل المجموعة المحلية المتقاربة والذى استقر تبعا لنظام الندية يتداخل ويتفق مع نظام أوسع داخل المجتمع أو داخل الجزيرة وهو نظام أكثر رقة وأقل غلظة إلا أنه موضوع أساسا على تنظيمات متشابهة . وعلى أى حال فإن هذا النظام لم يكن مستقرا فى جزر سوسيتى قبل مجئ الأوروبيين ومن ثم لم يكن هناك مفر لتغير هذا النظام الورائى عن طريق الحروب فعن طريق حرب أهلية واسعة تم إعادته توزيع الأرض كما أن القوات البحرية تدخلت فى معظم الجزر لكى توضع حدا لعلاقات القرابة التى ارتبطت بأوضاع اقتصادية واضطرابات سياسية . فى جزر هاواى كان من نتيجة حملة مماثلة أن غير نظام المجتمع بحيث أن أصبحت الطبقة المنتصرة أرقى فى نسبها وأرفع من الطبقة

المغلوبة على أمرها . ولا يوجد دلائل واضحة يبين ان ما حدث في هاواي حدث في تاهيتي وان كان من الممكن أن تكون نتيجة محتملة للحروب .

أما أسلحة الحرب في جزر تاهيتي فنهمل في الحرب والرمح والسيوف الخشبية القصيرة وبعض السكاكين المسننة . أما القوس والسم فيستخدمان على نطاق واسع في الصيد إذ أن استخدامها محدود في الحروب ولا يستخدم التاهيتيون دروع الدفاع التي قد تصنع من الأصداف وان كانوا يلجئون في بعض الأحيان لف محاربيهم بشبكة من الخبال .

والقرى المحصنة لا توجد عادة في بولينزيا فيما عدا في نيوزيلندا حيث يحيط جماعات الماوري Maori قرامم بالخنادق . ويبني التاهيتيون في العادة ملاجئ يمكن الاحتماء بها في حالة رغبتهم في مقاومة الحصار . وقد يأخذ التاهيتيون أسرى الحرب كعبيد . ويمارس إعدام الأعداء وتنتشر هذه العادة في كل جزر بولينزيا غير أن سكان تاهيتي يفرعون لهذه الفكرة رغم أنهم يقدموا بعض أسرارهم كضحايا في احتفالاتهم الدينية .

ويسود في المباريات نوعا من اخلاقيات الحرب لجميع المباريات تمارس بعنف كما أن بعضها خطير جدا . ومباريات كرة القدم شائعة ومحبوبة لدى سكان تاهيتي لدرجة أن سكان المناطق المختلفة ينظمون مباريات مع بعضهم . وتوجد في جزر تاهيتي رياضات فردية متعددة فهناك المصارعة والملاكمة والمشي إلى جانب السباحة التي تلقى اهتماما زائدا من الجميع .

والصيد في تاهيتي يعتبر رياضة وفي نفس الوقت عمل مقدس . فبعد أن يقتل الصيد في مكان ما تمارس عدة شعائر تتضمن احتفالات في المعبد واحتفالات خاصة وطقوس للتطهير . ومن المباريات الأخرى مباريات الديوك التي تكون

مصحوبة بمباريات بين الاطفال ذلك إلى جانب الموسيقى والرقص . فجميع البولنيزيون محبين للموسيقى لدرجة أنهم طوروا هذا الفن لدرجة تفوق أي جماعات بدائية أخرى . ويستخدمون الطبول الكبيرة والصغيرة والنأي وعلاوة على اصواتهم الموسيقية التي تصاحب دائما الرقص في تاهيتي . وقد تمكن سكان جزر هاواي وتاهيتي من تطور اصواتهم الموسيقية بصورة غير عادية حتى أنهم تمكنوا من تكوين الكورس الذي يؤدي مقاطع من الاغانى .

والموسيقى الحديثة في هاواي يغلب عليها الطابع الاوربي كما أن الجيتار الهاواي قدم من البرتغال .

والرقص في تاهيتي أو كما يعرف باسم Hura أو hula يقوم به بنات الرئيس اللاتي تدرهن خصيصا لهذا الفن . وتقضى العبادات هناك على أن ترتدى الراقصات جنلات طويلة مكسرة ، كما يثبت الريش في أصابع الراقصين . واستعراض الرقص هو جزء من استعراض كامل يشمل ممارسة أعمال سحرية وبهلوانيه . وكما هو الحال في معظم المشرق الآسيوى يضلغ الرجال بدور المغنين والعازفين كما هم أيضا الممثلين .

وتنظيم الاستعراضات العامة في تاهيتي من اختصاص مجموعة متخصصة للترفيه عن الزوار وتعرف هذه المجموعة باسم Ariori وهى مجموعة دينيه راعيا أورو Oro إله الحرب والذي بأسمه يتم اللعب والرقص والغناء والانشاد . وهذه المجموعة تبعد كلية عن المفهوم الدينى الغربى حيث يسمح بها هتك المحرمات والاتصال الجنسي وغير ذلك من الاشياء . فإ أن تصل مجموعة الارىورى إلى مقرها المحلى حتى يبدووا فى مزاوله أنشطتهم ضاربين عرض الحائط بكل القواعد

والأصول الاجتماعية وأفراد هذه المجموعة غير مسؤولين عن شيء مما كان عمرهم
لذا أنهم لا يملكون شيئا كما أنهم ليس أطفال .

وعلى الرغم أنه غير معروف من هو الشخص الذى تقبل عضويته فى هذه
المجموعة أو كيف يصبح عضوا بها إلا أنه من الواضح انها تضم باستمرار الابناء
الصغار المطرودين من العائلات الكبيرة Large Families وقد ذكرت بعض
الارسلالات الأولى التى ذهبت إلى جزر سوسيتى أن جماعـة الارىورى قد
تكونت أساسا لتكوين مجموعة بغاء من أجل تحيد النسل . كما أنه نظرا لأنهم
يتكون أولادهم لذا فقد اعتقد المبشرين ان عاطفة الأبوة ليس موجودة هناك
والحقيقة كما هو ملاحظ بين المجتمعات البدائية الأخرى ان الأطفال يعتبرون
فى العادة بركة كبيرة وانهم من الأشياء المحببة اليهم جدا .

ويصحب ميلاد الطفل عديد من الشعائر التى يمارسها أفراد الأسرة ، وإذا
كان الطفل ذات مرتبة عالية فنتم الشعائر فى احتفال عام . وفى العادة يحضر عملية
الوضع الطيب القس الذى يحيط به حشد من الأقارب . وبعد أن يدفن الخلاص
فى الماراي ويوضع الحبل السرى فى صندوق ويدفن فى أحد حجرات الماراي
يقام احتفال التسمية The naming ceremony الذى يعتبر من أهم مراسم
الاحتفال إذا ما كان الطفل ولدا ذا مرتبة عالية .

ويمضى الطفل معظم وقته مع اقاربه الأطفال ، ويترك فى السنوات الأولى
لنشيء حرا نسبيا . ومع نمو الطفل العمرى يبدأ أهالى الطفل فى تعليمه وتوجيهه
سلوكه الاجتماعى . وقد يهطى الابناء البكر الصبيـه ذوى المراكز العالية تدريبا
خاصا وذلك لكونهم سوف يرثوا مركز العائلة الاجتماعى . وجزء من هذا
التدريب يتجه لكونه الابن الأكبر حيث يكون مسؤولا مسئولية كاملة نحو

الإطفال الآخرين ذلك إلى جانب تعليمه سلوك النبلاء من كرم وسخاء وشجاعة ... الخ .

وعندما يبلغ الصبي مرحلة البلوغ يقام له احتفال يحذر فيه عليه الأطعمة المحرمة Taboo ومنذ هذه اللحظة لا يستطيع الصبي أن يتناول أى طعام تطهيه المرأة أو يأكل فى صحبة النسوة . فالتحريم هى علامة النضج لكل من الذكر والاناث . ويظاهر الأولاد فى مرحلة الطفولة ولا سيما إذا كان من طبقة راقية ولكن بأجل الزواج فى العادة حتى مرحلة بلوغ متأخرة وبأجل أكثر بالنسبة للرجال والفترة بين البلوغ والزواج فترة تنسم بالحريه وعمارسه تجارب الحب وفى الطبقات الدنيا للفرد حرية اختيار الزوجة حيث لا يتضمن الزواج ارشادات قيمه غير أنه لا يشجع الزواج بين الأقارب . أما الطبقات العليا فالتكافى الاجتماعى أمر ضرورى ومن ثم فزواج أبناء العمومة سائد

وتشهد مراسيم الزواج احتفالا كبيرا يكون مصحوب بتبادل الهدايا والأغاني والرقص . وبعد الزواج تكون المهمة التمهيد لانجاب الولد الأول والتأكيد على انه سوف يحمل صفات المركز الجديد ويأتى ذلك عن طريق إعفاء الزوج ذوى المقام الرفيع وزوجته من كل واجبات واعطائهم اطعمه دسمه واغتسالهم وتمطيرهم فى نفس الوقت تؤدى الشعائر فى المعبد لكى تساعد على حدوث حمل لهذا الطفل .

ومن السهل فسخ الزواج ولا سيما بين العامة . وبعد الطلاق يظل الاطفال مع الأم أو تبناهم أسر أخرى يكون اعدادها قليلة لأن الاسر التى يزيد عدد أطفالها قد تلجأ إلى الاجهاض أو قتل الاطفال .

وعند الوفاة يدفن الاطفال والكبار من العامة بدون مراسيم جنازته وذلك

على النقيض من جثمان الرؤساء التي تحفظ لا كبر مدة تمكنه في مكان بشي لهذا الغرض . حيث تجرى محاولة لنحيطه وذلك عن طريق نزع المخ والاحشاء ودهان الجلد بالزيت وتعريضه للشمس وبعد تحلل الجسم تأخذ الجماعة وتوضع في الماراي وقد تستمر مراسم الحزن لفترة طويلة ويلجأ الأقارب من آن لآخر لاحداث جروح في اجسامهم بواسطة سكاكين كما تظل زوجته الرئيس المتوفى إلى جانب جثته زوجها لفترة طويلة من الزمن ربما كرمز باق لعادة قديمة تقتضى بقتل الزوجة الارمل ويدعو القسيس روح الميت لكي تكون راضيه في عالمها الآخر ولا تعود ثانية إلى زوجته . وإذا كان المتوفى رئيسا هاما فتوقف كل الأنشطة في ضاحيته أو اقليمية امدة ايام تكون كافيه لرحلة روحه .

ويعتقد سكان تاهيتي أن مركز الروح الامعاء وأن الروح تخرج بعد الموت من الفم والانف لتذهب بعيدا . وتبعاً لبعض الروايات تذهب هذه الروح إلى الجنة أو إلى أرض الاجداد التي توجد في مكان ما في الجهة الغربية .

وتختلف مضامين الاساطير والمعتقدات اختلافا كبيرا في جزر بولينزيا غير أن هناك سمات مشتركة بينها فاساطير الخلق جميعها من النوع الذي يمكن تسميته بالنوع التطوري ، فالالهة المختلفة تحمل نفس الاسماء على الرغم من ان اعمالا خاصا تنسب اليها وتختلف من مجموعة جزيرة إلى أخرى . حتى بين سكان جزر تاهيتي يوجد بينهم عديد من اساطير الخلق . وكقاعدة تشمل الاساطير فكرة العدم في البداية وأن الظاهرات الطيفية والانسان والحضارة خلقها الالهة وبعد ذلك حدثت احداث خاصة ارتبطت بتاريخ الانسان المعروف .

والعدد الاجمالي للالهة هائل ويختلف من مكان لآخر غير أن قليل منهم له السيادة على معظم جزر بولينزيا . فالالهة المعروف باسم Ta'aros هو اله الخلق

في جزر تاهيتي وهو عادة آله كبير في الجزر الأخرى . إلى جانب الإله اورو Oro وتاني Tane ورو Ro'o وتو Tu . وقد يعتبر بعض الإلهة وفي العادة واحد من بين الإلهة السابقين هو السلف الذي انحدرت منه مجموعة محلية أو حضارة معينة وبعض الإلهة الأخرى لهم قوة السيطرة على بعض الظواهر الطبيعية مثل البحر والرياح ، والبعض الآخر هم الراعين لحرف معينة أو وسائل الترفيه في جزر سوسيتي يعتبر الإله الخاص بوسائل الترفيه وهو الإله oro هو أهم الإلهة إذ أنه إله جماعة اريوري Ariori كما أنه إله الحرب . وإلى جانب مجموعة هذه الإلهة توجد مجموعة أخرى تشمل إلهة اصغر ترتبط بأشباح الاجداد والأرواح .

ولكل جزيرة من جزر مجموعة سوسيتي أوركها Oracle الخاص الذي يستشار قبل البدء في نشاط هام أو عمل خطير . كذلك يمارس التساوسة أعمال الشموذه والتنبأ عن طريق التأمل داخل جوزة هند مقطوعة حديثا وشرح ما تنبأ عنه الخيوط المحفورة في لب الجوزة من سائلها أى تقرأ جوزة الهند كما يقرأ الفنجان في بعض المجتمعات المعاصرة . وفي بعض الأحيان تتممص الروح قساوسة بعينهم تجعلهم في حالة شعوذة حيث يصدرون كلمات واصوات غير واضحة ويعتقد أن هذه الاصوات هي صوت الروح التي تتحدث من خلال وسيط والتي يقوم بشرحها قساوسة آخرين . وهناك بعض الرجال الذين يعتبروا سحرة إذ بإمكانهم جلب الموت عن طريق ممارسة بعض الشعائر السحرية على اظافر أو شعر أو جزء من ملابس الضحية ويستعرض هؤلاء الرجال قوتهم بالمشي فوق الصخور الساخنة .

ولا توجد مضامين خلقية معينة في ديانه البولينيزين إذ أن دينهم يتضمن أساسا النظام الإجتماعي القائم على حكاهم المقيدين والهادف إلى تدعيم سلطتهم كذلك تمارس الإلهة وظيفة مؤسس القيم بالنسبة للأفراد . فالصلوات التي تؤدي

من أجل الإلهة تمارس دائماً عند الاستيقاظ. وقبل تناول الوجبات وقبل القيام بأى عمل هام ذلك بالإضافة إلى أن القرابين أو الاطعمة المقدمة للالهة توضع كل يوم كنوع من الاحتفال . والنضحية البشرية بأسرى الحرب والمجرمين قد تمارس في معظم الاحتفالات وان كانت تقدم الخنازير والكلاب في معظم الأحيان كقرابين . ويرجع سبب اقبال التاهيتيين على الصلاوات دائماً إلى التأثير الذى تركه البعثات البشرية المسيحية الأولى التى ارسلت اليهم ولم تنجح كثيراً في تعديل معتقداتهم الخاصة بالاسلاف .

ويرجع تاريخ وفود الأوربيين إلى جزر بولينيزيا إلى رحلة الأسبان بقيادة كيروس Quiros الذى وصل إلى جزر سوسيتى فى عام ١٦٠٦ . كما وصل فيما بعد فى عام ١٧٦٧ كابتن واليس wallis الانجليزى الذى احتل جزر تاهيتى والتى أطلق عليها جزيرة الملك جورج غير ان إقامته كان قصيرة هناك وبعد ذلك وصل إلى تاهيتى بيجانيفيل Bougounvillo الذى أعلن تبعيتها لفرنسا غير أن معرفة العالم الإنجليزى لجزر تاهيتى تعود إلى رحلة جيمس كوك الشهيرة التى وصل فيها إلى الجزيرة فى عام ١٧٦٩ على الباخرة endeavour والتى ضمت بعثة الجمعية الملكية البريطانية لملاحظة الكوكب فينوس فى المحيط الهادى وتكريماً للكابتن كوك فقد أطلق اسمه على مجموعة جزر سوسيتى وقد تم كن علماء البـاخرة إيندفور من اكتشاف أكبر الجزر والتى ارتبطوا مع أهلها بصداقة قوية . وقد نشر كابتن كوك وأعضاء رحلته فيما بعد وصفاً لهذه الجزر وسكانها حيث اعتبر هذا الوصف مستنداً علمياً قيمياً . وقد قام كابن كوك بثلاث رحلات إلى بولينيزيا آخرها فى عام ١٧٧٨ حيث لاقى حتفه فى جزيرة هاواى فى خلال عملية احتكاك بالاهالى . ولعل من أبرز الاحداث التى سجلت فى تاريخ احتكاك الأوربيين بسكان

جزر تاهيتى ذلك فى عام ١٧٨٨ حينما وصل الملازم Bligh إلى تاهيتى تحت قيادة
الباحرة بونى Bounty . وقد بقى طاقم الباحرة بدون عمل فى الجزيرة خمسة
أشهر نعموا خلالها بكرم الأهالى لدرجة أن بعضهم استقر فى الجزيرة وتزوجوا
من عائلات الرؤساء . والحدث المؤسف واكب رحلة السفينة ثم الثورة عليها
وعودتها مرة ثانية إلى الجزيرة بدون قبطانها. فالحملة العمرانية التى أقيمت فى جزيرة
Pitcairn تكون من الأسر التاهيتية وثوار الباحرة الإنجليزية تطورت
فيما بعد إلى نظام اجتماعى مثالى ضم الخلف المولد الاختلاط .

وقد زار عدد قليل من المكششفين جزر تاهيتى قبل نهاية القرن الثامن عشر
غير أن الإتصال كان متناثرا ومحدودا . فلا توجد محلات عمرانية حقيقية
للأوربيين كما لا توجد سيطرة أوربية طويلة على جزر تاهيتى يمكن تسجيلها
ومن ثم لا يوجد احتكاك حضارى كان من نتيجته تغير حضارة السكان بطريقة
ذات معنى . التأثير الواضح على حضارة سكان جزر تاهيتى حدث بعد ذلك
بواسطة بعثات التبشير الإنجليزية التى ذهبت إلى هناك . فى عام ١٧٩٧ ذهب
إلى هناك بعثة دوف Daf الإنجليزية التى ضمت ميسرين بروتستانتين نجحوا
فى اجتذاب الأهالى نحوهم بسبب احترامهم لعادات التاهيتيين وبسبب الأحداث
السياسية المحلية . وقد تأثر الأهالى بالتكنولوجيا الآلية الغربية وبروحهم القومية
واحترامهم لمجموعاتهم المحلية . ومن ثم فقد كان البولينيزيين على استعداد تام
للقبول التام بالمسيحية .

وقد تمكنت البعثات التبشيرية من تغير عدد من العادات المحلية والتى
تبدو لهم أنها غير خائفة حيث حرما ارتداء النساء للملابس الفضفاضة
Mother Hubbard dresses ، كما حطموا المعابد ومنعوا الموسيقى والرقص

وتغيرت عادات الزواج وقد حاولت بعثة كاثوليكية رومانية فرنسية الإستقرار في تاهيتي عام ١٨٣٦ . ولكن طردها الأهالي وقد تمكنت بعد ذلك في عام ١٨٤٣ قوة بحرية فرنسية من السيطرة على الجزيرة لتصبح مستعرة فرنسية . وقد كان الاستعمار الفرنسي أكثر مرونة من نفوذ الارشاليات فسمح لتجار بالانتقال كما سمح بوفود المغامرين إليها .

وكما هو الحال في أجزاء جزر بولينزيا الأخرى انتشرت الأمراض الأوربية بين الأهالي في نفس الوقت الذي استوردت فيه الأيدي العاملة الصينية لتعمل في المزارع . وما لبث أن تمكن الصينيون من أن يكون لهم فاعلية في المؤسسات الاقتصادية حيث يكونوا الآن ما يقرب من ربع السكان ويسيطرون على الأسواق الداخلية الفرنسية في المحيط الهادى فمدينة بايتى Papeete المدينة الرئيسية في تاهيتي هي العاصمة الادارية والاقتصادية للبلاد وحيث تضم الفرنسيين والأهالي والصينيين غير أنه لم يظهر على الإطلاق أى حاجز طبقي بين التاهيتيين والمولدين فجزر تاهيتي الحديثة عبارة عن متربوليتان بل أكثر من ذلك يبدو أن البولينزيين الاصليين أخذوا في الاختفاء نتيجة لعملية مماثلة تأخذ مكانا لها في جزر هاواي غير أنه في بعض الجزر البعيدة التي تقل في أهميتها عن جزر سوسيتي مازال السكان الاصليين يحتفظوا بطرق معيشتهم الاصلية ، كما ان اعدادهم أخذت في الزيادة في هذه الجزر لدرجة انهم يمكنهم الاستمرار في حياتهم . فقد عرفوا أسواق-تجارة الكوبرا أو جوز الهند المجفف كما عرفوا تجارة اللؤلؤ التي بواسطتها يمكنهم الحصول على السلع الأوربية الضرورية لهم .

أهم مراجع الباب الثاني

- 1 — Karsten, R., *Headhunters of western Amazonas, The life and culture of the Jivaro indians of Eastern Ecuador and Peru*, Societas Scientiarum Fennica, Vol. 8, No. 1, Helsinki, 1935.
- 2 — Rivet, p., *Les indiens Jiberos*, *L'anthropologie*, Vol. 18, 1907—1908.
- 3 — Steward, J. N, and Metraur, A., "The Jivaro" in J. H. Steward (ed.), *Handbook of South American indians*, Vol. 3, Bureau of american Ethnology, Bull. 143, Washington, 1948
- 4 — Up de Graff, F W. *Head Hunters of the Amazon Seven Years of exploration and adventure*, Garden city, N.Y., 1923.
- 5 — Bogcras, W.G. *New data on types and distibution of Reindeer breeding in Northern Eurasia*, proceeding of the 23 rd international Congress of americanists, Iancaster, 1930.
- 6 — Buxton; L H D. *The people of Asia*, New York, 1928
- 7 — Cressey, G.B., *asia's lands and people*, New York, 1934.
- 8 — Jochelson, W., *peoples of asiatic Russia*, New York 1928.
- 9 — Laufer, B, *The Reindeer and its domestication*, *Memoirs of the ameriean anthropological association*, Vol. 4, No-2 1917
10. Anderson, R., *The Buffalo Men, Acheynne Ceremory of petition deriving from the Sutaio*, *Southwestern Journal of anthpology*, Vol. 12, 1956.
- 11 — Dorsey G A , *The Cheynne*, *Field Museum anthropological series*. Vol. 9. chicage. 1905.

- 12 — Ewers, J.C., The horse in Blackfoot Indian culture :
with comparative material from other western tribes,
Bureau of American Ethnology, Bull. 159, Washington, 1955.
- 13 — Lowie, R.N., Indians of the plains, New York, 1924.
- 14 — Wissler, C., The influence of the horse in the
development of plains culture, American Anthropologist,
Vol. 16, 1914.
- 15 — Wissler, C. North American Indians of the plains, N.Y.,
1934.
- 16 — Erans - Pritchard, E.E, The Nuer, Oxford. 1940.
- 17 — ————, Kingship and Marriage among the Nuer,
Oxford, 1951.
- 18 — Herskovits, M.J., The Cattle Complex of East Africa,
American Anthropologist, Vol. 28, 1926
- 19 — Seligman, C.G. and B.Z , Pagan tribes of the Nilotic
Sudan, London, 1932
- 20 — Aarii, T.E., Tahiti, New York, 1947
- 21 — Cook Capt. J. The Journal and voyages of Captain Cook,
London, 1773, 1777, 1784
- 22 — Freeman, O.W Geography of the Pacific. New York. 1951.
- 23 — Keessing. F.M , The South seas in the Modern world. New
York. 1941.
- 24 — ————, Native peoples of the Pacific world, New
York, 1945
- 25 — Sharp, A., Ancient Voyagers in the Pacific, Wellington,
1956.

الباب الثالث

الممالك البدائية

١ - الكالينجا في جزر الفلبين

٢ - المايا في المكسيك

٣ - الانكا في بيرو

الكالينجا

The Kalinga of the Philippine
Islands

السكالينجا في جزر الفلبين

تكون جزر الفلبين جزءاً من منطقة حضارية كبيرة تعرف باسم أندونيسيا وعلى الرغم من فترة الاستعمار الطويلة التي استمرت ما يزيد على ثلاثة قرون تحت الحكم الأسباني ثم أخيراً تحت سيطرة الولايات المتحدة إلا أن الأساس الحضاري لجزر الفلبين يشبه بصفة عامة ذلك الذي يسود في الجزر الكبرى التي تقع إلى الجنوب الغربي منها . وهذه الحضارة القديمة ليست حضارة بسيطة أو غير مميزة . فكما هو الحال في جزر أندونيسيا الكبرى يوجد بها عديد من الأحتول السلاية إلى جانب عناصر جنسية مختلطة ذلك بالإضافة إلى أن الحضارات الأصلية قد استقبلت تأثيرات أخرى من الهند والصين كما دخلها الإسلام قبل اكتشاف الأسبان للجزيرة في عام ١٥٢١ حيث خضعت لنفوذه وسميت باسم الفلبين تكريماً للملك فليب الثاني .

ومن بين الجماعات التي تعيش في الفلبين في الوقت الحاضر أقزام النجرو Pygmy Negroes أو النجريتو الذين من المحتمل أن يكونوا أول العناصر التي وصلت إلى الجزيرة . وهؤلاء السكان صيادون وجامعون للطعام وقد تقهقروا إلى أعماق الغابات الكثيفة تحت ضغط الجماعات الأقوى منهم وهم يوجدون الآن أساساً في لوزون Luzon الجزيرة الشمالية .

أما الأندونيسيون فقد جاءوا إلى الجزر بعد ذلك وربما أحضروا معهم حضارة زراعية حيث استقروا في المناطق الجبلية في الجزر الكبرى . وأخيراً وفد الملايويون الحاليون أو الملايو الأوائل Deutero - malayo كما يسموا وذلك تمييزاً لهم عن طلائع الملايو Proto - Malay والذين يوجدوا بصفة عامة على طول السواحل وفي الأراضي المنخفضة والذين يحملوا حضارات تتضمن

مؤثرات هندية ، والتي تمكنت من السيطرة لفترة طويلة على الجزر في غرب أندونيسيا . وقد أضافت التجارة الصينية بمد ذلك تعقيداً حضارياً جديداً في جزر الفلبين . وقبل وصول الأسبان وفد إلى الفلبين من الملايو تأثير إسلامي جديد حيث كان التجار العرب على اتصال دائم بجزر أندونيسيا وحينما حكم الأسبان السكان المسلمين في الفلبين سموهم باسم المور Moros وهى نفس التسمية التى يطلقوها على المسلمين في أسبانيا وشمال إفريقيا .

وينقسم سكان الفلبين فى الوقت الحاضر فى العادة إلى أربعة أنماط تعكس أساساً اختلافات حضارية غير أن توزيعهم ومناطق تواجدهم تؤيد التسابع التاريخى للوقود العناصر الجنسية السابقة . فجماعات النهرىتو التى تعيش فى المناطق المنعزلة الغابية هى أقل الجماعات الموجودة فى الفلبين اندماجا فى الحضارة القومية بها . وعل النقيض من ذلك الفلبينو Filipino . أو الجماعات التى تعيش فى الجزر الوسطى والتى تعرف جماعيا باسم فيسابان Visayans والجماعات التى تعيش فى سهول وأودية لوزون والذين اعتنقوا المسيحية فى بداية فترة الاستعمار الأسبانى . ويشغل المور مواضع مشابهة فى الأرضى المنخفضة والساحلية فى جنوب الفلبين وذلك على الرغم من أن تأثيرهم الحضارى على الحضارة لقومية فى الفلبين أقل من تأثير الفلبينو .

أما الجماعات الأخرى التى تعرف باسم الباجان Pagans أو القبائل المتوحشة wild tribes فيشغلون مساحات كبيرة فى جزيرة مينداناو Mindanao الجنوبية ومعظم شمال لوزون ذلك بالإضافة إلى مواضع منعزلة أخرى فى قليل من الجزر ومن بين الجماعات الاخير الكالينجا الذين يكونون جزءا كبيرا من الاندونيسين وتعتبر جزيرة لوزون أكبر الجزر فى الارخبيل الفلبينى . والجزء الشمالى من

الجزيرة فيما عد المناطق الساحلية المستوية وأودية الأنهار المنخفضة عبارة عن مناطق جبلية وعرة سكنتها قبائل الباجان وأساس الحياة الاقتصادية هنا الزراعة الكثيفة جدا المعتمدة على وسائل الري وعمل المدرجات، ومن ثم فيتسم شمال لوزون بارتفاع نسبة الكثافة بينهم ارتفاعا ملحوظا وتشابه جميع القبائل في المنطقة فيما بينها تشابها تاما ولذا فقد اشتهروا تاريخيا ببغضهم للصيد .

ويتحدث الكالينجا لغة قريبة من لغات العائلة اللغوية الملايوية البولينزية . وقد بلغ عددهم في عام ١٩٢٩ حوالي ٢٤ ألف نسمة ويعيشون تقريبا في الوسط الجغرافي لمنطقة قبائل الباجان في شمال لوزون . والسلاسل الجبلية هنا أقل وعورة من السلاسل التي يشغلها جيرانهم النينجويان Tinguian والايفوجوا Ifogao فالتربة عند الكالينجانيون أكثر خصوبة ، كما توجد مصادر أكبر لمياه الري . ويمتاز الكالينجا عن كل جيرانهم في كونهم يستطيعون زراعة محصولين من الأرز على مدار السنة وينتجون نوعا من الإرز الكبير جدا وهو أفضل أنواع الأرز في العالم وبامكانهم دائما تصدير جزءا منه إلى سكان المناطق المنخفضة .

ويشبه الكالينجا غيرهم من الاندونيسين في أن صفاتهم الجنسية أقل مغولية من صفات القليينو العادي على الرغم من أنهم أيضاً يتصفوا بالشعر الأسود الخشن المستقيم وأنه لا يوجد شعر على بشرتهم البنية كما أن هناك انحراف في الجفون . والكالينجا طوال القامة وقد وصفهم بارتون Barton بانهم عراض الاكتاف ضيق الاردا ف أنيقين أقوياء ، والكالينجا وغيرهم من القبائل الجبلية قد تأثروا كثيرا بالطبيعة في صفاتهم وذلك عن طريق وشم أجسامهم وحشوو تسويد Plackoning أسنانهم وتزين الشعر ووضع الزهور في ثقوب الاذن . ويترك شعر كل من الجنسين لينمو طويلا إلى الخلف كما يقطع على هيئة قصة من الامام .

والملابس بسيطة فهي على هيئة حزام أو رباط يأخذ حرف G أو بنطلون قصير بالنسبة للرجال أما النساء فهو عبارة عن الساروينج Strong (١) . وفي بعض الأحيان يرتدى النساء والرجال صديري قصير جداً حيث يترك جزءاً كبيراً من الصدر عارياً .

أهم محصول زراعي لدى الكالينجا الأرز ، ويليه في الأهمية محصول الموز وقصب السكر والبطاطا والبسلة . أما أشجار الأريكة Areca palms فتزرع من أجل الجوز الذي يمتزج في كل مكان في نطاق تواجد الحضارة الأندونيسية . وتزرع كذلك أشجار جوز الهند والبامبو . ويربى الجاموس الماء أو الكاراباو Carapao والخنازير والطيور وقليل من الماشية كحيوانات مستأنسة ، وتأكل لحوم جميع هذه الحيوانات بما فيها الكلب غير أن الاستخدام الرئيسي للجاموس الماء هو حرث وتسوية الحقول . ويأكل البعض كما يشرب لبن الجاموس والأبقار غير أن انتاج كل منها ضعيف حيث يستخدم فقط كدواء للأطفال الضعاف .

وعلى الرغم من الزراعة كثيفة ومنتجة إلا أن وسائلها بسيطة فتسوية الأرض وحفر القنوات المائية كلها انشاءات وأنشطة تنفذها أيدي عاملة تستخدم جاورف خشبي بسيط . وإعداد الحقل بعد تسوية وعمل أحواضه يتم عن طريق عدد من الجاموس الذي يدفع للدوران مراراً في الحقل إلى أن تتحول التربة إلى كتلة سمينة وعنيفة من الطين حيث يزرع بعد ذلك محصول الأرز ثم يشتل باليد كما يحصد ويزرع باليد أيضاً . وبعد الحصاد وقبل أن تغمر الأرض بالمياه من جديد استعداداً للزراعة تجمع التربة العليا وتكوم من أطلال صغيره والتي يزرع

(١) الابس الرئيسي لسكلا الجنسين في أرخبيل الملايو ويتألف من قطعة من القماش تمكثف الجزء الأدنى من الجسم على شكل تنورة .

عليها بعض نباتات الحدائق .

ويبنى الكالينجانيون منازل جيدة وواسعة وهم مرة أخرى مثل مواردهم يفوقون في هذا المصدر كل القبائل المجاورة لهم . فنزل الكالينجلى العادى على شكل مربع طول ضلعه يتراوح ما بين ١٥ و ٢٠ قدما ويشيد على أكوام ترتفع بضعة أقدام فوق الأرض وإذا ما كان صاحب المنزل ثريا فيأخذ المنزل شكل المشمن Octagonal وتصنع الأرضية والجدران من أسلاخ البامبو على حين يبطن السقف من السعف . وقد يوجد عدد من التعديلات الإضافية في تركيب المنزل فقد يصنع مدخنة في سقف المنزل أو قد ترفع أرضية المنزل عند جوانب الحائط لتكون مكان للنوم . أما موضع الموقد فيحدد في مؤخرته بينما يبنى في مقدمة المنزل ما يشبه البلكونة الضيقة ، ورأضية البامبو من أسهل ازالتها ولذا فيمكن للزوجة أن تحملها إلى النبع عدة مرات أسبوعيا لغسلها وتنظيفها .

ويعتمد التنظيم الاجتماعى عند الكالينجا أساساً على نظام القرابة على الرغم من أنه يوجد تنظيم حكومى وسياسى هام والذي يتجاوز عنه في بعض النقاط . فالأسرة البسيطة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال وأحياناً بعض الأقارب المنصلين هى المجموعة التى يضمها منزل . وقد يتجمع سوياً مجموعة من المنازل وساكينها ليكونوا عشيرة والتى تعتمد الرابطة بينها على الثنائية أكثر من الوحدوية أى يعتمد على أساس أبوى أو أموى . فالفرد يعرف كقريب إذا كان متصلاً بأحد جدى الإب أو الام بحيث يمكن ارجاع قرابة الفرد فى الجيل الواحد حتى العم الثالث .

ومصطلحات القرابة التى تستخدم فى المحاطبة تتبع النظام البوليزى الذى يفصل بين الاجيال المختلفة غير أنه يعمم بينهم . ومن ثم فمصطلح Apo يشير إلى

الجد أو ابن الجد أو أى قريب آخر ينتمى إلى جيل الجد ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على الاحترام الشديد ولهذا فيميز القريب عن طريق مخاطبته بهذا المصطلح حتى ولو كان من سنه . أما مصطلحي *Ama* و *ina* فيستخدمان الإشارة تبعا إلى الأب والام ولكن قد يمتد استخدامهما في بعض الأحيان إلى أقارب هذا الجيل .

وتوجد مصطلحات أخرى تستخدم في الإشارة أكثر من استخدامهما في المخاطبة وذلك لتمييز أوضح لأقارب بعينهم كتمييز أبناء الأعمام عن أبناء النسائب أو أبناء العم الثانى عن أبناء العم الأول أو غير ذلك ولكن لا يوجد أى مصطلحات للفرقة بين أبناء العمومة للزم وأبناء العمومة المخلطين وذلك ربما بسبب نقص الزواج من الأبعاد . ومصطلحات المخاطبة بسيطة جدا وعمومية وربما سبب ذلك أن وظيفتها كعناوين للاحترام أكثر منها ألقاب حيث تستخدم الاسماء الشخصية في المخاطبة والإشارة ولا يشذ عن ذلك إلا في حالة الحمى والحماء فكما هو الحال في كل المجتمعات البدائية لابد أن يلحقا احتراما زائدا بمعنى أن مصطلحات القرابة تفضل هنا استخدامهما في المخاطبة عن اسمائهم الشخصية .

وقد ترتبط أفراد العشيرة أو مجموعة الاسر مع بعضها بالزواج الذى قد يجمع بين عائلات متباعدة أو غير متقاربة . والريف مزدحم بالسكان وذلك بالمقارنة بمناطق معظم الجماعات البدائية وأنه طالما وجدت رابطة القرابة كأساس للتنظيم الاجتماعى فإنه من المرغوب فيه أن تنوسع الروابط القبلية أو العائلية لأكبر مدى ممكن ولذا يحرم الكالينجا الزواج من الأقارب الذين تصل درجة القرابة أقل من ابن العم الثانى . ولتأخذ هذه القاعدة الاخيرة صفة الدوام .

أما الليفيرات *Levirate* أو السورورات *Sororate* أى زواج الاخ لارملة أخيه أو زواج الأخت لأرامل الاخت الاخرى والذي يعتبر شكلا عاما للزواج

في المجتمعات والحضارات البدائية فلا وجود له في مجتمع الكالينجا . وإذا كانت الروابط قد تقوى بين العشائر المختلفة نتيجة تكرار الزواج بينهم غير أن الكالينجا حريصين دائما على الرغبة في توسيع روابطهم لا عرض جبهة إذ يرددون أنه لا داعي لضياح الزواج فاعائلة أخرى يمكن أن تنضم إلينا بزواج واحد .

والإقليم كوحدة سياسية وجغرافية للمجتمع يتكون من الاسر أو العشائر التي بينها نوعا من النسب ورابطة القرابة . وقد خلق هذا الموقف نتيجة الزواج القرابي ، فالزواج خارج الحدود الاقليمية مرفوض . ومن ثم فالإقليم هنا يشبه في كل نواصيه العملية القبيلة . وعلاقة أى إقليم من هذه الاقاليم بالاقليم الاخر لا بد أن تكون مضطربة أو في حالة السلام لا بد أن يكون هناك بينهما اتفاق عن طريق الوسائل السياسية أكثر من الطرق المعتادة بين الجماعات البدائية والتي تربط بينها القرابة الحقيقية . ويعتبر الكالينجا في هذا الصدد مثالا واضحا للمجتمع الموجهة بالقرابة والذي خلق بدايات القانون العام ونظم العلاقات الداخلية في الاقليم عن طريق التنظيم داخل القبيلة ذاتها . وبعبارة أخرى فيعتبر الكالينجا مثالا لبداية لتنظيم الأرض كدولة فرضت على تنظيم أدبي على أساس كامل من القرابة ويعتبر اقتصاد مجتمع الكالينجا بدائيا من نواحي عديدة فهو يركز على توزيع البضائع على الإنساب ولكن كنظام اجتماعي سياسي فله بعض صفات المجتمع المدني . ويتضمن المميزات القبلية أشياء عديدة مثل سهولة الحركة من اجل الصيد والقنص داخل الحدود وارضى الرعى ، وتقسيم الصائد لقريبته على الأقارب ، والتركيز على الكرم واعطاء الهدايا ، وعلى الصالح العام لكل العشيرة في أى عمل يقوم به أى فرد من المجموعة . فقد دخل إلى الحياة الاقتصادية بطريقة أو أخرى شيوعية بدائية حيث لا يوجد شخص مكفيا ذاتيا .

وقد تطور اتجاه الملكية الخاصة على أى حال كثيراً فى بعض النواحي الاقتصادية ومن ثم فهناك فى ثروة الأفراد داخل لعائلات .

فحق استغلال الفرد لأرضه معروف وذلك إذا ما توسع الشخص فى العمل بها من أجل إنتاجها . فعلى سبيل المثال مجموعات البامبو البرى فى متناول الجميع ولكن إذا ما قام شخص بتنظيفها وترتيبها فى هذه الحالة له حق وضع يده عليها . ونظراً لأن الأراضى الجبلية فى مجتمع الكالينجا غير صالحة للرى لذا فزراعتها تتطلب مجهوداً ضخماً حيث لا بد من تنظيفها وتسويتها ثم عمل أحواض وحرثها وشق قنوات مياه إليها . وحيث أن مثل هذا العمل يتطلب وقتاً طويلاً وعدد من أفراد الأسرة لذا فينظر إليها على أنها من ممتلكات الأسرة . ونظراً لأن الرى يحدد التربة فلا تنزع حقول الارز بمعنى أن حقوق المستأجر قد تعطى داخل فرعه فى العائلة .

أما الأراضى النلالية غير المروية حيث يزرع البطاطا والبسلة فقد تفقد خصوبتها بعد عامين أو ثلاثة ومن ثم فهى أراضى مهجورة . فقد يبقى المزارع الاصلى حق استأجرها وإذا ما فمل ذلك يكون له الحق فى العودة لزراعتها مرة ثانية ، وإذا ما بقيت فترة طويلة دون زراعة ورجب فرد آخر أن يزرعها فلا بد للشاغل الاول أن يعطى إذن للثانى . بمعنى أنه لا بد أن يزرعها بنفسه أو يعطى هو حق زراعتها لآخر .

وإذا ما امتلك شخصاً حق أرز فلا حقوقاً كاملة له عليه ، فلا يستطيع التصرف فيها كما يشاء إذ أن الأرض تملكها الأسرة وأن المالك الحالى يمكنه أن يبيعها فقط فى حالة الإزمة الخطيرة حيث يتدخل كبار العشيرة فى هذا الصدد كما أنه لا يستطيع توريث الأرض بسهولة إلى هؤلاء الذين ليس لهم حق الميراث

على وجه الخصوص في صالح السلف والاباء . فأكبر الابناء يرث أفضل حقول أبيه في الوقت الذى يقيم فيه منزله ، كما أن الابنة الكبرى ترث أفضل أراضى أمها . أما الابن الأصغر فيحصل على أراضى أقل جودة بينما الطفل الأصغر سواء كان الأخ أو الاخت ففي العادة يمكنهما مع والديه بعد الزواج ويحصل في نفس الوقت على ما ابقىاه والديه من ممتلكات لكي يقيمأ أودهم أو أى ممتلكات أخرى حصلأ عليها بعد توزيع ممتلكاتهم السابقة على بينهم .

وقد كان من نتيجة التأكيد على نظام الساف أن تمتع الابناء الكبار سواء كانوا ذكورا أم اناثا بمراكز جيدة في المجتمع غير أنهم ليس لهم السيادة دائما كما هو الحال في بوليزيا حيث يورث الممتلكات والوضع الاجتماعى للاب إلى أكبر الابناء بدون تقسيم ويصبح الأخ الأصغر تابع كامل له .

ووضع المرأة في مجتمع كالينجا وضع مطمئن تماما وذلك لأنهم يورثوا كما يورث الرجال تماما . ووجود فرعين متوازنين من الممتلكات أى من الأب والأم يجعل الزواج هس وذلك لغياب الملكية الزوجية . وتستطيع المرأة أن تطلق زوجها بحرية بدون قلق على المصاعب الاقتصادية وذلك لأنها تملك السيطرة على ممتلكاتها . وحينما يموت رجل متزوج فلا ترث أرملته أى ممتلكات له لأنها من صالح الابناء .

وحقوق ملكية المياه تخضع لنفس الاسس التى تطبق على الأرض فالشخص الأول الذى يستغل النظام المائى له الحق الأول فى استخدامه وعلى الزراع المنتفعين أن يدفعوا له لى يأذن لهم بتحويل المياه إلى حقولهم ، وإذا كانت المساحة كبيرة للحقول التى تستخدم المياه من مجرى واحد تصبح حقوق الندفق معقدة ولكن دائما يتبع نظام الاسبقية للمستغلين الاصليين حيث يحق لكل واحد

منهم أن يوزع المياه الواردة اليه من أعلى المجرى . وفى حالات نادرة حيث يروى مصدر مياه واحد أكثر من اقليم تحدث المنازعات الدائمة . وقد يبدو ذلك أمراً لا مفر منه إذ أن المياه دعامة أساسيه للاقتصاد ولأن الاقطاع والصراع الطويل أو الحروب بين الاقاليم التى تشارك فى المياه قد تؤدي إلى كارثته ولذا تكون العلاقات السياسية بين الجماعات هى نتيجة لهذا التداخل .

عامل آخر يتصل ببعض سمات الدولة السياسية لمجتمع الكالينجا كية التجارة داخل الاقليم الكالينجاوى وبينهم وبين الاقاليم الاخرى . ففكرة انتقال الملكية لإعتبارات متعددة رسخت بقوة . فى معظم المجتمعات البدائية تتم التجارة عن طريق تبادل الهدايا ، ولكن حتى ولو كانت التجارة مجرد مقايضة شئ بأخر فإنها تجارة مباشرة ولا يشترط وجود نقود فى العملية . فى مجتمع كالينجا لا يوجد نظام نقدى إذ خصصت سلعة معينة كوسيلة للتبادل ومقياس للقيمة ومن ثم فهم قريبين من هذا النظام .

فكل القيم الكبيرة تحسب بالنظر إلى قيمة الجاموس كما أن الدفع يكون غالباً بالجاموس . الوحدة الثانية الاصغر هى الخنازير إلى أن يصل إلى نوع من وحدة التبادل أطلق عليها بارتون Barton اسم Heirlooms وهو أى شئ ذات قيمة خاصة يورثه جيل إلى جيل ومتاع الكالينجا يستخدم كعملة للتبادل لأنها لا تستهلك ولائها يجمعوها ونظراً لأنها تضم أنواعاً عديدة من الامتعة وعلى درجة كبيرة من الاختلاف فى القيمة . وبعض تقييمهم يشبه أحياناً التبادل الحديث فى كونه مجرد رمز له قبول جماهيرى أكثر منه قيمة حقيقية .

وكما هو الحال فى أندونيسيا فكل شئ تقريباً كالسرير أو الطبق أو البلاص أو الخلق أو العقد أو أى شئ تحتفظ به الاسرة لفترة طويلة يكنسب نوع من

القيمة النقدية . فخلق ذهبى أو سلسلة من الخرز ربما يكون لها تاريخ يعرفه كل فرد ومن ثم تكون قيمته مرتفعة وبالعكس الأشياء الجديدة أو التي تاريخها حديث تصبح قيمتها أقل .

وحينا يباع جزء هام من ممتلكات فرد فلا بد وأن يعطى جزءا من الثمن المشتري به كهدية لمجموعة الاقارب مع اختلاف فى نسبة العطاء تبعا لدرجة القرابة . وكلما زادت أهمية الشيء المباع كلما اتسعت دائرة القرابة المستفيدة من مبلغ الهدية . وتظهر هنا نوعا من الشيوعية البدائية حيث يأخذ شاغل أو مالك حقل الارز النصيب الاكبر . وتتركز الملكية الفردية فقط فى الملابس الشخصية والادوات والزينة . والخلاصة أنه بالنظر إلى الملكية ونمو النظام النقدي والقانون والسياسة والحكومة نجد أن مجتمع كالينجا يقف على الطريق بين المجتمع القبلى المتقارب والمجتمع المنمدين .

ويؤثر فى البيع وكيلين عن البائع أحدهما يمثل أقارب الزوجة والاخر الرجل حيث يناقش صورة البيع وإذا ما تم الاتفاق بين الاقارب يسمح بالبيع بعد تحديد السعر ومن ثم يبحث الوكلاء عن المشتري . وفى منزل المشتري وبعد المداولة يأخذ الوكيل وعاء من ريف المشتري ويضعه على الارض حيث يتأمله كل فرد لبضعة دقائق فى سكون تام . فإذا ما عطس أحد فى تلك الاثناء أو صدر عن أحد فعل غريب تلغى الصفقة .

وإذا لم يحدث شيئا يلتقط المشتري الإناء ويعطيه للبائع ، وتكون هذه العملية بداية سلسلة طويلة من الاحتفالات تنتهى بالدفع . ويأتى أقارب البائع بعد ذلك فرادا ليساوموا على انصبتهم . حيث يكون هناك تفاهما مع المشتري على الجزء الذى سيدفع لهم ، كما أن المشتري ذاته بالطبع سيدفع جزءا لاقاربه كما أنه لن يكون

المالك لها الوحيد بعد شرائها .

وإذا ما أخرج البيع أو قسط فيتضمن الدفع في هذه الحالة فكرة الدين ، حيث لا يسقط الدين بموت المدين إذ تورث كل الإلتزامات . وقد يجمع الدين أحيانا عن طريق وضع اليد على أملاك قبيله المشتري ولكن في معظم الأحوال تبذل محاولة لتوينج الدائن وإذا لم يستجيب في بادئ الأمر ولا سيما إذا كان من منطقة أخرى فإنه يضع يديه على ممتلكاته بمعنى أن المدين قد يذهب إلى بيت الدائن ويقيم فيه ولا يجرأ أحد على طرده لأنه يكون في منزلة الضعيف المقدس وهنا ما يدفع الدائن لبذل مجهود كبير لجمع المال من أقاربه .

والتجارة بين الأقاليم المجاورة قد تكون عاملا قويا وراء نشوب الحرب بينهم إلا أنه يجتمع كالينجاقد لتأخذ من التجارة وسيلة لإقامة علاقات سلمية داخل الأقاليم . فإنتشار مؤسسات المشاركة التجارية قد ساعدت على صياغة هذه العلاقة السلمية التي تسود في الأقاليم التي يقطنوها ، فمسئولية التجار تقوية العلاقات السلمية بين أقاليمهم . وهذه قد تكون وظيفة سياسية في مضمونها إذ أن التجار هو المتحدث عن إقليمه والممثل له في أى علاقة من الأقاليم الأخرى . ويظهر عنصر قوى للمجتمع البدائي في هذا التنظيم إذ أن التاجر أو المسؤولين عن هذا النشاط يكون إخوة لإحتياجات وتنطبق عليهم كل الإلتزامات الأخوة الحقيقية .

وقد يظهر مفهوم الدولة في الأقليم من الأشخاص المعروفين باسم بانجات Pangato ، وهؤلاء الرجال الذين يمثلوا ارستقراطية الأقليم لهم نفوذ على بقية أفراد المجتمع ومهمتهم الأساسية هي حفظ السلام في الأقليم . بمعنى أن البانجات ينظر لمصالح كل الناس وليس مصالح ذوية فحسب . ويمكن للشخص أن يصل إلى منصب بانجات عن طريق شخصيته لقوية كما انه لابد أن يكون ارستقراطيا من

أسرة غنية وفي نفس الوقت تكون له الصفات الشخصية التي تجعل الآخرين يحترمونه .

وفي سبيل إستقرار مجتمع كالينجا يكون دور البانجات الرئيسى هو دور الوسيط في المنازعات ، فإذا ما وقع ضرر على أى مجموعة من فرد من مجموعة أخرى فقد يؤدى ذلك إلى قيام الحرب بينهما ولذا يحاول البانجات ان يسوى النزاع عن طريق دفع تعويض مرضى للمجموعة المضارة . ويعد مثل هذا العمل من سمات المجتمعات المتمدينة ، كما انه عند الكالينجا مظهرا من مظاهر السيطرة على أسلوب الحياة وذلك نظرا لعدم وجود قوة قانونية منظمة يمكنها أن تصدر أحكام يقبلها عر في النزاع .

وإذا ما فرض تعويض على الشخص المذنب إلا انه ليس من الضرورى في مجتمع كالينجا أن يأخذ على الفرد ضمان يحول دون تكرار ما افترض بل يترك الفرد ليصلح من نفسه حتى لا يفقد مركزه . ويبدو بصفة عامة ان نظام كالينجا السياسى يمارس وظيفة وساطة متقدمة أكثر من كونها وظيفة تشريعية حقيقية . فاقرب إلى النوة الملزمة وأبسط . مفهوم للدولة يتمثل في تهديد البانجات الذى يدفع لاحترام الامهالى له وخشيتهم اياها الى اجبارهم على قبول أحكامه .

والحدود الاقليمية لمجتمع كالينجا هى حدودا تذكارية للدولة حقيقية فى نظر الاجانب أكثر منها فعلية . فقد تحدد الحدود الاقليمية وبعاد تحديدها لا عن طريق أفراد العشيرة فحسب بل بواسطة كل أفراد الاقليم ، كما أن فكرة العضوية فى الاقليم تشبه فكرة المواطنة والى يمكن تعريفها بمقومات أكثر من مصطلحات القرابة مثل الميلاد والاقامة داخل حدود الاقليم . فقد تبرم المعاهدات كما تحترم العلاقات التجارية الخارجية وتحمى .

وقد تكون الحدود الإقليمية النمطية لكالينجا صورة أخرى لمجتمع عشائري راقى *Supra kingship society* على الرغم من المجتمع القبلي الأصلي لا يشمل أى طبقات عائلية من المفهوم الحديث إلا أن عشائر كالينجا القوية المتأصلة تنقسم بواسطة أسر نووية مستقرة وإلى تشغل مستويات متميزة في الإقتصاد العام وترتبط في ذلك بوضعها الاجتماعي فعلى قمة التنظيم الطباق توجد جماعة البانجات القليلة العدد العظيمة التأثير . وتحتمل توجد طبقة الكادانجيمان *Kadangyan* التي تضم جماعة الارستقراطية من مجموعات العشائر . ومن ثم الطبقة العادية أو المتوسطة المعروفة باسم باكنانج *Baknang* وطبقة الفقراء أو الكابوس *Kapus* . والفرق بين الطبقة العليا والطبقة السفلى كبير لدرجة ان العديد من طبقة الكابوس لا يمتلكون شيئا ولذا لا بد وأن يعملوا لإجراء ولاسيما وان بعض الأغنياء يمتلكون أراضى تكفى لتشغيل عدد من الاجداء لزراعة الأرض عن طريق المشاركة . وتشبه العلاقة بين المالك والمستأجر علاقته التبعية فلا بد للمستأجر في مساعدة سيده إذا ما وقع عليه سوء أو أصيب بضرر بينما على السيد أن يساعد المستأجر في أوقات مرضيه وأزماته . فهى علاقة سيد مالك بشريف مفلس ، غير أن العلاقة تشبه القرابة بل أكثر من اثنين متقاربين في بعض الأحوال .

وتنظم الحياة اليومية في كالينجا علاقات القرابة في مجتمع قبلي نمطى . ولا يشذ عن ذلك إلا بعض الحالات القليلة النادرة التي تطغى فيها الإعتبارات السياسية القومية على مصالح العشيرة . وفي معظم الأحوال لم يفقد الكالينجانيون السمات الكاملة للمجتمع البدائي إلا أنهم قد أضافوا قليلا من المظاهر السياسية لكي يتمكنوا من معالجة أمورهم الخاصة . فنظام العشيرة في أخذ الثأر مثلا لم يتوقف

بمعاهدة السلام أو بتأثير البانجات ، فدفع التعويضات والمخادعات التي تأخذ مجالا هنا بين الجانبين المشتركين في الواقعة تهدف إلى عدم الرغبة في الصراع بينها لسبب أو لآخر وفي الواقع قد ترتبط اعتبار شخصية بقيادة مجموعة صيد الرؤوس Head - hunting وهي إحدى الوسائل البدائية للحصول على المركز المرموق بعيدا عن الوسائل المورثة لواحد فقط هو الذي يمكنه قيادة مجموعة صيد الرؤوس حيث يضع وشما يميزا ويحترم رأيه في المناقشات الهامة .

وينظر دائما إلى جملة صيد الرؤوس على أنها عمل إنتقامي ولكنها تعتبر لدرجة كبيرة عمل غير شخصي . فالضغينة ضد شخص من عشيرة أخرى أو ضد جماعة تعيش في إقليم بعيد قد تورث لعدة أجيال ولذا فالانتقام قد يوجه إلى أحفاد مؤسس الضغينة . وهكذا قد تحدث الاعتداءات بسهولة وتهاجم مجموعة أخرى لم يسمع أفرادها عن أسباب الانتقام أو عن الرغبة فيه .

وتتكون الجملة في العادة من خمسة أو ستة رجال الذين يتسللون إلى حدود الخصم وينتظروا في الادغال إلى ان يتصيدوا أحد . وبعد أن تقتل الفريسة تنزع الرأس من الجسد وتحمل معهم إلى إقليمهم حيث يعقدوا احتفالا كبيرا توضع فيه للرأس على عصي ويرقص الجميع حولها ثم تتناول المجموعة المحاربة بعد ذلك المنع مزوجا بعصير قصب السكر . وتمارس هذه الشعائر من أجل اعتقادهم أن احضار رؤوس اعدادهم تزيد من خصوبة حقولهم وحيواناتهم المستأنسة ونسائهم كما انها تحسن الثروة العامة . ويحرص الابناء الصغار على وجه الخصوص للاضطلاع بدور في مجموعة الحرب وذلك لان مركزهم أقل من مركز المولود الأول وأن المكافأة التي سيمنحها الأب لهم عقب إداء المهمة قد تذهب لاعطائهم بعض الحقوق التي اعطاها من قبل لاختيه أو يعطيها مجالا لاختيار حقول أخرى .

ويعتبر ميلاد الطفل الأول للزوجين حادث هام حيث أن ميلاد يثبت الأسرة على الرغم من الذرية بعد ذلك أقل قيمة ، وتعتبر زواج الكالينجا نوعا من الزواج الاختيارى Trial marringa إلا أن يأتي الطفل الأول . وسلسلة الاحتفالات والأعياد التي يقوم به أقارب الزوجين ليست مجرد لإعلان مولد طفل والترحيب به كعضو جديد إنما لإشهار أن المجموعتين أى مجموعة الأب ومجموعة الأم قد اتخذتا سويا بقدوم هذا الطفل .

ودخول الطفل فى مجتمع كالينجا أمر طبيعة وذلك عن طريقة تقليد الطفل للأشخاص الكبار . والشئ الوحيد الذى يلحق للطفل هو تاريخ المجموعة العشائرية ولاسيا فيما يتعلق بالمشاكل والأعداء والديون وما يتضمن هذه المسائل بين علاقات جماعات أخرى . بعض الأمور الأخرى مثل جغرافية المنطقة ، والأمثلة الشعبية والاساطير والرقص والدين فجميعها يتعلمها الفرد من المجتمع عفويا فكما أن المفروض ألا يتعلم الأطفال المشى أو الكلام كذلك ليس هناك محاذير نحو أى سلوك معين حتى ولو كان خطر على الطفل .

وما أن يتقدم الأطفال فى مرحلة الطفولة حتى يبدأوا تدريجيا فى ممارسة أنشطة البالغين . فيشجع الصبية على وجه الخصوص للشجاعة وعدم رهبة القتلى فحينما يحضر مجموعة صيد الرؤوس أو مجموعة الحرب جثة عدو إلى مكان العشيرة يسمح على للأطفال بطعمها وقطع لحوم من عظامها . وقد يتخذ البالغون خطوة اجريء من ذلك فيدرب أبنائهم على أشياء حية فعلى سبيل المثال قد يشجع على الانقضاض على قروى فجأة وطعن معقدة بالرمح وقد يحنى الصب مركزا هامابين اقرانه نتيجة لهذا العمل .

وما أن يصل الأطفال إلى سن عشر سنوات حتى يتركوا منازل ذويهم ويذهبوا

الى نوع من المنامة العامة مع مجموعة اقراهم من نفس النوع وسرعان ما يترك الصبيان والفتيات للاختلاط بحركة وتقضية أوقات ممتعة . فعدم مسئولية الكبار - التي تسبب مشكاة للاباء في المجتمع الحديث - تعتبر هنا مسألة طبيعية بل أن حرية الاولاد تأكد بابتعادهم عن مقر الابوين ، غير أن الزواج الذي يحدث طالما اعتبر الغلام ناضجا يصحبه كثيرا من التغير .

وينشغل أطفال الكالينجا دائما بالزواج منذ صغرهم . فقد يخطب الاباء لابنهم فتاة قبل ولادتها . فقد يتقدم والدى الطفل بالعرض بطريق غير مباشر أو لاحتى لا يشعوروا بخجل إذا رفض مباشر من عائلة البنت . وإذا ما قبل العرض يتناولون الهدايا وتقام وليمة . وقد يتبادل المجموعتان بين ذلك الهدايا باستمرار طالما هذا الاتفاق قائم . وقد يقام حفل كبير يحضره أقارب المجموعتين وذلك كإشهار لحفل زواج الصبي والفتاة . وبعد ذلك يمشى الزوجان في منزل اسرة لمدة ثلاثة أو أربعة شهور يذوقوا بعدها إلى مقرهم الخاص والذي يكون في العادة بالقرب من منزل الفتاة . وبعد ميلاد الطفل الأول تقام حفلة يعطى فيها أهل الولد الهدايا إلى جميع أقارب أهل الفتاة حيث يعتبر الزواج منذ هذه اللحظة قائم على اساس متين .

والطلاق مسألة شاسعة بين زواج الاطفال ولكن قد يحدث ايضا بعد ميلاد الاطفال . والسبب في معظم الاحيان يعود إلى فشل احد الزوجين في القيام بمسئولية المنزلية ، أى الطلاق بسبب عدم ثقة أو الغيرة الجنسية فنادر جدا . فالزوج عليه أن يقوم بالاعمال الصعبة في الحقل مثل الحرث ونسوية الارض وتنظيفها كما عليه أن يتحمل جميع أمور الاسرة من بيع وشراء وسياسيه أو المشاركة في الانتقام لضرر اصاب العشيرة . أما امرأة فيقتصر عملها أساسا في المنزل وفي المساعدة في الزراعة وحصد المحصول .

وقد يلجأ بعض الرجال في طبقة أغنياء كالينجا إلى إبقاء خليله لهم في قرى غير تلك التي يقيمون بها . وهذا أمر معترف به في نظام كالينجا حيث تشعر المرأة في هذه الحالة أن زوجها غير قانع . وقد يعترف بالأطفال غير الشرعيين غير أنهم لا يصلون أبداً إلى مرا كز مرتفعة وذلك لأنهم لا يستطيعوا أن يربوا أكثر من نصيب بسيط من ثروة أبيهم . وفي حالة عدم الإنجاب الزوجة يلجأ الرجل للحصول على خليله حيث تساعد في الاختيار زوجته .

ويعتقد الكالينجانيون أن المرض والموت المصاحب للضعف من فعل أرواح شريرة وغيور بها لأسلاف قضى نحبهم . ولذا فقد تتضمن شعائر الحزن نحر بعض الحيوانات كقربان لهذه الأرواح وإقامة الصلوات من أجلها . وقد يستغرق الشامان في صلواته وشعائره فترة طويلة من الزمن تستمر يوم ونصف وذلك من أجل طرد الروح الشريرة من المريض . وفي مجتمع كالينجا نجد أن مهنة الشامان تتركز كاية في أيدي النساء الكبيرات حيث يقلن أن أرواحن قد تزوجت من أرواح فيما وراء الطبيعة وأن الشعائر تقام لهم عن طريق الأرواح . ولا يوجد إلا قليل من الرجال الذين يمتنوا وظيفة شامان غير أنهم يعملوا أساسا في إقامة شعائر جماعات الغزو ولا يهتمون بالأجور الفردية .

وحيثما يموت شخص مريض فإنهم يسرون لمسافة طويلة من أجل إبعاد أرواح معينة وهي التي سوف تأكل الميت . وقد يوضع الميت جالسا على كرسي عريض حيث يجلس إلى جواره أرملة أو أرملة أو أرملة طوال الوقت الذي تستمر فيه الحداد . يقف كذلك والدة ووالد المتوفي مع أقاربه أمام المنزل ليصرخوا بأصوات عالية . وإذا كان الماتم لرجل مسن فتقسم المسيرة بالفرح والغناء وتقام وليمة وقد تبقى الجثة بدون دفن لفترة ما بين ١٠ و ٣٠ أيام وتدفن بعدد في حقول

الأرز . وفي اليوم العاشر يرتل الشامان أدعية لطرد الروح لعالم السماء عالم
أرواح الأسلاف وبعد ذلك يوضع الأرز المطبوخ وعصير القصب المخمر وفي
بعض الأحيان قبة إلى جانب القبر اعدة أسابيع .

وتشمل آلهة كالينجا عددا من طبقات المخلوقات والننى أهمها إله كابونجان
Kapungan الذى من أجله يضحي بالختاير والدواجن والذى يعتقد أنه يزيد
من خصوبة الحقول . ذلك إلى جانب الآلهة التقليدية الممثلة فى آلهة الرعد
والبرق والرياح وبعض الأمراض المعينة ، والآلهة المعديدة للظواهر والأقاليم
الجغرافية . ومن العجيب أنه فى مجتمع زراعى لا توجد آلهة للشمس أو القمر .
ومن مجموعة الآلهة أو الأرواح الآلهة الخيف بولاياو bulaiyao الذى يقبض
ويأكل أرواح الموتى ، والآلهة أنيتو Anitu الذى يظهر على هيئة أشباح وأرواح
الموتى والذى يلام دائما على المرض وسوء الحظ . وقليل من أرواح الأسلاف لها
قدرة على معاقبة خلقهم على الأفعال الخاطئة ولا سيما تلك الأفعال التى تعتبر ضد
مصلحة الأسرة . وقد تقرب هذه من دين مجتمع الكالينجا الذى يتضمن قيا
خلقية وروحية .

ويتسم الرقص والموسيقى عند الكالينجا بأنه شعائرى لدرجة كبيرة غير أنه
قريب من دينهم . فأعداد البامبو المختلفة الأطوال تعطى كما هو الحال عند غيرهم
من الاندونيسى أصوات مختلفة وهى أداة الإيقاع الرئيسية لديهم . أما عن الرقص
فيذكر بارتون Barton ، أن شئ جميل أن ترى الرجال يتقدمون ويتراجعون
بينما تنبث ضربات الموسيقى من الأفواه وتحيط بهم النساء اللاتى ترعين النوقيت
ليتقدم للرقص فى مواجهة الرجال والكالينجانيون مولعون بالألوان البراقة لذا
فقد يضعون على رؤوسهم أو فى آذانهم باقات الزهور ، .

غير أن هذه الصورة لا توجد حالياً في حياة مجتمع الكالينجا إذا أن الازداف الضيقة والأجسام النحيفة للرجال قد غطت بملابس قدره مهله كما ترتدى النساء ملابس فضفاضة لاشكل لها . وقد تمكنت مدارس البعثات البشرية والتي ضمت مدرستين أحدهما كاثولوكيه والأخرى بروتستانتية من ترك تأثير واضح ذلك بالإضافة إلى اكتشاف المناجم في إقليم كالينجا وبناء الطرق قد وضع نهاية لعزلة المجتمع الكالينجاوى .

وقد حاول الامر يكيون القضاء على نظام المجموعة صيد الرؤوسى *Head-hunting* منذ أن بسطوا نفوذهم على المناطق الجبلية الشالية في لوزون بعد عام ١٩٠١ غير أن المعدات الخاصة بالعدل والتي من بينها نظام صيد الرؤوس كان من الامور الهامة في مجتمع كالينجا حتى عام ١٩٤٠ إذ إن المنازعات المحلية كانت ما تزال تدفع السلطات للقيام بعمل ضدهما ففي عام ١٩٤٧ ظهر عنوان رئيس تحت باسم « حرب قبائل كالينجا تنتهى تقريبا » في جريدة فلبينية وتضمنت المقال ما يلى .

الحرب الاهلية في كالينجا بين قرية مابونجتوت *Mabongtut* ولوبواجان *Lubuagan* ومانجالى *mangali* وتانوران *Tanudan* قد انتهت حديثا بتدخل الملازم ماريو بانس *Bansen* وانطونيو كانو حاكم لوبواجان وتبعاً للمعلومات المستقاة من تلك القريرتين فقد كانت الحرب مستمرة بينهما في الماضى غير انه عقد بينهما حديثا معاهدة صلح أو على أى حال فحتى شهر أغسطس كان رئيس قرية مابونجتوت الذى عقد الصلح قد مات وفي هذه الحالة كان على توقيع معاهدة جديدة وإلا تتجدد الحروب القديمة مرة أخرى .

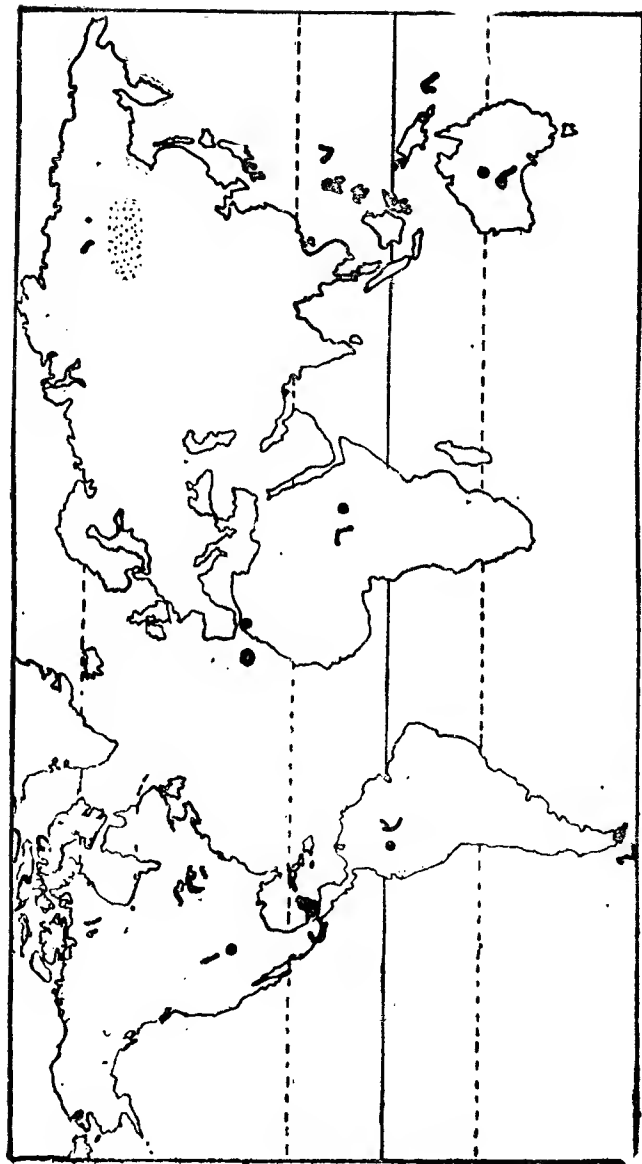
وفي هذه الظروف الغريبه لم تبذل أى محاولة لتجديد المعاهدة بين القريرتين ومن ثم بداءت الاضطرابات حينما تمت محاولة للقضاء على رئيس تانوران . ومنذ

تلك اللحظة بدأت الاوضاع تسيء واستعدت التريتان للحرب طبقا لتقاليد اسلافهم مع الفارق في نوعية الاسلحة التي سوف يستخدموها الآن ولحسن الحظ فان تدخل الملازم بانسور رئيس كانوا قد حال دون سفك الدماء فمقدت معاهدة جديدة وتبادل رؤساء القسرى الرماح كرمز للسلام واقاموا احتفالات استمرت اسبوعا . (شكل ١٣، ١٤، ١٥)

أما المؤسسات الأخرى المعترف بها في النظام الكالينجاي فقد برهنت على قدرتها على الاستمرار فنظام دفع التعويضات ظل دائما مقبولا كفدية أو بديل يأخذ الآن شكلا واسعا : فلفترة طويلة وحتى الآن مازلت المؤسسات والتنظيمات الكالينجاية تمارس كامل صلاحيتها على الرغم من أن حكومة الجزر تفرض قانونها فيها ومن ثم يماقب المذنب في كالينجامرتين أحدهما من الحكومة والأخرى من عشيرته .

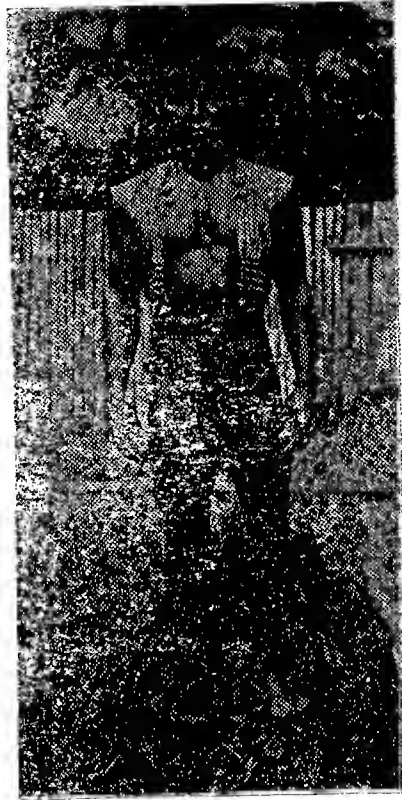
أما ديانه كالينجا فتموت ببطء غير أن الديانه المسيحية لم تتمكن بسهولة من أن تحل محلها . فتمتد قبل عدد من الكالينجاوين عضوية الكنيسة المسيحية غير أنهم وجدوا من الصعب اتباع تقاليدها .

وبصفة عامه نجد أن تأثير الحضارة الأوربية على الجماعات البدائية في الفلبين لم يكن أفضل حالا من تأثيرها على الجماعات البدائية الأولى التي تعيش في الاماكن الأخرى من العالم . فقد ظهرت الاوبئة بينهم في فترات متعددة غير أن بارتون قد ذكر في عام ١٩٤١ إن سكان كالينجا قد زاد عددهم . ويعمل تقريبا كل الرجال الشبان في المناجم ، كما أن الثروه الاضافية الناتجه عن هذا العمل حسنت مستوى معيشتهم وبالإضافة إلى ذلك فقد نجحت الحضارة الأوربية في القضاء على أفه الماشية وزيادة الرعاية الطبية فقللت من نسبة الموتى بين الأطفال . وقد كانت اسهل وأسرع طريقة لتغير أسلوب حياة السكان في هذا المجتمع البدائي هو إلحاقهم بالمدارس نظير أجر يومي ومن ثم فيمكن التنبؤ ان أفراد مجتمع كالينجا سوف يتحولون قريبا إلى مواطنين فلبينيين كاملين وذلك من وجهة النظر الحضارية والقانونية

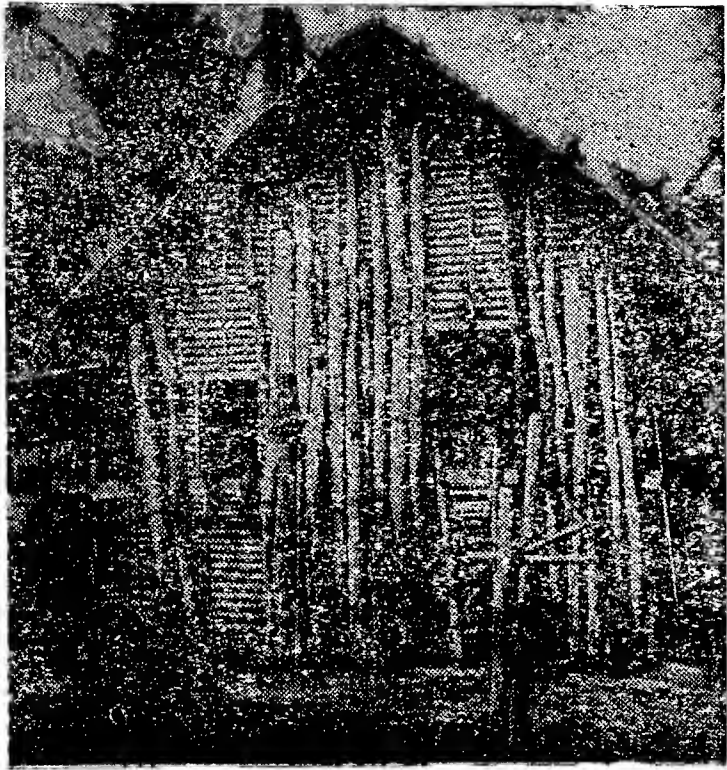


شكل (١٣) توزيع بعض الجماعات البدائية

- | | | |
|--------------|------------------|---------------|
| ١ - الصين | ٥ - المديونة | ٩ - الارتن |
| ٢ - الملايا | ٦ - النوير | ١٠ - التانجوس |
| ٣ - الجفانرو | ٧ - الكالينجا | ١١ - الاسكيمو |
| ٤ - البانان | ٨ - التوريريانند | |



شكل (١٤) شاب من كالينجا



شكل (١٥) كوخ الكالينجا

المـايا

The Maya of Mexico



المايا

يرتبط التطور الحضارى للهنود الأمريكيين بمصدرين تاريخيين هامين الأول هى حضارة الانديز التى استمرت مزدهرة إبان اسرات ألانكا وحتى نهـايتها . والمصدر الثانى هى حضارة أمريكا الوسطى ذلك الإقليم الذى يتفق مع الهضبة الوسطى جنوب المكسيك لتشمل يوكاتان وجواتمالا وجزءاً من هندوراس فى أمريكا الوسطى . هذان المصدران كمركزين للحضارتين بكل ماتعنيه كلمة الحضارة حيث نظم المجتمع على أساس مدنى وكان الأساس دولة مدن city-state أكثر منه نظام عشائرى . وقد ميز هذا النظام كل القبائل الأخرى الهندية الأمريكية .

وقد كان لإقليم أمريكا الوسطى وحدة حضارية وإن كان قد حال دون تجانسه الكامل الاختلافات الجغرافية والسيادة السياسية لبعض الأمبراطوريات الصغيرة التى بسطت نفوذها على مساحة من الأرض . غير أن هذه الدول المنفصلة التى وجدت فى الإقليم قد شاركت جميعها فى الملامح الأساسية لحضارة أمريكا الوسطى .

ومن أشهر هذه الدول أو الممالك مملكة الأزتك Aztec والتولتيك Toltec واللتان تركزتا حول مدينة المكسيك . وقد وجدت ممالك أقل شهرة ولم تكن اشتملت على بعض التطورات الحضارية المؤثرة . فمملكة ميشواكان Michoacan بالمكسيك إلى الشمال والغرب من الأزتك كانت جزءاً من أمبراطورية حربية قوية استطاعت أن تحتفظ بحدودها بين جيرانها . ذلك بالإضافة إلى أنه قد عثر على عدد من المواقع الأثرية إلى الشرق والجنوب من مدينة المكسيك مثل موقع شولولا Cholula الذى يضم تطورات حضارية مشابهة وزابوتيك Zapotec وميكستيك Mixtec إلى الجنوب منها فى Oaxaca ومواقع أوليك

Olmec وتوتوناك totnac و Huastec على طول ساحل خليج تاباسكو Tabasco ومواقع فيراكروز التي لم تبحث بحثاً أثرياً مستفيضاً وأخيراً في منطقة إحراج يوكاتان وإقليم بتن Peten في شمال جواتيمالا والمناطق المحيطة بهندوراس توجد بقايا أهرامات حجرية وسلسلة من معابد المايا .

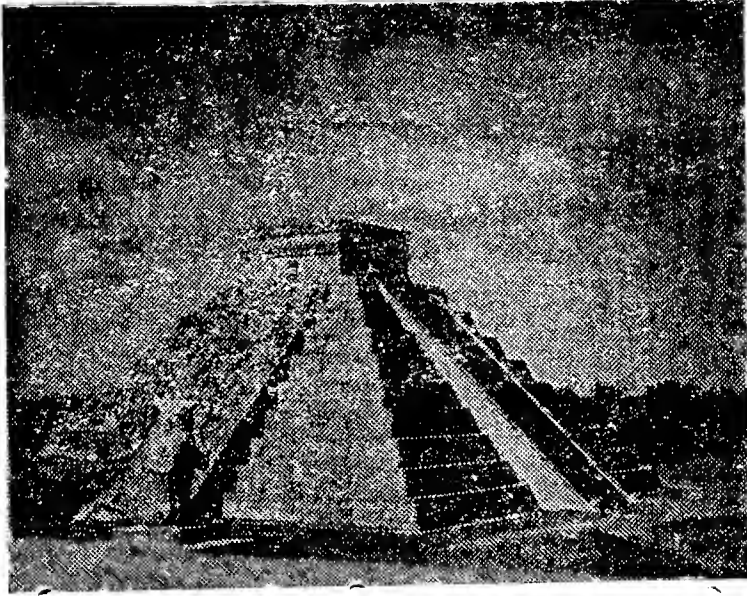
وبما هو جدير بالذكر أن المواقع الخارجية في الأراضي المنخفضة للمايا والتي تحمل سمات حضارة أمريكا الوسطى قد نالت من اهتمام دراسة أساتذة علم الآثار ما لم ينله أى منطقة أخرى في العالم الجديد حتى في خلال القرن ١٦ م . كما لفتت آثار مراكز المايا نظر الأسبان فتركوا عديداً من المؤلفات عن حياة المايا حيث ظلت هذه المؤلفات للأسف عدة قرون لم يعرف قيمتها ومن بينها كتاب عن تاريخ ووصف يوكاتان ألفه القس دييغو دى لاندو Diego de Landa في عام ١٥٦٠ والذي وضع بناءً على ملاحظاته بعد غزو الأسبان لهذه المناطق بفترة قصيرة . وهناك مصادر أخرى تتناول تلخيصاً لتاريخ المايا القديم وللمستندات التاريخية التي خلفها هنود المايا بشأن الحروف الأبجدية الأسبانية والمسكوبة بلغة المايا .

وبعد الغزو الأسباني لهذه المناطق انتشرت الأمراض الأوروبية بين السكان وحتى اليوم نجد أن انتشار الملاريا والحشرات في جزء كبير من أراضي الأحرار المنخفضة قد جعلها تكاد تكون خالية من السكان . وكنيجة لذلك نجد أن عدداً كبيراً من بقايا ومخلفات حضارة المايا قد بقيت كمدن مفقودة Lost cities حتى القرن ١٩ حينما لفت عديد من الرحلات الإستكشافية نظر العالم الخارجي إلى هذه البقعة الحضارية . وربما كان من أبرز هذه الرحلات وأدائها تلك التي قام بها جون لويدي ستيفنسون John Lloyd Stephens في عامي

١٨٣٩ و ١٨٤١ . وقد ذهب جون لويد الأمريكى فى رحلته لهذه المناطق بصحبة فنان انجليزى حيث أصدر مؤلفين مزودا بعديد من الصور والرسوم التى قام زميله فى الرحلة فردريك بإعدادها وقد كانت هذه المؤلفات هى المسئولة عن إزكاء الروح العلمية للبحث عن حضارة المايا فى كل من أوروبا وأمريكا .

وقد تم أول عمل أكاديمى عن المايا بواسطة الأركولوجى الإنجليزى السير ماودسلاى Sir Alfred Maudslay فى الفترة ما بين عامى ١٨٨١ و ١٨٩٤ ، كما أن أول بعثة علمية منظمة لدراسة المايا كانت بعثة المتحف الأركولوجى الإثنوجرافى لجامعة هارفارد التى أرسلت فى عام ١٨٩٢ . أما فى الوقت الحاضر فأبتداء من عام ١٩١٥ استمرت مؤسسة كارنى فى واشنطن Carnegie Institution of Washington فى برنامج الدراسات والإستكشافات لم يسبق له مثيل فى أى إقليم أترى . وقد ساهمت مراكز أخرى للأبحاث فى إزاحة النقاب عن حضارة المايا مثل الجمعية الإثنوبولوجية التاريخية بالمكسيك Instituto de Antropologia et Historia de Mexico ، ومتحف جامعة بنسلفانيا ، ومركز أبحاث جامعة مولدن بأمريكا الوسطى The Mildden American Reserch Institue of Tulane university ، والمتحف البريطانى ومتحف التاريخ الطبيعى بشيكاغو .

وقد كانت حضارة المايا مثيرة جدالديد من الدارسين الذين تفرغوا لدراستها وتحليل عناصرها . فبقايا الأهرامات الكبيرة (شكل ١٦) والمعابد وفيرة وجميلة فى نفس الوقت الأمر الذى يدفع للتساؤل كيف تمكن الهنود الأمريكيين من بنائها فى تلك المناطق الصعبة . وربما أكثر إثارة السمات الذكية لحضارة المايا فنظام التاريخ على الرغم من تعقده إلا أنه كان يرتبط بالدورة الفلكية كما هو الحال فى



شكل (١٦) احدها هرامات المايا في يوكاتان

أى مكان آخر فى العالم ، والكتابة الهيروغليفية التى ارتبطت بالحضارة الكلاسيكية فى شرق البحر المتوسط ، وفى الرياضة واستخدام الصفر وتغير موضعه العددي قد استخدم قبل أن يعرفه الهنود الأمريكيين حيث انتقل إلى الحضارة الغربية قبلهم .

ولسوء الحظ لا يعرف شيئاً عن أصول هذه الظواهر الحضارية غير أنها ليس بالضرورة أن تكون ما يوايه . فالنتيجة ونظام العدد والإهرامات والكتابة الهيروغليفية وغيرها من الأشياء كانت معروفة لكل مناطق أمريكا الوسطى . وعلى الرغم من أن بقايا قليل من الحضارات الكبرى القديمة فى العالم مثل تلك الموجودة فى كامبوديا وجاوة قد وجدت فى الغابات المدارية غير أن هذه الحضارات قد قدمت من الخارج إلى هذه المناطق حيث ازدهرت هناك . وربما افترض أن الظروف الملائمة لتطور الحضارة لا بد أن تكون أكثر تخصصاً من تلك الظروف التى تتطلبها المرحلة الأخيرة من انتشارها وذيوعها . ومن ثم يبدو أن العناصر الأساسية التى كونت الحضارة قد نمت فى المناطق المرتفعة فى أمريكا الوسطى حيث أن ضبط المياه والتحكم فيها عن طريق الري والصرف أدى إلى زراعة بدائية ومن ثم وجدت الحضارة المدنية بمقوماتها المناطق المرتفعة أكثر ملاءمة لها من المناطق الغاية الواطئة .

غير أن المختصين بدراسة المايا يعتقدوا أن أصحاب هذه الحضارة قد طوروا حضارتهم إلى مرحلة النضج فى المناطق المدارية . ولكن ليس هناك دليل على أن المايا قد طوروا العناصر الأساسية للحضارة بأنفسهم أو أنهم كانوا سابقين لغيرهم فى أمريكا الوسطى لذا فيقترح بعض الباحثين أنه من الأفضل أن ننظر إلى المايا على أنهم يمثلون مظهراً عاماً لحضارة أمريكا الوسطى أكثر من كونهم

يمثلون مستوى أرفع ويؤكد ذلك أريك تومبسون في كتابه عن ازدهار وسقوط حضارة المايا الذى ظهر فى عام ١٩٥٤ حيث يقول « أنه يعتقد حضارة المايا كانت خلاصة شخصية المايا إلى جانب عناصر أساسية أخرى - أقلية خلافة ذات تصور واسع ونشاط عقلى وأنها بدأت حضارة المايا فى الأراضى المنخفضة وحافظت عليها عبر الزمن لعدة مئات من السنين » .

وقد شغلت حضارة المايا القديمة ثلاث مناطق ايكولوجية متميزة . المنطقة الجنوبية وهى منطقة جبلية تتكون من الأراضى المرتفعة فى جواتيمالا والمناطق المجاورة لها كذلك الإقليم المشابهة فى سلفادور . هنا يعيش السكان الأصليون المتحدثين بلغة المايا فى أعداد كبيرة تفوق أعدادهم فى المناطق المنخفضة . وهذه المنطقة لم تكن منطقة سيادة الأهرامات الكبيرة أو بناء المعابد ولذا لم تكن هى بؤرة أبحاث الأركولوجيين . أما المنطقة الثانية وهى المنطقة الوسطى وتشمل إقليم الأراضى المنخفضة والذى يتوسطه إقليم بيتون Peten district فى جواتيمالا . وهذه المنطقة خالية الآن من السكان تقريبا ولكنها فى وقت من الأوقات كان يوجد بها أكبر مدن حضارة المايا . أما القسم الشمالى فيكون شبه جزيرة تشمل دول المكسيك الممتدة فى كامبشى Campeche ويوكتان وكويتانا رو Quintana Roo وإذا كانت مبانى مدن المايا الكلاسيكية قد انحسرت فى الإقليم الأوسط فإنها قد انتشرت مؤخرا إلى المنطقة الشمالية ولكن بدرجة ازدهار أقل وقد كانت المنطقة الأخيرة هى أكثر المناطق التى عرفها الباحثون وذلك لأنها المنطقة الأولى التى خلف عنها الأسبان معلومات كاملة

وتقع كل من المنطقتين الوسطى والشمالية فى نطاق الغابات المدارية البوطة ، كما أن تربتها رقيقة تتركز فوق أساس من الصخور الجيرية . والمنطقة الوسطى أكثر ارتفاعا قليلا من المنطقة الشمالية وأكثر تعرية ومن ثم تجرى بها الروافد



شكل (١٧) سيدة من المايا تقوم بأعمال النسيج.

المائية وتكون البحيرات الضحلة . وتسقط الأمطار بغزارة بالقرب من المرتفعات في الفصل المطير بينما يستمر فصل الجفاف من شهر يناير إلى شهر مايو . وتقل الأمطار تدريجياً كلما اتجهنا صوب الإقليم الشمالى كما تنبسط الأرض غير أنه بسبب مسامية الصخور الجيرية التى تمثل القاعدة الصخرية فإن الأنهار تختفى وتصبح مصدر المياه الوحيد هى البحيرات العميقة Deep Pools والمعروفة بأسم Cenotes والتى تظهر حيث توجد انكسارات أو شقوق فى الحجر الجيرى وحيث تظهر المياه الباطنية ويبدو أن كل الإقليم المنخفض لا يصلح لتطور راقى للزراعة . شكل (١٧)

وربما كانت صخور الحجر الجيرى فى بيئة الأراضى المنخفضة هى المصدر الطبيعى المسئول عن إعطاء حضارة المايا صفاتها التى ميزتها بوضوح عن غيرها من حضارات أمريكا الوسطى . فهذه الصخور يمكن تحجيرها وقطعها وتسويتها بسهولة حينما تكون حديثة التكون غير أنها تصبح صلبة إذا ماتعرضت لعوامل الزمن . وحينما تحرق صخور الحجر الجيرى تتحول إلى جير الذى يخلط بحصى الحجر الجيرى ويكون مونة جيدة . ولا شك أن مهندسى ونحاتى المايا كأشخاص متميزين عن هؤلاء الذين وجدوا فى الأراضى المرتفعة بأمريكا الوسطى - قد عرفوا بميزات هذا المصدر الطبيعى الوفير .

ولا تقدم الأراضى المنخفضة من النواحي الأخرى أى ظروف مواتية للتقدم الحضارى . فالحياة الحيوانية فى الأحراش كانت أكثر وفرة من الأراضى المرتفعة إذ ضمنت تلك الحياة حيوان الجاجور والقرود والنور إلى جانب عدد كبير من أنواع الطيور التى كانت تمثل مصدراً هاماً للصيد ذلك بالإضافة إلى وجود عديد من الفاكهة البرية غير أنه كان من الصعب جداً زيادة السكان أو إيجاد طعام كاف كما هو الحال فى المناطق المرتفعة حيث التحكم فى المياه من

أجل الزراعة وقد زرع أصحاب حضارة المايا نباتات تشبه تلك التي قام بزراعتها غيرهم من الهنود الأمريكيين مثل الذرة والبقول والقرع وهي المحاصيل التي زرعها الأمريكيون الكلاسيك وإن كانت الذرة تعتبر أهم المحاصيل الثلاثة .

أما النباتات الجذرية الأمريكية فهي البطاطا واليام والمانيوك والنس تلت في أهميتها مجموعة المحاصيل الثلاثة الأولى ذلك بالإضافة إلى عديد من التوابل ولا سيما الفلفل الشهي والفانليا إلى جانب الكاكاو والتطن والتبغ أما الغايات فكانت مصدراً للأخشاب لصلبة والأوراق التي صنعت منها الخيوط والنحل واعدد كبير من الحشرات . ومن ثم فكل هذه الصفات التي توجد في تلك المنطقة تظهر مرة أخرى في كل أقاليم الغابات المدارية في أمريكا الوسطى والجنوبية .

وتاريخ الإستقرار في إقليم المايا المنخفض - كما تبينه الأدلة الأركولوجية - لا يعود إلى جـذور حضارة أمريكا الوسطى وهي . في ذلك الصدد تشبه غيرها من المناطق الأثرية في أمريكا الوسطى حيث لم يكتشف في أحدها هذه الأصول . فالمواقع الأثرية الأولى أو الأقدم في تاريخها والمعروفة والتي تبدو أبسط . وأصغر في عددها من المواقع العديدة التي عرفت بعد ذلك كلها توضح أن الحياة الاقتصادية للمجتمع قامت على الزراعة . . ويرجع تاريخ هذه المرحلة إلى الفترة ما بين عامي ٥٠٠ ق.م. و ٣٠٠ م. وهي الفترة التي تعرف باسم فترة التكوين **Formative** والتي صاحبت مظاهر خاصة لحضارة أمريكا الوسطى مثل تشيد الأهرامات ومعرفة الهيروغليفية ، والتأريخ وصناعة الفخار والتماثيل وبعض رسم صور الحيوانات كالشعابين والجاغور .

أما الفترة الكلاسيكية **classic period** فهي الوقت الذي انتشرت فيه حضارة المايا انتشاراً واسعاً من منطقة تركزها الوسطى وتبدأ من ٣٠٠ م.

لتصل إلى قمتها في عام ٨٠٠ م. وليعقبها بعد ذلك فترة من الإضمحلال السيامى تستمر من عام ٨٠٠ م. إلى عام ٩٢٥ م. وقد شهدت يوكاتان في ذلك الوقت خضوعها للغزاة المكسيكيين الشماليين أو النولتك **Toltecs** والذين استمروا حتى عام ٢٢٠٠ م. حيث تمكنت حضارة المايا من استعادة ازدهارها تدريجياً مرة أخرى . ولكن حدث في القرن الخامس عشر حروب محلية أدت إلى اضمحلال الحضارة مرة أخرى ومن ثم فمع وصول الأسبان إلى يوكاتان في عام ١٥٢٧ لم يكن هناك أى وحدة سياسية أو إمبراطورية أو أى اتحاد فدرالى في تلك المناطق . وربما كانت أسباب انهيار الإمبراطورية القديمة في الإقليم الأوسط واضطراب أيضاً الإمبراطورية الحديثة في يوكاتان كانت من الأمور الهامة التى شغل المهتمين بدراسة حضارة المايا الذين أعطوا تفسيرات متعددة تفاوتت من الحروب الأهلية إلى ثورة الفلاحين إلى فشل القيادة إلى تدهور الثروة الغابية . ولكن الأدلة المؤكدة هى وجود حروب أهلية ، وهذه الحروب تظهر أيضاً فى إمبراطوريات أخرى حتى إمبراطورية **Teotihuacan** القريبة من مدينة المكسيك والتى شهدت صعوبات فى نفس الفترة التى كانت تعاني فيها حضارة المايا الكلاسيكية من صواب مماثلة . ولكن من الممكن أن ننظر إلى هذه الحرب على أنها حرب مدنية كنتيجة طبيعية وكسبب لإنهيار سياسى . على أى حال فأسباب الإنهيار السياسى . ظلت أموراً غير معروفة ولذا لا بد أن نضيف حضارة المايا إلى قائمة الحضارات القديمة التى ازدهرت لتضمحل .

وقد يبدو أن تداخل وارتباط مرحلتى الحضارة الماياوية يشير أساساً إلى حجم العمالة التى استخدمت فى تنفيذ الأعمال العامة أكثر من كونها مراحل أثرت فى حياة أغلبية السكان : فقد اقتربت حضارة المايا من قمة ازدهارها مع الفترة الكلاسيكية فى المنطقة الوسطى حيث شهدت الاهرامات كمراكز مدنية كما

بنيت المعابد وصالات اللاب ، وأن ما يسمى باضمحلال هذه المنطقة يعنى فقط أنه لم تبنى مراكز جديدة انذاك هناك كما أن الراكز القديمة قد أهملت . وبعبارة أخرى فإن الايدى العاملة فى ميدان العمل العام قد انصرفت عنه عن طريق السلطة السياسية ، ومن ثم فازدهار وانهار حضارة المايا الكلاسيكية وحضارتها الشمالية إنما ارتبط بتغير قوة السلطة السياسية على نطاق كبير هذا هو أبسط النتائج إلى جانب أمور أخرى قد تتصل بإجهاد التربة أو ثورة الفلاحين أو فشل القيادة أو أى أسباب أخرى قد تؤثر فى السكان ككل قد حدثت وليس لنا بها علم .

وقد كانت حياة الأسرة العادية فى يوكاتان فى خلال الوقت الاخير من حضارة المايا يشبه تلك الحياة التى وجدت منذ آلاف السنين . فظواهر الحياة المدنية الراقية فى حضارة المايا والتى جذبت الاهتمام مثل فن العمارة والنسأريخ والكتابة وفن الرسم كانت من إنتاج متخصصين اعتمدوا فى حرفتهم على تواجد طبقة عليا من أفراد الحكومة البيروقراطية . وهكذا فيمكن لهذه الطبقة أن تعيش حياتها الخاصة فى مكان ما معتمدين فى ذلك على التاريخ السياسى للسكان . وبما هو جدير بالذكر أن وصف حياة الإنسان العادى الماياوى يدخل أساساً فى الاسس التى قامت عليها حضارة المايا .

فالاهتمام بالاساس للفلاح فى حضارة المايا انحصر فى حقل الحبوب إذ أن اللذة تمثل حوالى ٨٠ ٪ حالياً من غذاء المايا الحديث فى يوكاتان وربما كان نفس الوضع على الأقل موجود قبل وفود الاسبان حيث كان يوجد تنوعاً أقل من الاغذية الزراعية . ولعمليات الزراعية كانت مشابهة لتلك الموجودة فى المناطق المدارية الاخرى والتى تتضمن قطع الاشجار من المنطقة ثم حرق أخشابها ولذا التها

بعد جفافها ثم الزراعة والحصد لمدة عامين أو ثلاثة لترك الأرض بوراً بعد ذلك لفترة قد تطول أو تقصر ولكن لا تقل بأى حال من الاحوال عن عشرة سنوات فالاشجار قد تمزق أو تقطع على الفصل المطير بينما تحرق مع نهاية الفصل الجاف حيث يحدد يوم الحرق عن طريق القساوسة وذلك بعد إقامة شعائر هامة . ففي كل عام تنظف كل أسرة وتحرق حقل حبوب جديد حتى تستطيع أن تستمر فى حياتها مع الحرق الذى تم قبل ذلك منذ عامين أو ثلاثة . فتنبأ لدراسة الدكتور مورلى Dr. Morley أن المتوسط السنوى لعمل الاسرة بفردا ٤٨ يوماً وهو متوسط يسمح بوجوده وقت فراغ كبير للحكام الوطنيين أو القساوسة أو الغزاة الاسبان فيما بعد .

وقد كان منزل المايا بسيطاً فى تركيبه فهو قائم على عمود ويتكون من حجرة واحدة وذلك على النقيض من المباني الضخمة التى كان على هؤلاء الفلاحين البسطاء ان يتعاونوا فى بنائها . ومنازل المايا كانت متناثرة على نطاق واسع وأنها كانت تتجمع فى افضل الاحوال فى اكواخ صغيرة بمعنى انه لم يوجد لديهم محلة حضرية بمعنى الكلمة كما كان هو الحال فى Teotihuacan وفى المواضع الاخرى لأمريكا الوسطى وربما كان السبب فى ذلك هو طبيعته النظام الزراعى وما ارتبط به من مشاكل ترك الأرض بوراً ومن ثم فما يسمى بامم مدن المايا فقد كانت عبارة عن مراكز مدنية فقط. تضم المعابد والاهرمات وصالات اللعب وربما ايضا منازل بعض عليه القوم .

ولا يعرف إلا القليل عن الحياة المنزلية التى كانت تمارس فى الاكواخ الفارغة
ومن الالمان فقد كان الناس يجلسون على كرسي صغير وينامون على مصاطب منخفضة

ويطحنون الحبوب في طواحين حجرية تعرف باسم ميتات Metate والتي مازالت موجودة حتى الآن ، كما يطهون طعامهم في اوعية حجرية صغيرة فوق مواقد من الصلصال . وقد وصفت مصادر القرن السادس عشر عادات تناول طعام المايا كما يلي :-

الطعام الذى كانوا يتناولونه هو نفس الطعام الذى يأكلونه اليوم ويتكون من ذرة مسلوقه في المياه ومطحون وحينما ينقع يتحال في المياه ليكون مشروباً يعرف باسم « pozole » وهذا هو ما يتناوله كشراب أو طعام في العادة . ومن عاداتهم ان يتناولوا قبل الغروب بساعة وجبه تسمى Tortillas وفيها يأكلون اطباقاً معينه من الفلفل المجروش المذاب في قليل من الماء وعليه بعض الملح ذلك بالاضافه إلى بعض فول الارض المغلى ذات اللون الاسود والذى يطلقون عليه اسم baul بينما يعرفه الاسبان باسم Frijoles وهذا هو ميعاد الطعام الوحيد طول اليوم إذ أنهم يتناولون في الاوقات الاخرى المشروبات التى ذكرت سلفاً أما الملابس اليومية لعامة الشعب فقد كانت بسيطة حيث ارتدى الرجال بنطلون قطنى وفي بعض الاحيان قطعة كبيرة من القماش مربعة تربط حولي الاكتاف مع ارتداء صنادل من الجلد ، بينما تلبس النساء اردية قطنيه بها فتحات بسيطة للرأس والاذرع ويترك الرجال شعرهم ليطول حيث يصفونه على شكل ضفائر كما تحرق خصلة الشعر في قمة الرأس لنصبح صلعاء أما شعر النساء فيختلف في نمطه كثيراً مع وجود فرق واضح بين تصفيفه لدى الفتيات والسيدات المتزوجات وتستخدم الوشم ودهان الجسد للترزين الشخصى . وملابس النبلاء والقساوسة اتخذت اساساً نفس النمط غير انها كانت أكثر فخامة وزخرفة وكما هو الحال عند الازتك وغيرهم فقد صنع روب الاحتفالات من ريش زاهى الالوان ذلك بالاضافه إلى قلنسوة الاحتفالات التى صنعت لتمثل رأس الجاجور أو

الطيور أو الثعبان والتي كانت تمثل جزاء هاما في تقاليدهم وعاداتهم . وقد تضمنت ادوات الزينة متعددة الاذن والانف والشفة .

وتشكيل الرأس كانت مسائله شائعة بين المايا على الأقل كان لها صفة العموم بين السكان كما يوضح ذلك الفن الماياوي فشكل الرأس المرغوب فيه كان يشكل عن طريق وضع رأس الاطفال لعدة أيام بين لوحين مقلطحين احدهما من الامام والاخرى من الخلف، صفة طبيعية أخرى كانت مرغوبة لدى المايا وهي تقارب العيون cross-eyed حيث لجأ الاباء الى ربط كرات صغيرة من الصلصال في شعر الطفل وذلك من أجل أن تقرب المسافة بين العيون وتجعل الطفل يركز عليها كثيرا وحينما يبلغ الطفل من العمر اربعة أو خمسة اعوام يدخل مرحلة جديدة اتسمت بمزيد من التزين حيث تلتصق خرز بهيماء في قمة رأس الطفل وفي حالة البنت كان يوضع سلسلة تتدلى منها اصداق حمراء حول وسطها وذلك رمزا لعذريتها . وكان يطلب من الصبية والفتيات ان يحافظن على ارتداء هذه الاشياء حتى الانتهاء من احتفالات مرحلة البلوغ .

وقد ارتبط الحدث الاكبر في حياة الماياوي باحتفال البلوغ الذي يحضرة الصبية والفتيات سويا وتقام فيه شعائر ازالة رموز الطفولة بواسطة الكاهن وبعدها يقام احتفال وتوزيع الهدايا . وعقب هذا الاحتفال تصبح الفتيات مؤهلات للزواج في العادة بينما يلجأ الشباب للعيش سويا في اكواخ عامه للعزاب إلا ان يتزوجوا . وفي بعض الاحيان لا يستغرق الزواج فترة طويلة بعد احتفال البلوغ وذلك لان الاسر قد ارتبطت مع بعضها بشأن زواج ابنائهم منذ صغرهم ولا يعرف إلا قليلا عن قواعد الزواج لدى المايا ، وكل ما هو معروف ان الشخص لا يستطيع ان يتزوج احدا من عائلة أبيه ، وان اسرة الصبي تتحمل كل مصاريف

العرس كما انها تساهم بالهدايا إلى والد العروس كما ان العروسين قد يعيشا لفترة عدة سنوات إلى جوار الزوجة وذلك قبل ان يقيموا منزلها الخاص . واسم العائلة Surname قد يعطى من الاب إلى الابن كما كانت تورث الارض ايضا من الاب إلى الابن .

أما المرض فقد اعتقد اصحاب حضارة المايا انه من فعل الارواح نتيجة لبعض الاعمال السيئة التي قام بها الشخص المريض وفي مثل هذه الحالة يحاول الشامانون علاج المرضى عن طريق الصلوات والشعائر ووصف بعض الاعشاب . والموت شيء مخيف للمايا ، ويقام المأتم والاحزان بواسطة أقارب المنوفى على شكل مهيب وتستمر عدة أيام ، وعادات الدفن بين عامة الناس كانت بسيطة حيث تلف الجثة في القماش ويملاء الفم بالذرة والحرز القيم وبعد ذلك يوارى تحت المنزل . أما ابرز الحكام فيدفنوا في نصب حجرية تحت الاهرامات وحيث توضع معهم كميات كبيرة من الاشياء القيمة.

أما عن المعتقدات العامة لدى المايا فقد تضمنت عددا كبيرا من المعتقدات في الالهة الطبيعية على وجه الخصوص وذلك إذا ما كان اعتمادنا في ذلك على المايا الحديثون - التي لها تأثير على المطر والخصوبه فخالق الكون هو الاله هوناب هو Hunab hu صنع الانسان وأخرجه من الحب . ويبدو ان هذا الاله ظل بعيدا عن امور الدنيا وأن ابنه ايتزانا Itz'ana قد تولى هذا العمل مع الاله زوس Zeus . وقد ذكر احد الباحثين ان المايا اعتقدوا في عدد من الفيضانات التي دمرت العالم والتي تشبه نظائرها التي وجدت في أديان العالم الاخرى . ويعتقد هنود المايا الذين يعيشون الان في شال يوكتان ان هناك ثلاثة عوالم سابقة لعالمهم وإن العالم الحالي سوف يفرقه الفيضان يوما ما .

وتتضمن ديانة المايا ثنائيه الخير والشر فأله الخير تجلب المطر وتزيد من خصوبة الارض وتعطى الحظ السعيد أما اله الشر فتسبب الموت والمرض والمجاعة والجفاف وهلم جدا وهكذا تعتمد كل المظاهر الطبيعية وايضا روح الانسان على حصيلة الصراع بين ثنائيه الخير والشر . وقد ذكر بعض الباحثين ان المايا كان لديهم فكرة وجود الجنة والنار ولكن غير مؤكد ان هذه الفكرة مرتبطة بوصول المسيحية لهذه الحضارة .

ويقطن بعض الاله الرئيسي في سموات منفصلة تتابع فوق بعضها في طبقات حيث يوجد ١٣ طبقة تكون العالم العلوى والذى تمثل اسفل طبقات الارض ذاتها كما ان هناك تسع طبقات تكون العالم السفلى الذى تمثل أدنى طبقاته ميتال Metnal النى يحكمها الاله اهبوش Ahpuuch اله الموت وقد عبد هنود المايا أى اله من هذه الاله وبورك عن طريق اقامة الاعياد والشعائر والمحرمات taboos وغيرها من الطرق العامة المتبعة في هذا الصدد والنى من بينها تشريط الاذان والشفاه والحدود واللسان وذلك من أجل اسقاط الدماء فوق صورة الاله . كذلك فإن حرق البخور الذى جلب من اشجار الكوبال Copal كان شعارا يمارس في حضارة المايا كما يمارس الان بين المايا الحاليين أما الصوم وتقديم القرابين والاضحية بالحيوان وحتى بالانسان فقد كان امرا معترفا به أيضا فى حضارة المايا وان كان نوعيه التضحية تتوقف على الموقف الدراى الذى من أجله تقدم .

والاضحيات الانسانية كما تبينها صور هنود المايا - كانت مشابهة لتلك الموجودة لدى الازتك كما كانت من الطقوس العامة التى تؤدى بواسطة الكهنة فكانت التضحية وهى غالبا ماتكون من امرى الحروب تجرد من ملابسها وتدهن

باللون الازرق ثم يوضع فوق الرأس رداءا خاصا ويتقدم اربعة من مساعدي الكاهن ويمسك كل منهم بأحد اطرافه ليضعوه فوق المذبح ثم يقوم الكاهن بشق صدره ويستخرج قلبه ليقوم بعد ذلك برش الدم على تمثال الاله الذى تقدم لأجله الضحية ثم يقوم بإزالة جلد الضحية ليتدثر به بعد ذلك ويؤدى رقصة معينة تتفق مع تقاليد القبيلة . واذا ما كانت الضحية لمحارب جهور فإن الكائن يقدم جسم الضحية لأفراد قبيلته كطعام حتى يمكنهم اكتساب الصفات الروحية القيمة التى تميزت بها الضحية ومن مظاهر التضحيات ايضا وهو شبيه بما هو موجود عند هنود الازتك هى ان يرتدى الشخص المضحي به الملابس اللازمة لذلك ليوثق بعد ذلك فى جذع شجرة ليكون هدفا للرماة .

ومن أهم مظاهر التضحيات ما كان يتم عند بشر التضحية الشهير لدى هنود انشيهين أتزا Chiehonltza وهو ما يعرفه الزوار فى الوقت الحاضر . ويقوم الهنود بوثق الضحية التى هى عبارة عن امرأة أو طفل أو رجل تم يلقوا بها فى البئر العميق وبصحبتها عدد كبير من أدوات الزينة والأواني الفخارية والبخور والأشياء القيمة . وقد قام متحف هارفارد بتجفيف البئر فى الفترة ما بين عامى ١٩٠٥ - ١٩٠٨ حيث استعادوا الأشياء الذهبية والنحاسية التى القيت من قبل واحضروها من كاليفورنيا جنوبا ومدينة مكسيكو شمالا .

ولعل ديانة عامة الناس التى يمارسونها فى حياتهم اليومية تتجه أساسا نحو الاله شاك Chac وهو اله المطر وإلى ممارسة الطقوس الخاصة بهنود المايا وتضحياتهم فى صورتها البسيطة الوحيدة ، غير أن مجتمع هنود المايا كان مجتمعاً دينياً ، وقد حافظ الحكام الكهنة المتخصصون على نظريات معقدة والهة وطقوس بالاضافة إلى ديانة الشعب .

ومن الأمور ذات الأهمية الخاصة تلك الوحدة غير العادية بين الالهة التي تمثل دورة زمنية وظاهرة فلسفية وترتبط بهذا استخدام الكتابة الهيروغليفية وهي أمور تمثل تخصص رجال الدين والحكومة .

والتقويم والذي كان شديد التعقيد كان فى نفس الوقت أكثر دقة من تقويمنا فى احتساب العام الشمسى فبالإضافة إلى مظاهر العد الآلى فإن فلسفة الزمن وارتباطها بالالهة والطقوس تبين لنا إدراكهم للزمن كموضوع هام فى حياتهم العقلية ومن أهم مظاهر بقايا هنود المايا تلك النصب الميجاليثية والتي تعرف باسم Stelae بما عليها من نصوص هيروغليفية . وتبين هذه النقوش تاريخ النصب بالإضافة إلى عديد من الأمور ذات قيمة فى التقويم مثل البيانات الخاصة بشكل القمر ووضع كوكب الزهرة وهلم جرا ، وقد أمكن العثور على مايزيد على ألف من هذه النصب الهيروغليفية حتى الآن .

وقد قام هنود المايا بالربط بين أقسام الزمن والالهة ذات الاشكال البشرية وذلك بطريقة تشبه إلى حد ما الفكرة التي تكمن وراء أسماء أيام الاسبوع لدينا مثل يوم ودن Woden الذى يعرف بالانجليزية Wednesday أو يوم ThoR بالانجليزية Thursday وهكذا . . . غير أن تقسيمهم للزمن وليس تقسيمهم للأيام فقط كانت فى ضوء هذا المفهوم . وإذا حاولنا تصور هذا فيمكن القول أنهم كانوا ينظرون إلى الجزء من الزمن على أنه عبء يحمله أحد الالهة حتى الموت عندما ينتقل أمر هذا العبء إلى آله آخر والواضح أن تفكير الكهنة المعقد بخصوص هذا الموضوع قد انتقل إلى عامة الشعب ذلك أن الناس فى بعض قرى هنود المايا حتى اليوم ينظرون إلى الأيام على أنها أموراً الهية ويشيرون إليها وكأنها بشر فيقولون « هو » وجميع هذه الالهة لها صفات معينة

ومظاهر تؤثر فى اقدار الناس أثناء دورة زمنية بعينها وهذه الفكرة كانت تشبه أمور التنجيم فى العالم القديم بحوض البحر المتوسط .

إن فكرة هنود المايا عن الزمن والمكان لم تكن فكرة تطويرية أو حتى تاريخية فى المقام الأول فالزمن يبدو أنه يرجع إلى الوراء إلى المالا نهاية كما أنه يمتد فى المستقبل إلى مالا نهاية أيضا غير أن الدورات الزمنية تتكرر - فقد كانت الازمنة القديمة تنوع وتختلف حسب الالهة المرتبطة بها وبعبارة أخرى فإنه عندما يكون الهة فترة معينة فى وضع مماثل لإلهة فترة أخرى فإن الربط بين الخير والشر يكون بنفس طريقة ارتباط الالهة وبهذا يمكن التنبأ بأمور المستقبل وقد عرفت ودورة الزمن التى تهم المتنبئين باسم كانون Katun وهى فترة تصل إلى ٢٦٠ عاما وهى الفترة التى يمكن فيها إله اليوم وإله العدد على مدى دورة مدتها ١٣ يوما من تحمل الاعباء معاً وهذا فإن الاحداث والحظوظ وكذلك أسماء الالهة كانت تتشابه من كانون إلى آخر . وفى فترة كل كانون كانوا يصورون كل مرحلة زمنية تطول مدتها عن اليوم الواحد على أنها مجموعة من الالهة المختلفة تسير معاً وكان الأثر على أى يوم بالذات هو نتيجة التأثيرات المختلفة بعدد الالهة وأن الحسابات اللازمة لمعرفة الالهة التى تعمل معاً فى وقت محدد كانت غاية فى التعقيد لأن الظواهر الفلكية التى تستخدمها التقييم فى حساب الزمن لم يكن بينها ارتباط كما أنها لا تأتى فى صورة أرقام صحيحة فالיום وحدة زمنية قائمة بذاتها وللمكن السنة الشمسية تتكون من ٢٤٢٢ و ٣٦٥ يوما . والسنة النجمية Sidereal يصل عدد أيامها إلى ٣٦٥ ٢٥٥٤ يوما - أما دورة كوكب الزهرة تتم فى ٥٨٣ ٩٢ يوما ، والشهر القمرى عبارة عن حوالى ٢٩ ٥٣ يوما . وكان لابد من إيجاد صلة بين هذه الدورات جميعا وبين التقويم الدينى الذى يعتبر العام مكونا من ٢٦٠ يوما .

كما كان ضروريا أن تكون هذه الصلة دقيقة عبر فترات زمنية كبيرة جدا ، إن ماحقته هنود المايا فى هذا الصدد يعتبر ظاهرة من أهم الظواهر التى تميزهم وتقويم هنود الازتك وما يشبها فى أمريكا الوسطى كانت تشبه تقويم هنود المايا فى نواحى كثيره غير أنها لم تشتمل على مشكلة احتواء السنة على ٥٢ دورة كما أنها لم تصحح الفروق الدقيقة فى السنوات الشمسية وسنة الزهرة ولكن احتساب هنود المايا التقاويم للخطأ الكسرى فى تقويمهم السنوى لم يتعدى يوما واحدا فى فترة طولها ستة الاف عام ، ولكن كما هو الحال فى جميع المدينيات البدائية فى العالم كانت الرياضيات والملاحظات العملية التى أدت إلى هذه النتائج تخدم أغراض دينية وليست علميا وكانت تلك أمور تنجمية وليست فلكية .

وكان لهنود المايا كما كان لهنود الازتك تقويمان يستخدمان فى الحياة اليومية أحدهما ويدعى الهاب Haab وهو يشبه إلى حد كبير تقويمنا الذى يعتبر العام ٣٦٥ يوما ، وكان هذا التقويم يتكون من ١٨ شهرا كل منها ٢٠ يوما (٣٦٠ يوما) بالإضافة إلى ٥ أيام كانت تعتبر أيام كانت تعتبر أيام نحس يجب أن تتوقف فيها جميع الأنشطة ولم يضيفوا يوما للسنة الكيسية غير أن اختلاف السنة عن السنة الشمسية كان يحسب بعناية فائقة حتى يمكن أن يكون التقويم صحيحاً .

أما التقويم الثانى المعروف باسم tzo'kin (عدد الايام) فهو عبارة عن ٢٦٠ يوما (أى عام ، وهو يتعلق بنمط الحياة الدينية . وكان هناك ٢٠ اسما للايام (وكذلك الالهة) مرتبة بحيث تتفق مع ١٣ رقم ثم يبدأ اليوم الرابع عشر للايام برقم ١ من جديد . واحتساب هذه الدورات التى تتكون من عشرين رقما وعشرين اسما كانت تستغرق ٢٦٠ يوما قبل أن يعود الإمبر مره أخرى إلى رقم واحد وإلى الاسم الأول لليوم كما قاموا بإعداد الحسابات للتقويمين بحيث يبدو

اليوم الاول من تقويم هاب الذى يعتبر العام مكونا من ٣٥٦ يوما واليوم الاول من تقويم توزلكن الذى يعتبر العام ٢٦٠ يوه بحيث يحين موعد اليومان كل ٥٢ عاما وعند حدوث هذا كانوا يقيمون احتفالا عظيما يبدأ بالخمسة أيام المنحوسة التى تأتى فى نهاية تقويم هاب ونحن لانعرف شيئا عن الطقوس التى كانوا يؤدوها فى ذلك الوقت ولكن يحق لنا أن نفترض أنها مناسبة من أهم المناسبات التى كان يهتم بها هنود المايا، ونحن نعرف أن هنود الإزتك كانوا يعتقدون أن نهاية العالم قد يحىء وعدها مع نهاية فترة ٥٢ عاما .

وفى الليلة الحتامية من الايام الخمسة المحرمة فى نهاية هذه الدورة يتعد السكان عن المدينة لينتظروا ما سوف يأتى فجر اليوم التالى وبعد أن تظهر الشمس يفرح الناس ويهللون ويبتهجون ويقوم الكهنة بإشعال النار المقدسة التى يشملون منها نيرانا صغيرة فى منازلهم وهكذا تبدأ دورة جديدة مدتها ٥٢ عاما أخرى ويبدو أن هنود المايا كان لديهم اعتقاد مشابه .

ولقد كان علماء الرياضة من هنود المايا على صلة وثيقة بالملاحظات الفلكية وليس لدينا أى سجلات من هنود المايا لهؤلاء الناس . كانت الوحدات الرياضية المستخدمة هى الاحاد والخمسات والعشرنيات، وكانوا يرمزون اليها بالنقط للاحاد وبالشرط للخمسات وبالمواضع للعشرنيات ومضاعفاتهما وكان العد الموضوعى وعلامة الصفر التى هى بالضرورة ظاهرة من ظواهر العد الموضوعى تعتبر أعظم عمل عقلى فى العالم الجديد ، ولم يحدث هذا فى مكان آخر من العالم إلا فى الهند حيث اخترع الصفر الذى جاء إلى أوروبا عن طريق العرب .

ويعتبر هذا النصر العلمى كغيره من الاختراعات الهامة فى العالم يتكون من مبدأ غاية فى البساطة . أن جميع الانظمة الحسابية فى العالم مثل نظام العد الرومانى

المؤلف قد أفردت رموزا محددة لكل وحدة أعلى بحيث أصبحت الاعداد الكبيرة ذات طول كبير وكثيرة التعقيد في الكتابة ومن الصعب تناولها أن فكرة الممكن وفكرة الصفر كانتا ضرورية حتى في تبسيط عمليات الجمع والطرح الحسابية.

لقد كانت قبائل الهنود في أمريكا الوسطى هي القبائل الوحيدة في العالم الجديد التي نجحت في اختراع الكتابة أن الكتابة الهيروغرافية شأنها في ذلك شأن الرياضيات والفلك كان يستخدمها الكهنة في النصوص والأمور الدينية أكثر من استخدامها لها في الأمور الدنياوية ، وكانت الكتب كتب مقدسة كما كان الحال في عالم البحر المتوسط القديم ولدينا اليوم حوالى ٤٠٠ مخطوطا وطنية جاءتنا من المكسيك الوسطى .

أما كتب هنود المايا فلم يصلنا غير ثلاثة كتب وذلك بسبب رطوبة المناخ في بيئتهم . لقد كان هنود المايا ينظرون إلى كتبهم المقدسة نظرة جادة وذلك ما يقوله أحد الباحثين « لقد استخدم هؤلاء الناس حروفا خاصة في تدوين كتبهم وشئونهم القديمة وعلومهم ، كما استعانوا بالرسومات التوضيحية وبالرموز الخاصة لفهم أمورهم وإتاحة الفرصة لغيرهم لتعلمها وفهمها . ولقد وجدنا عددا كبيرا من الكتب بهذه الحروف ، ونظرا لانهم لم يحتوى على أمر من أمور الحرفات والاكاذيب وأعمال الشيطان فقد أحرقناها جميعا وهو أمر أسفوا له إلى درجة كبيرة وسبب لهم حزنا لا حده » .

ولم تكن الكتابة عند هنود المايا ذات حروف أبجدية ولكنها كانت تصويرية أى أن الأشكال تمثل أفكارا وأشياء وليس أصواتا . ويعتقد العلماء أن كتابة هنود المايا هي كتابة صوتية للمقاطع ولكن هذا أمرا لا يمكن التأكد من صحته قبل دراسة النصوص المكتوبة لهنود المايا دراسة مستفيضة .

أما الآن فإننا نستطيع أن نقرأ ثلث ما كتبه هنود المايا وهي خاصة بمعلومات
تنصل بالتقاويم ، وقد أمدنا القس دى لاند Landa بمفتاح لكتابة هنود
المايا وذلك بأن رسم العلاقات الخاصة بتقاويم هنود المايا ومعهما تدوين صوقي
لها . ويستمر عمل حل هذه الشفرة بطريقة بطيئة للغاية لعدم وجود مفاتيح للكتابة
النصورية فالامر يختلف عما نفعله عند محاولة حل شفرة أو التغلب على معضلة
ذلك أن التعرف على معنى صورة واحدة لا يساعد كثيرا على اكتشاف معنى
صورة أخرى لأنه لاعلاقة اطلاقا بين العناصر المختلفة في الكلمة والواحدة كما
هو الحال في الحروف الأبجدية التي تدخل في تكوين الكلمات .

أما عن أغاني وشعر وأمثال هنود المايا فقد كانت جميعها شفوية إذ أن من
صفاتهم مقدرتهم الابدائية الراقية وميلهم للمجاجة الصوتية مثل تلك التي وجدت
في العهد القديم غير أنه من الواضح أن الكتابة الهيروغليفية لم تستخدم في تسجيل
الادب كما أنها لم تستعمل أيضاً في تسجيل مآثر الحكام السابقين أو تاريخ مدنهم .
ويبدو أن هنود المايا كان لهم ملامح مميزة في العالم الجديد وذلك من ناحية
انجازاتهم الفنية فقد شاركوا في فن الرسم وفنون العمارة بصورة مشابهة لغيره
من أصحاب حضارة امريكا الوسطى ولكن قد اتفق الباحثون في حضارة المايا
على أن لهم ذوقا رفيعا في النحت والرسم كما أن ابديتهم الحجرية الفخمة كانت أكبر
من أي مثل لها في أي مكان آخر .

ولعل أهم ما يميز الفن المعماري لهنود المايا هو استخدام القنطرة أو العقد
البارزة . حقيقة أن السكان الآخرين في أمريكا الوسطى قد شيدوا أبنية حجرية
ذات أسقف أفقية صنعت من السعف ومدخل على شكل مربع إلا ان مباني المايا تعطى
انطباعا مختلفا وذلك بسبب وجود العقد أو القنطرة البارزة . وهذه القنطرة

ليست أفواس بمعنى الكلمة تلتقى سويا في قمة المبنى ولكن كانت أقواس صناعية حيث ينحدر الجانب نحو بعضها ليلتقيا في قمة حقيقية . وربما اتصل بمشاكل ضم هذا النوع من الأقواس استخدام هنود المايا للجير الاسمى كنوع من المونة أو الملاط وكذلك استخدامه ككتل كبيرة . فالأهرامات والمعابد في الأماكن الأخرى من أمريكا الوسطى كما هو الحال عند هنود Teotihuacan كانت أكبر من تلك الموجودة عند المايا إلا أن عظمة مباني المايا قد لفت الانتباه أكثر .

والفن التصويرى للمايا كان يمارس بأسلوب ثابت غير أنه كان مليء بالحياة والحياة وكان يختلف عن ذلك الذين وجد بين الازتك أما عن الرسم فكان رمزي أكثر منه تمثيلي ومن ثم فعلى الرغم من مهارة الفن عند هنود المايا إلا أن أعمالهم لا تحمل الفن بمعنى الكلمة وذلك لأنهم لم يكن غرضهم بطبيعة الحال الاتجاهات الحديثة لوظيفة الفن .

والرسم عند المايا كان فنا ممتدسا وكان تزين أكثر منه تعليمي ، وربما أهم من ذلك كله أنه لم يكن قاصر على فئة بعينها أو أنه عاما بين الناس إنما كان يمارس من أجل الآلهة وربما لم يرى هذا الفن أحدا فيما عدا الفنان ذاته أو كبر القساوسة الذى يسمح لهم بدخول المعابد .

ومن الأشياء البارزة في حياة هنود المايا والتي اجمع عليها كثير من دارسى هذه الحضارة هو الجمع في فئهم بين الخطوط العادية والحديثة كما يتضح من دراسة معظم آثارهم .

ويبدو من دراسة آثار يوكنان ومن الملاحظات الأولى التي تركها الأسبان عن هنود المايا أن امبراطورية المايا قد انفرط عقدها قبل وفود الأسبان . ففي

عام ١٥٢٧ حينما وضعت القوات الاسبانية تحت قيادة فرانسمسكو دى مونتجو de montejo اقدامها فى يوكنان صادف هذا القوات ظروفًا مختلفة عن تلك التى قابلت كورتز Cortz حينما وصل إلى امبراغورية الازتك . فى الحالة الأولى صاحب الغزو الحربى غزو سياسى إذ ان قدوم الاسبان كان الشرارة التى اشعلت الثورة فى عديد من الممالك المحلية والتى كانت تحت سيطرة الازتك . فقد تمكن الاسبان من بسط نفوذهم عليهم ووقعت مساحات كبيرة عامرة بالسكان تحت حوزتهم فى فترة قصيرة ومن ثم لم تكن هناك أى فرص سياسية فى يوكنان .

فالحملة الأولى التى ذهبت إلى يوكنان صادفت مقاومة محلية تغلبت عليها ولكن لم تتمكن أبدا من ضم أى مجموعات هندية لصداقتها أو تعقد معها تحالف . وأكثر من ذلك فان هنود يوكنان كانوا متناثرين فى وحدات محلية بحيث أى تأثير على أحد المجموعات كان لا يعنى تأثيراً على الأخرى . ولهذا ما ان ترك الاسبان أى مجموعة فهزومة كان عليهم أن يعيدوا الكرة على مجموعة أخرى وهكذا . حتى عام ١٥٤٥ أى بعد ١٥ عاما من المحاولة الأولى للغزو تمكن الاسبان من السيطرة حقيقة على أراضى يوكنان من قاعدة مريدا marida التى تمثل الآن عاصمة الدولة ونظرا لانه كان من الصعب السيطرة على كل هنود يوكنان لذا فقد قسموا بين الاسبان فيما يسمى باسم Encomiendas حيث كانوا يؤدون الخدمات إلى هؤلاء القادة فى نظير حمايتهم وتعلمهم الكاثوليكية والمواطنة .

ولم يتمكن الاسبان مطلقا من استغلال الامكانيات الزراعية فى يوكنان تحت نظامهم الذى وصفه الاقطاعيات Encomiendas ، فقد كان الأساس الاقتصادى للمحلات الاسبانية الأولى يعتمد على تربية الماشية ولكن لم يتمخص

عن ذلك أى زيادة كبيرة فى السكان الاسبان أو أى رخاء حقيقى ، إذ أن الهنود المتناثرين كان من الصعب حكمهم وحتى فى عام ١٨٤٧ قامت ثورة ضد حكم الرجل الأبيض والتي عرفت باسم حرب الطبقات War of the casts والتي نجحت تقريبا وحتى بداية القرن الحالى عندما بدا نظام المزارع فى يوكتان او على الأقل فى مريدا Merida والاقليم المحيط بها دخلت هذا الجزء من العالم فى نطاق التجارة العالمية الحديثة . حيث يزرع فى هذه المزارع انواعا من نبات yucca التى تعطى خيوطا خشنة تستخدم فى عمل الاحبال والدوبار . هذا وتعد يوكتان الآن أكبر مصدر لهذه السلعة .

واعداد هنود المايا الذين لم يفروا من مناطق تواجدهم كان تأثرهم بطيئا بالحضارة الاسبانية غير ان ادخال نظام المزارع فى اراضيهم قد دفع بصورة عامة إلى تزايد السكان وتقدمهم الاقتصادى وكان نتيجة مباشرة لذلك تحول معظم محلات هنود المايا الريفية صوب الحضرية .

الانكا في بيرو

The inca of Peru

الانكا

تضم جبال الانديز الوعرة في جنوب غرب أمريكا الجنوبية أكبر مجموعة من الهنود الأمريكيين في العالم الجديد . فمعظم سكان اكوادور وبيرو وبوليفيا ينحدرون لدرجة كبيرة من أصحاب الحضارات الراقية التي وجدت في تلك المناطق لعدة قرون قبل وفود الأوربيين إليها . وقد كان خلاصه الحضارات البدائية ملكة الانكا التي كانت دولة غنية وفي نفس الوقت على درجة من النعقد . فقد كانت دولة غنية بالمعادن التي سأل لها ألعاب الغازين الأول والتي مهدت لاحتلال أرضها كذلك فقد كانت ثرية بالرجال الذين ثاروا في وجه الحكم الأجنبي وكانوا على درجة كبيرة من المهارة في الزراعة والحرف اليدوية . وقد أصبحت الأروة النامية هي الأساس الحقيقي لأكثر مستعمرات الإمبراطورية الأسبانية . وقد وجد عديد من الباحثين في إمبراطورية الانكا مثالا للاقتصاد المخطط لصالح الدولة أو للاقتصاد الاشتراكي أو الشيوعي أو أى مشروع مثالي يوضع تحت التنفيذ . ففي إطار هذه الدولة لم يوجد عاطل أو غير مستفيد كما لم يوجد مسجونين وقليل من الجرائم وباختصار لا يوجد إلا قليل من الأمراض النني واكب ظهورها في أوروبا الاقطاع في المدن العريقة والدول البيروقراطية الحديثة . ولهذا يبدو العديد من الأوربيين أن حياة المواطنين في إمبراطورية الانكا كانت منظمة ومن ثم من المدهش أن يوجد تخطيط ناجح بين الهنود الأمريكيين .

وقد أصبحت إمبراطورية الانكا مع مرور الزمن من أكثر الحضارات البدائية التي جذبت انظار الباحثين لدرجة أنها أصبحت تعد مثالا يضرب به حين المقارنة بين نظام سياسى قديم . وحضارة الانكا لم تمثل على مقياس كبير وذلك أولا لأنه نظر إليها دائما في إطار أفكار مصطلحات السياسة والاقتصاد الأوربية

وثانياً بسبب النخيط الرياضى الذى وصفوه والذى يتضمن على أى شىء كوحداث كسرية . على أى حال فقد اكتسب حضارة الانكا بجميع مظاهرها سمعة جيدة عبر القرون .

وتتسم البيئة الجغرافية التى قامت بها حضارة الانكا بانها بيئة غير عادية تتضمن مظاهر طبيعية مختلفة . فالمنطقة الساحلية الضيقة التى تمتد من جنوب اكوادور إلى شمال شيلي منطقة صحراوية بمعنى الكلمة ، كما ان تيار هبولات الذى يتجه من جنوب إلى الشمال على طول الساحل يجعل المحيط ابرد من اليابس ومن ثم تسقط الأمطار على البحر ، أضف إلى ذلك فلا ينمو فى تلك المساحات الرملية الكبيرة أى نباتات كما لا تقدم أى حياة حيوانية ، غير أن الأرض تقطع فى كل ٢٥ ميلا بأنهار تشق طريقها أسفل الجبال فى خنادق وادوية قادمة من حقول الثلج . وهذه الودية النهرية المنعزلة خصبة جدا عندما تروى لذا فقد كانت موانع لبعض محلات الحضارة الأولى فى أمريكا الجنوبية .

أما سلاسل كورديلرا الانديز التى تنوج السلسلة الجبلية الساحلية والتى تعتبر بعد جبال الهيمالايا أعلى نطاق جبل فى العالم . توجد أسفل قمم هذه الجبال حقول الثلج المترامية التى تغطى كل أسطح المناطق المرتفعة والمنحدرات الهينة حيث تعتبر معلم طبيعى بارز فى جبال الانديز . وتعرف المنطقة باسم هضبة يونا **Puna** ويتراوح إرتفاعها ما بين ١٠ ألف و ١٥ ألف قدم فوق سطح البحر ومن ثم فهى مرتفعة وفى نفس الوقت قريبة من المنطقة الاستوائية ولذا تختلف درجة الحرارة كثيرا فى أثناء النهار عن الليل كما تختلف من فصل إلى آخر . فالبرد طوال اليوم قد يؤدى إلى برودة شديدة أثناء الليل ولهذا ليس من المستغرب أن يكون الهنود الامريكانيون من عبادة الشمس . وقد يحدد الارتفاع النشاط البشرى

فدوار الجبال المعروف باسم سوروش Soroche أمر شائع بين كل زوار المناطق المرتفعة السفلى كما أن السكان الذين يشكون من ضيق النفس أو ضعف القلب لا يمكنهم العيش هنا . والأمطار قليلة ومحصورة في الفترة الممتدة من أكتوبر إلى أبريل ولذا فالحاصل محدودة اللهم إلا إذا اعتمدوا على الري . كذلك يحدد الارتفاع توزيع المزارع ونوع المحصول الذي يزرع . فالحد الشمالي لزراعة البطاطس وهي أفضل المحاصيل التي تلائم المناطق المرتفعة هو حوالي ١٤ ألف قدم في الانديز الوسطى بينما تصل إلى ١١ ألف قدما بالنسبة لمحصول الذرة . وأعلى النطاق الزراعي يوجد فوق الهضبة مراعى متناثرة تقيم بصعوبة أود حيوان الالاما والابكا .

ظاهرة طبيعية أخرى بارزة في جبال الانديز وترتبط أيضا بالارتفاعات الشاهقة وهي وجود الخواثق العميقة التي تشق طريقها في الأطراف القرية للهضبة المرتفعة حيث يصل عمق بعضها إلى ضعف عمق خائق اريزونا الكبير . والأنهار سريعة الجريان ولا يمكن تتبع أعاليها أو أدانيها كما أن جوانب الخائق صعبة لدرجة تحول دون معرفة عدد المجموعات البشرية التي تعيش في بطون هذه الأنهار الصغيرة أو على جوانبها والتي تعتبر من أكثر الجماعات البشرية عزله في العالم ، وهذا الجانب من الجبال هو أكثر أجزائها جفافا ولكن أكثرها استقرارا عند استخدام الري وعمل المدرجات .

أما الجانب الشرقى من الانديز فهو مختلف تماما . فالرياح المحملة بالرطوبة العالمية والقادمة عبر المحيط الأطلنطي لرى حوض الامزون ترتفع إلى طبقات الجو العليا الباردة بواسطة تيارات الجبال حيث يتكثف البخار ويبقى فوق المنحدرات الشرقية ليكون مصدرا دائما للسيول المفاجئة . ويغطي هذه الأراضي

المرتفعة غطاء غابي كثيف مقطوع بواسطة روافد مائية تنجم في شكل منابع مائية تشبه روافد نهر الامزون . وقد تمكنت امبراطوريات الاراضى المرتفعة من أن تنوغل عبر هذه الاراضى الصعبة ولكن لم تستطيع أبدا أن تقهر قبائل الغابة . ويبدو أن مثل هذه البيئة المتضمنة أراضى مرتفعة ومنحدر غربى منخفض وصحراء ساحلية عبارة عن عقبة حالية في سبيل نمو الحضارة . فنقص الأنهار الصالحة للملاحة وفقد كل من الساحل والاراضى المرتفعة في الحياة النباتية والحسوانية وصعوبة النقل لم تقدم إلا القليل بالتأكيـد للصائدين وجامعى الطعام . غير انه بفصل المعلومات الزراعية ومعرفة الدورة الزراعية وفوق كل هذا يرى يبدو ان هذه المناطق كانت من أغنى مناطق الاستقرار . ففي بيرو يوجد عديد من الامكانيات للزراع . فنقص مياه الأمطار حافظ على الثورة الطبيعية للتربة والممثلة في العناصر المعدنية والتي ازيلت من المناطق التي تتعرض لأمطار غزيرة . كما أن الامتداد الكبير للعروض الأرضية سمح بإيجاد مناطق ايكولوجية مختلفة وواسعة ولا تبعد بعضها عن بعض إلا بمسافات قصيرة وماترتب على ذلك من إيجاد فرصة لتبادل المنتجات بين هذه الاقاليم الامر الذى أدى إلى التخصص وإيجاد تنوعات أكبر من الاطعمة . ذلك بالإضافة إلى أن منتجات المحيط وملايين من المخلفات التي تساعد على خصوبة التربة وتضع أساسا على الأقل لإنتاج كبير من الطعام ولاستقرار مكثف .

ويوجد من الناحية التكنولوجية امران مكثانا من الاستغلال المثمر لهذه الامكانيات . فالادوات وطرق الاستقلال لانقل أهمية عن تنظيم السكان لاستخدام هذه الادوات والقيادة اللازمة لبناء مشروعات الرى من حفر قنوات وتمهيد للأرض أو لتبادل المنتجات أو للدفاع عن الاقليم ضد الغزاه . هذا التنظيم السكامن

في الدولة يمكن النظر إليها على أنها وجه تكنولوجى واقتصادى واجتماعى وسياسى إلى جانب كونها بناء دينى .

أما السؤال الآن فكيف أصبحت امبراطورية الانكا قصة مفيدة وذلك على ضوء الأعمال الأثرية الكثيرة التى كشفت فى بيرو ولاسيما فى الأودية الساحلية التى من المحتمل أنها كانت موطناً للمراحل الأولى لحضارة الانكا وذلك قبل أن يكتمل تقدمها . فعلى النقيض من الأدلة المستقاة من مناطق حضارة الازنك والمايا فى المكسيك وجوتيمالا حيث لم يكتشف مراحل نمو أولى لها فقد وجد عديد من المواقع الساحلية فى بيرو تنمى لفترة ما قبل الزراعة هناك ومواقع أخرى لفترة الزراعة بفخارها ونسيجها ثم أخيراً مواقع للمراحل المختلفة للنمو والتى أدت فى النهاية لظهور المدن الكبرى فى العهد المتأخر للامبراطورية لقليله وقد ارتبطت بدايه الزراعة فى ساحل بيرو قبل بدايه المسيحيه بوقت قصير . وهذه الفترة التى يطلق عليها الاركولوجيون فترة التكوين **Formative Period** كانت هى الفترة التى وضعت فيها الاسس التكنولوجيه لحضارة الانديز والنسج انتشرت فيها على طول الساحل . فقد ظهر نمط يميز فى المباني وأعمال الفن والزراعة والنسيج والذي سرعان ما تبلور وانتشر إلى المناطق المرتفعه . ويعرف هذا النمط باسم شافين **Chavin** . وجاء فى أعقاب فترة التكوين فترة أخرى حدث فيها تطور أقليمى وتخصص محلى واختلافاً ربما كان موازياً أو نتيجة لظهور مقاطعات سياسيه صغيرة . وقد ظهر مثل هذا الاتجاه فى مناطق أخرى ولكن الانماط المميزه هنا توصى بأن مجموعات منفصلة لغويا **ethic groups** قد ارتبطت بالتطورات الاقليميه المختلفه .

فعلى طول الساحل والمناطق المرتفعه فى جنوب بيرو بدأت حضارة تعرف

الآن باسم حضارة ناركا Narca تحمل محل حضارة شافين . وفخار ناركا كان يميزا بصقله اللامع وتزيينه بالطلاء . فقد استخدم في تكوين قدرة واحدة في بعض الأحيان حوالى ١١ لونا مختلفا . وقد تطور فن النساجة في هذه الحضارة أيضا واستخدم كل من صوف الابكا واللاما إلى جانب خيوط القطن وظهر منه النظرية . أما التعدين فلم يكن له نصيبا إذ أن الذهب كان هو المعدن الوحيد المعروف وكان طرق تشكيله تضمن ببساطة الطرق . (شكل ١٨)

أما المظهر الحضارى في شمال بيرو حيث وجدت حضارة موشिका Moehica فكانت أكثر وضوحا ، فالأهرامات الكبرى والمعابد والمقابر التى احتوت على ما ينبأ عن تاريخ ملوكها وبلاطهم ، والرئ والطرق والأدلة الأخرى كلها توضح أن نظاما سياسيا كان سائدا . وقد استخدم النحاس والفضة والذهب في التزين ، وتقدمت النساجة ولكن خير الأدلة على التخصص الفنى ارتبطت بالفخار الأحمر والأبيض . وقد زين الفخار دائما برسوم ومناظر حقيقية تمثل الحياة اليومية والتي يمكن أن نتخذها دليلا على نظام الحياة آنذاك فن دراسة الفخار يتضح أن النظام الاوتوقراطى هو نمط الحكم وان حروب الاغارة قد وجدت لها سبيلا في هذا النظام . فالموشيكائنن أنفسهم قد هزموا في النهاية حيث سادت فترة من الاضطراب السياسى عرفت في شمال بيرو باسم العصور المظلمة Dark ages .

وقد ظهر في هذه الاثناء امبر طورية جديدة في مرتفعات بوليفيا بالقرب من بحيرة تيتي كاكا Tikicaca عرفها الاركولوجيون باسم Tiahuanaco حيث بسطت نفوذها وتأثيرها إلى المناطق الساحلية وحتى الاراضى الوعرة في موشिका . ولكن هى الأخرى بعد مضى عدة قرون على ازدهارها ذبلت وانطفأت . كغيرها من الامبراطوريات الهندية . وقد اعتمدت كل من الحضارات المتابعة



شكل (١٨) مجموعة من نساء الانسكا تغزلن الصوف

السابقة في تواجدها على الرى وعلى زراعة أنواع مماثلة من المحاصيل وتربية الحيوان وصناعة الفخار والنسيج ، غير أن سقوط وموت أى امبراطورية من هذه الامبراطوريات إرتبط باضمحلال النظام السياسى وانصراف حياة السكان .

ومع قيام الامبراطورية الجديدة التى إمتدت فوق ساحل بيرو كله فى غضون عام ١٠٠٠ م . تكونت المظاهر الحضارية للدور الاخير من حضارة الانكا . وهذه الامبراطورية الجديدة التى عرفت باسم شيمو Chimu قد اختلفت عن الامبراطوريات الاولى من حيث حجمها فشبكة الرى قد شملت مناطق أكثر اتساعا الامر الذى يأخذ على وجود نظام حكومى أكثر سلطة وتعقيدات ، كما ظهرت أيضا لأول مرة فى هذه الفترة نمو حقيقى للمحاولات العمرانية الحضرية فبنيت المنازل فى كتل حجرية كبيرة كما وضعت على هيئة وحدات كبيرة أو متجمعة .

غير أن مصير كل الامبراطوريات الساحلية كان يقرر من الهضبة المرتفعة حيث كانت الأحوال مضطربة أكثر من الساحل ، فكل المنطقة المرتفعة من الانديز شغلها عدد كبير من القبائل المنفصلة والتى لكل منها لهجتها ولغتها . فأحد هذه القبائل التى تتحدث لغة الكيشو Quechua Language والتى تعزف حاليا باسم الانكا وذلك نسبيا لاسم حاكمها قطنت بالقرب من مدينة كيزكو Cuzco الحالية فى بيرو والتى منها بداءوا فى حوالى ١٢٠٠ م فى بسط وتأسيس نفوذهم فى المنطقة . فعالم أسرة الانكا الحاكمة ضئيلة حتى قدوم هؤلاء الغزاة .

أول حاكم تمكن من حكم المجموعات بالإضافة إلى قومه هو باشا كوتى انكا Pachacuti Inca الذى توج فى عام ١٤٣٨ . فى عهده اندمج جبرانه المقيهورين إلى

عناصر أكثر دواما في دولته ، فقد كان ابن باشاكوتى يتولى قيادة جيش أبيه وساعد على إمتداد سلطاته إلى شمالا إلى كيتو واكوادور وجنوبا إلى شيلى وفي النهاية إلى الساحل حيث أبدأت امبراطورية شيمو ومقاومتها المنبئقة . وتعد فترة حكم ابن باشاكوتى المعروف باسم توبا انكا *Topa Inca* من أكبر الفترات التى ضمت فيها ممتلكات إلى الانكا ، فقد استمر حكمه حوالى ٢٢ عاما إلى أن مات في عام ١٤٩٣ ليحل محله في الحكم ابنه هوينا كاباك *Huayna Capac* ولنسير أمور بناء الامبراطورية سيرا طبيعيا حيث لم يحدث ما يشير الانتباه إلا الحملة الأولى لبيزارو التى وصلت إلى تومبز *Tumbez* في عام ١٥٢٧ وهو العام الذى توفى فيها هونييا .

وبعد انقضاء أربعة أعوام على حملة بيزارو ولسؤ الحظ كانت فترة الحروب الالهية كان هوسكار *Huacac* نجل كاباك مرشحا لنولى الامبراطورية غير أن أخيه *Atahualpa* الذى كان خاكيا لكيتو قد ثار الامر الذى دفع هوسكار إلى تقسيم الامبراطورية والاحتفاظ بجزءها الشمالى له ، وقد انتهت الحرب الالهية بانتصار اتاهو البسا في نفس السنة الذى قدم فيها بيزارو للمرة الثانية إلى بيرو .

وقد ضمت امبراطورية الانكا مايزيد على ٦ مليون مواطن وشملت عديدا من القبائل المتميزة لغويا وحضاريا وقد اختلف أساسه الحياة من أقليم لآخر غير أن التوزيع العام ظل من سلطة الدولة التى لجأت لإيجاد نوع من التساوى فى الموارد . فقد كانت البطاطس المحصول الرئيسى فى الاراضى المرتفعة حيث انه من الممكن زراعتها على إرتفاعات أكثر من إرتفاعات الجنوب بينما كان الذرة هو المحصول الاساسى فى مناطق السهول والاراضى المنخفضة . وربما كانت

البطاطس أكثر أهمية في الحياة اليومية للأسرة ولكن نظرا لامكان تخزين الذرة كان هو المحصول الذى تعتمد عليه الدولة ومن ثم فكان له مركزا أعلى من المحاصيل الأخرى . وفي منطقة الهضبة أو البونا زرع فوق منطقة زراعة الذرة نوعا آخر من الحبوب وهو Puinoa . وقد كانت هذه الحبوب بالإضافة إلى البطاطس تأكل ، أما على شكل عصيدة أو نوعان من الخبز gruel مع ملاحظة أن الذرة كان يستخدم فى بعض الأحيان بطرق أخرى ، فقد كان يطحن دقيقا أو يأكل بدون طحن كما يصنع منه البيرة، وقد زرعت أنواعا عديدة من النباتات فى المناطق الساحلية كالقنول بأنواعه المختلفة والمانيوك والقرع والبطاطا والبطاطم وأنواع عديدة من الفاكهة . كذلك زرع القطن على الساحل لإستخدام اليافه فى النسيج .

ولإستخدام هنود الانكا التبغ ولكن فى الأغراض الطبية والسحرية فقط وذلك على شكل نشوق . أما المشروب العام ليهيم فكان الشيكّا Chicha ، وهى نوع من البيرة المصنوعة من الذرة أو أى طعام آخر مخمر . ومن مشروبات هنود الانكا الشهيرة الأخرى الكاكاو الذى كانت تجفف أوراقه بعد احضارها من الغابات الشرقية . وحينما تمضغ هذه الأوراق بالجير تخرج منها كمية من الكوكاين . وقد إستخدم الهنود هذا الدواء حينما يبدو عليهم الاجهاد من العمل أو فى وقت الصعوبة أو نقص الطعام . ويستخدم هذا الدواء حاليا فى حياة الهنود .

ولم تكن اللحوم عنصراً رئيسياً فى غذاء الهنود ، فقد وجد قليل من حيوانات الصيد والطيور كما وجد فى المناطق المرتفعة حيوان الجوانكو وقليل من الأيائل . وقد لجأ سكان الساحل لصيد السمك والسحالف كما ربي سكان المناطق

المرتفعة الخنازير والكلاب والبط والتي اقنصر إستخدامها كغذاء فقط. في المناسبات أما اللاما والابكا حيوانات الحمل الوحيدة التي إستخدمها سكان أمريكا الجنوبية وكانت قيمتها كطعام أهم الانكا . فحينما يذبح حيوانات كبيرة كان تقطع لحومهم إلى قطع صغيرة تجفف على هيئة بسطرمة حيث عرفت باسم شاركنى Charqni . أما اللاما فقد إستخدمت كحيوان للمحمل على الرغم من أنها لم تستخدم في الركوب، كما إستعملت أصوافها أيضا غير أن الابكا وعو أصغر من اللاما قد أعطى أصوافا أجود ولذا فقد ربوا هذا الحيوان لذلك الغرض .

وقد قامت ترع الرى الكبيرة بتوزيع المياه على الأمراضى الزراعية الهضبية، وكان ذلك بطبيعة الحال عمل مستمر لآلاف المواطنين على مدى عدة مئات من السنين . ومن ثم فمن الممكن قياس الزيادة النديجية في السكان وحجم المجتمع واتساع وتطور العمال والنظم السياسية ونمو الحضارة باختصار عن طريق نظم الرى الموجودة والتي تتابعه عبر القرون . ففي أبان فترة امبراطورية الانكا لممتد نظم الرى التي قامت أساسا في المناطق الساحلية . إلى كل المناطق التي يمكن ممارسة الزراعة فيها من الساحل وفي المناطق المرتفعة . كذلك كان انشاء المدرجات حصيلة عمل إستمر عدة أجيال . فبكثير من الأمراضى الموجودة في الساحل وفوق المرتفعات كان لا يمكن أن يكون لها قيمة إقتصادية بدون تحويلها إلى مدرجات وتسمويتها . وقد مهدت ودرجت كثير من المناطق التي كان لا يمكن أن تروى وسبب ذلك هو الرغبة في الحصول على أقصى إستغلال للأرض الصعبة . وعلى الرغم من أن هذا النوع من الزراعة كان كثيفا أكثر منه واسعا إلا أنه نوعا غريبا بالنسبة للأمريكيين أكثر من الشرقيين . حتى المخصبات التي نادرا ما إستخدمها الزراع البدائيين كانت معروفة لدى زراع الانكا . فالجـوانو

Guano وهى مخلفات طيور المحيط. الهادى كانت تستخدم كسماد حيث كانت توزعه الدولة فوق مساحة كبيرة من الأرض . كذلك إستخدمت بقايا الإنسان والحيوان والرماد والاسماك وكل مادة يمكن أن تزيد خصوبة الأرض كسماد ولكن على نطاق محلي . أما زراع البطاطس فى الجهات المرتفعة فتمد اعتمدها أكثر على نظام واجه الأرض لفترة من الزمن .

وقد كان مسئولية الدولة نحو توفير وتوجيه العمالة أمر، أميزا لنواحي عديدة من حضارة الانكا . فالقلاع السكينية والقصور والمعابد قد بنيت من كتل حجرية كبيرة وضعت فوق بعضها بدون إستخدام مونة أو مادة لاصقة . فحجم وضخامة العمارة حيث إرتفعت بعض الحوائط لاطوال تزيد على ١٠٠ قدم كان ظاهرة بارزة ، كما قامت شبكة معقدة من الطرق ربطت أنحاء الامبراطورية وكان أغلبها من صنع المجهود الضخم للعمال . بعض الطرق كان مرصوفا وبعضها شق وسط الصخور الصلبة والبعض الثالث قد مر فوق ممرات إذا ما كانت الأرض مستنقعية أو فوق كبارى عبر المناطق الجبلية .

وكل هذه المظاهر التى ميزت حضارة الانكا كانت من تنظيم الدولة للأيدى العاملة غير ان الإقتصاد المنزلى واقتصاد القرية كان بمثابة القاعدة لهذه الحضارة . واذا كان إنتاجها لم يكن بالدرجة التى تعنى بأعداد السكان أو أن فائضها لم يسمح للدولة بتوزيعه لكن هنود الانكا بمجموعات من القبائل البدائية المفككة . وعلى هذا المستوى الحلى فإن حقيقة ان الحياة اليومية للهنود لا بد وأن تكون ماثلة لتلك الحياة الموجودة بين القبائل البدائية الأخرى الأقل تميزاً وحضارة ، فى الفترات التى تدخلت فيها الدولة فى حياة الهنود هى تلك الاونة التى ظهر فيها اضافات جديدة للحضارة والحياة فى المجتمعات البدائية ترتبط أساسا بحياة

الأسرة والحدود التي وضعت كأطار للقرية أن الانسان المتحضر يمارس حياته في نطاق أوسع من هذه الدائرة .

والقرية الهندية في حضارة الانكا كانت تتكون أساسا من مجموعة من الانساب والتي يطلق عليها اسم ايللو Ayllu . وقد كان لمجتمع القرية لكل ملكية الأرض والسيطرة عليها غير انها قسمت بين الاييلو أو الانساب المختلفة والذين بسطوا نفوذهم عليها . فكل عائلة منفردة كانت تمتلك أجزاء من أراضي الاييلو أو النسب حيث تورثها فيما بعد إلى الذكور . وقد يظهر في أى وقت من الاوقات ان الأسرة الواحدة قد تمتلك الأرض التي تزرعها ولكن يعاد توزيع أرض النسب مرة أخرى بحيث توزع الأراضي الاييلو على كل العائلات حتى يحدث عدالة في التوزيع . والأرض لا يمكن تباع كما أن العائلة لا تستطيع أن تنصرف فيها إذ أن إنتاج التربة كان من إختصاص العائلة التي تقدم بزراعتها . كذلك كان العمل اليومي في الزراعة من إختصاص الأفراد ، غير أن العمل الأكثر صعوبة في الزراعة والحصد وبناء المساكن وإصلاح قنوات الري والطرق وما شبه ذلك كان يتم عن طريق العمل الجماعي الذي كان يطلق عليه اسم مينجا Minga .

أما نظام تأجير الأرض على المستوى المحلي فهو يشبه ذلك النظام الذي يوجد في قرى الزراعة البدائية . ففي منطقة الانديز كان يوجد أحواض وقطع زراعية غير خاضعة للملكية المجتمع . وفي بعض المناطق ولاسيما الأراضي المقهورة على طول ساحل الباسفيك أخذت أرض القرى باسم امبراطورية الانكا ولصالح الكنيسة . أما في المناطق المرتفعة فقد لجأت الدولة لإستخدام نظام المينجا ففرضت على المجتمعات ضرائب تتمثل في إستخدام نسبة من العمال سنويا .

وإستخدام السخرة فى العمل فى أغراض عديدة خلق أراضى جديدة عن طريق تمهيد وتدريب المنجذرات . وهذه الأراضى أصبحت ملكا للدولة ، وقد تعطى الدولة فى بعض الأحيان مثل هذه الأراضى لأشخاص على شكل إبعاديات وذلك حينما يقوم هؤلاء الأفراد بتأدية خدمات للدولة . ومثل هؤلاء الرجال هم الحكام المحليين Curaca أو أعضاء أسرة الانكا أو القواد الحزبيين والعمال الذين عملوا فى هذه الأراضى لم يكونوا عمال مستقرين بالأرض . فمنازل العمال فى المزرعة كانت مأوى لعمال الوردية فقط وشأنهم فى ذلك شأن نظام سخرة إستخدام العمال فى تشيد مرافق الدولة مثل الطرق والقموات والقلاع وكنظام فإن هذا النظام يميز عن الاشتراكية . فالصفة المميزة لحكم الانكا هو أن الدولة لاتتحمل مسؤولية معيشة المواطن العادى إذ انها ليست دولة حرب . فالقرية الانكاوية مثل القرية البدائية تعتمد على نفسها اذ أن الاشتراكية أو الشيوعية كانت المشاع العام بين كل القبائل البدائية والقرى كما كانت أساس تعاون الأسر والانساب . تدخل الدول فى هذا النظام كان لا يتعدى حدود امكانها توزيع فائق العمالة تحت نظام السخرة .

أما عن التجارة وهى مظهرها ما فى نظام الانكا فلعبت الدولة دورا يشبه دور الملاحظين الاوربيين الذى أدى إلى تطور الاشتراكية إلى نظام . وقد كان السبب وراء ذلك ان التجارة لم تكن حرية بين الافراد فى البضائع الهامة كما انه لا يوجد وسيلة للتبادل أو سوق إذ أن الطريقة التى لجأت اليها الدولة لتبادل منتجاتها كانت الطريقة البدائية المعروفة ولكن على نطاق كبير وهم فى ذلك يشبهون قبائل نوتكان Nootkan والملاينزين والبواينزين حيث يقوم رؤسائهم بجمع وتوزيع البضائع فى مناطق اختصاصهم . فوظيفة دولة الانكا فى التجارة

كان أساساً قائماً على إعادة توزيع البضائع .

وعلى مستوى القرية ملئت المخازن والشون بالحبوب والملابس التى يمكن للمجتمع إستخدامها فى وقت القحط والمجاعة .

كذلك يسمح بإستخدامها للأفراد والاسرة غير النادرة . وهذه المخازن والشون قد خصصت لصالح الدولة عن طريق الخير وان كانت فى العادة هذه وظيفة القرية أو النسب فى القرى التى يقطنها الجماعات البدائية . وسلطة الدولة على القرى فى هذه الحالة يضمن وضع أسس إقامة مخازن الحبوب أو المنتجات الأخرى التى تنتج من أراضي الدولة والكنيسة والتى إستخدمت لإطعام الجيش والمتخصصين والموظفين الذى يقطنوا المدنية الكبيرة

وربما كان أهم نتيجة اقتصادية لإعادة توزيع الدولة للبضائع هو التحكم فى انتقالها من إقليم أيكولوجى خاص إلى إقليم آخر كإرسال الحبوب إلى مناطق زراعة البطاطس ، وصوف الالبكا من المناطق المرتفعة إلى المناطق الساحلية وهكذا .

وهذا النوع من إعادة توزيع السلع كان الوظيفة الهامة لما سيمى بالتجارة المحلية ولكن هذه وظيفة الدولة إذا ما اتخذت كلمة اشتراكية بمعناها الفيفاض ونظر إلى المجتمعات البدائية على أنها دول اشتراكية . فروساء بولينزيا على سبيل المثال يقبلون هدايا فائض الطعام من كل أسرهم الذين أسعدهم الحظ فى وقت من الأوقات للحصول على هذا الفائض غير أنهم يعطون فيما بعد معظم ما حصلوا عليه إلى ذويهم حسب الكمية التى قدموا من قبل وقد يقال أن هذا تبعا للكريم الرئيس ولكن من الناحية الاقتصادية هذا مجرد إعادة توزيع .

فليس هناك استغلال فيما عدا جزءا بسيط يحجز للرئيس وعائلته وبعض أتباعه القلائل وحينما يحدث شئ مماثلة لهذا في مجتمع الانكا فقد يختلف مقياسه فعدة آلاف وعدد أكبر من العمال ساهموا ومن ثم فخصيلة الانتاج كانت أكبر لكي يمكن أن تقيم أود مجموعات أكبر من الأسرة الحاكمة والمتخصصين والجيش والقساوسة أو الكهنة . وقد أصبحت دولة الانكا في أوج عظمها دولة مستقلة إذ كان هناك ١٢ أسرة تمثل الطبقة الموسرة وعدد كبير من الحواريين والغنائم الذين لا يؤدا عملا سوا مساعدة الحكام في لباسهم وتزينهم والرقص والموسيقى ذلك إلى جانب الكهنة وخدام الكنيسة .

فوقت العمل كان ناحية هامة في النظام البدائي لإعادة توزيع المنتجات كما كان يعتبر شكلا من الضرائب التي لا تنفع العامل مباشرة . بمعنى أن الدولة كانت تحصل الضريبة من منتجات العامل وليس من العامل ذاته . فالملابس سواء كانت قطنية أو صوفية أو خليط من الاثنين معا يبدو أنها حفزت على الاهتمام الأول للدولة . وكما هو الحال في بقية أجزاء الاقتصاد فقد وجدت طريقتين لصناعة النسيج النشاط المحلى للاكتفاء الذاتي والنشاط القومي أو الدولى . فنساء القرى كانوا يقوموا دائما بأعمال الغزل والنساجه وذلك من أجل توفيرها لأسرهم وثانويا لإنتاج كميات محددة للدولة لكي تستخدمها الجنود واطليها . ونفس الشئ ينطبق أيضا على كل الحرف اليدوية حيث وجد في الدولة بعض الرجال المهرة الذين يخضعوا في صناعه منسوجات راقية للطبقة الحاكمة . ففي أوج حضارة الانكا كان الأفراد البارزين في الأسرة الحاكمة كانوا يرتدون ملابس فاخرة وكانوا لا يرتدون الثوب مرتين أبدا .

أما الفلاحون فقد ارتدوا ثيابا من أقمشه مغزولة في المنزل ولكن في المناطق

المرتفعه القاسية المناخ كان على السكان أن يرتدوا ملابسهم ثقيلة ولذا فقد ارتدى الرجال في العادة البنطلون القطنى والصديرى بسون أكمام وشال يوضع على الظهر ويربط بعقدة من الامام .

أما النساء فقد ارتدين باثواب تلتف حول أجسادهن من تحت الاذرع وحتى الاقدام وبها أجزاء عليا تلف حول الاكتاف وتربط بدبابيس مستقيمة كما وضع حزام فى الوسط . وقد ارتدى ايضا كل من الجنسين الصنادل خارج المنزل .

أما الزينة فقد انحصرت لدرجة كبيرة فى أفراد الطبقة العليا الذين كانوا يزينوا أنفسهم بالاساور والحلى الفضية والذهبية . وقد سمع لافراد أسر الانكا بتثقب أذانهم ووضع خراط كبير . وقد لاحظ الاسبان عند وفودهم إلى تلك المناطق ما يسموا باسم كبار الاذان (Big ears) Jones (The inca Kinsmen ore)

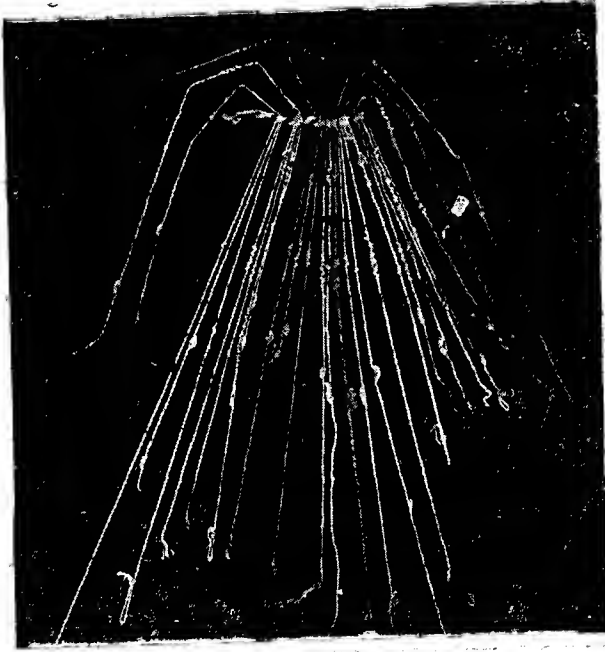
والاريجون الذين يقطن معظم المدينة العاصمة كيزوكو قد أعفوا من الخدمة الحربية والعمل ومثلهم فى ذلك مثل الطبقات الخاصة الأخرى فى المجتمع وقد كان الكوركا Curacas نوعا من نبلاء المقاطعات والذين كانوا فى وقت من الاوقات حكاما لاقاليمهم وقد وضعهم الانكا ضمن مجموعة بروقراطية الدولة ككونهم حكام غير مباشرين ومع مرور الزمن تعلم أحفاد الكوركا فى كزوكو عادات الانكا ومن ثم أصبحوا غير مميزين عن طبقات الانكا الاصلية كذاك تعتبر جماعة اليانا Yana من الجماعات المميزة فى مجتمع الانكا وذلك بالنسبة للجنجيد حيث يتقنوا معظم وقتهم فى تخصصاتهم المختلفة كخدم أو موسيقيين أو راقصين أو أصحاب حرف يدوية متخصصة وغيرها من التخصصات التى تخدم الحاكم .

أما الاكلا Aclia والذين يسمون خطأ باسم عنارى الشمس

" Virgins of the sun " فكانوا عبارة عن الاناث الموازين لجماعة اليانا والذين يعمل بعضهم في خدمة الكنيسة ولكن أغلبه كان خدام أونساج مهرة . وأحد الحرف الاخرى التى تستحق للذكر في مجتمع الانكا حرفة الكيبو quipu الذى يقوم بتسجيل أعداد السكان والضرائب ونظرا لأن الانكا كانوا يفتقرون إلى الكتابة والحساب ولذلك فالشخص المتمرن فقط هو الذى يستطيع أن يقوم بعملية التسجيل . ومثل هذا الشخص الذى يتمرن على تقويه الذاكرة يعرف باسم كيبو حيث يربط به عدد من الحبال أو السلاسل ذات العقد . (شكل ١٩) وهذه كانت ملونة في العادة لتمثل عناصر متعددة كالسكان أو الضواحي أما العقد الموجودة بها فكل واحدة منها تمثل الاحاد والامشرات والمئات والالوف وهكذا وقد اعتقد بعض المعلقين الإسبان الأوائل أن كل مجتمع الانكا ينقسم إلى وحدات من السكان تبدأ من مجموعات عشرية إلى وحدات مئويه ثم إلى وحدات ألفية وهكذا ولكن نعرف الآن أن هذه طريقة احصاء ارتبطت بطريقة بسيطة لاعداد أكثر من تنظيم وظيفي للمجتمع . وأكثر من ذلك فإن هذا العدد ينحصر فقط في الاسر وليس الافراد فالشخص الأعزب مثلا ليس له خدمة للدولة .

وقد تمتع النساجون والمعدنيون من جماعة اليانا بصيت واسع في انتاجهم الجيد . فالمنسوجات المزينة بالصور والنمى صنعها نساجو الانكا فاقت كل ما هو معروف باوربا ، كما أن الصهر الحقيقي للنحاس والفضة كان معروف بل أيضا توصلوا لصناعة البرونز على الرغم من أن حضارة الانكا لاتعتبر من بين حضارات البرونز وذلك لأن المعدن لم يستخدم في صناعة الأدوات والاسلحة .

كما أن وفرة المعادن الثمينة ولاسيما الذهب كان عاملا لجذب الاسبان غير أن قيمة الذهب لدى الانكا كانت تنحصر في امتلاكه بغية استخدامه في الزينة وعمل



شكل (١٩) الكيبو Quipu

لترين المنسوجات بها . فقد كانت مدينة كوزكو حقيقة مدينة الذهب فقد كان للقصير أفرير ذهبي وأعمدة من ذهب وفضة كما أن معبد الشمس الشهير كان له حديقة مليئة بنباتات وحيوانات صنعت جميعها من الذهب المطروق .

وقد كانت الموسيقى أحد الفنون الراقية لدى الانسكا كما كانت أكثر تعقيدا وتطورا عن تلك الموجودة في معظم المجتمعات البدائية . ومن بين آلائهم الميزة مصفار الارض حيث يتدرج كل واحد من هذه المزامير في طوله ونغمته وذلك بالاضافة إلى الفلوت وأنواع عديدة بين الطبل والاجراس . وقد كان تكون السلم الموسيقي بين خمس نغمات استخدمت في الغناء ، كما أن أغاني الحب العربية مازالت تسمع حتى الآن في بعض القرى الهندية . وقد صاحب للموسيقى في معظم الاحيان الرقص الذي مثل في بعض الاوقات دراما بسيطة.

وقد بينت دراسة الاسبان عادات وثروة وحجم بلاط كوزكو بوضوح إذ تصورا أن حكومة هؤلاء الحكام كانت قوية ففي الحقيقة لم يقيم حكام الانسكا في كوزكو إلا بدور ضئيل في الحكم . فامتدح الحدود وحوزة اعداد من السكان داخل الاقليم كانت ذات أهمية كبيرة جدا للدولة البدائية إذ أن هذا البسط يرتبط بزيادة الدخل الذي يساعد على تطوير وعظمة المدينة العاصمة غير أن امتقاليذ المحلية للاقليم المغلوب على أمره كانت لا تتغير أساسا إذ كان على حكامها المحليين الخضوع فقط للسلطة الجديدة ومن ثم تسير بقية الحياة على منوالها . وهكذا لم يغير حاكم الانسكا المحلي غير المباشر الاشكال المختلفة للعادات التي توجد في مكان حدوثها . فلم يكن عنك نظام مستقلا لا عدل في مملكه الانسكا .

فالقانون العام وضع أساسا لمنع الاعمال التي تهدد النظام القائم وأن أغلبية الجرائم القليلة التي حدثت وعافبت عليها الدولة هي تلك التي اقترفها عدد من بيروقراطية

الدولة . فالحياة العظمى كانت فى قمة الجرائم ثم يليها بعد ذلك السلوك الوظيفى السىء ، والامتناع عن الضرائب ثم القتل . والغرامة لم تكن معروفة كذلك لم تبنى أو تشيد السجون إذ اقتصر العمل الجبرى فى المناجم على أصحاب الجرائم البسيطة أما الموت فكان عقوبة الجرائم الأخرى . وبعض الجماعات التى عرفت ميتيما Mitima كان عليها أن تخدم جزءاً من وقتها فى الجيش فى المناطق المفتوحة حديثاً غير أن المعلومات غير واضحة عما إذا كان هذا العمل كنوع من العقوبة لجرائم ارتكبت أم كنوع من التجنيد أو شكل من أشكال النطوع .

وقد انشطرت الحياة اليومية للفلاح بين العمل فى الحقل والمزرعة ، حيث لم يقطع ذلك الروتين إلا فى أثناء احتفالات وشعائر القرية . والمزرعة العادية فى الأراضى المرتفعة فى بيرو كانت صغيرة على شكل مربع أو مستطيل بنيت حوائطه من أحجار الحقل أو الطين أو الطوب النيء كما صنع سقفه من الأشجار والحشائش ولم تكن له مداخن أو حتى نوافذ ومن ثم فكان المزرع مظلماً كثيراً مليئاً بالدخان والأثاث فيه متناثر ويتكون من مصطبة مرتفعة قليلاً عن الأرض وفى بعض الأحيان وجد مقعد للجلوس ، إلى جانب موقد من الصلصال وقليل من الأواني الصلصالية والأطباق . ويخزن الطعام والملابس الزائدة فى قدور كبيرة وفى العادة تبنى المنازل التى ينتمى أصحابها إلى نسب واحد فى مكان واحد حيث يحاط بسور وقد شيدت هذه المجمعات السكنية على جوانب التلال حتى لا تشغل أراضى زراعية قيمة . ولذا فشكل القرية كان شاذاً بفضل المجمعات السكنية المختلفة التى كانت تتباعد عن بعضها بمسافات كبيرة . ومثل هذه القرية المفتوحة كان من الصعب الدفاع عنها غير أن السكان كان لديهم قلعة أو ملجأ عند قمة التل المجاور يمكن التراجع إليه لحماية أنفسهم .

وقد ارتبطت العائلة الممتدة كوحدة مع مجموعة من العائلات في نسب أكبر أو أولو Aylla أو مجموعة العشيرة المحلية . وقد سمح للشخص أن يتزوج من بين أفراد مجموعته لذا فعضوية الاطفال في الاولو قد تكون عن طريق الاب أو الام على الرغم من أنها اعتبرت في العادة أبويه وربما كان سبب ذلك أن الممتلكات تورث للذكور والاولو ليست عشيرة كذلك التي توجد بين عديد من قبائل الهنود الامريكيين . كما أنها لم تكن أحادية الجانب أو خاصة بالزواج من الاباعد Exogamous أو طوطمية Totemic إنما كانت تشبه سلالة كذلك التي تظهر بين مجموعة البولينيزيين على الرغم من أن المعلومات المحددة عنها ناقصة .

ونظام القرابة المتعلق بالجانبين وغير الاباعدى ساد في الاولو . فمضطلع أخ وأخت امتدا يشمل كل أبناء الاعمام ، كما أن التميز بين أبناء العمومة للزعم والفرع والمنوقع أن يكون في الاولو لاجل وجود له . فالعم يطلق عليه مصطلح والد كذلك الخالة تلقب بالام إذ أن في مجتمع الاولو أو النسب يلعب هؤلاء الافراد دورا مثل دور الاب أو الام غير أن العم والخالة يميزوا عنهم ويؤكد نظام المخاطبة الفروق الجنسية حيث تستخدم مصطلحات خاصة تبعا لنوع المتحدث والشخص المخاطب كذلك تعكس المخاطبة التأكيد على الاختلاف في الجيل أو السن .

ويعتبر لأنك الاطفال عامل اقتصادى هام كما هو الحال في معظم المجتمعات البدائية وإذا فالاطفال مرغوبين بأعداد كبيرة شريطة أن يأتوا بعد فترات مناسبة . ولا يوجد إلا قليل من المعلومات عن ميلاد الاطفال عند الانكا . ولكن يبدو أن البداية ، أو القابلة كانت تستدعى لمعاونة الام في حالة الوضع وبعد الميلاد تأخذ الام طفلها إلى النهر لتغتسل هي ولبنها وبعد أربعة أيام يوضع

الطفل في القباط جيداً ويربط في لوحة المهد والتي تحملها الام خلف ظهرها ويظل الطفل بها إلى أن ينمو ويستطيع السير وحينما يبلغ الطفل من العمر عامين يفطم ويقص شعره في احتفال يحضره أقارب وأصدقاء الاسرة الذين يحملون معهم هدايا بهذه المناسبة . ويقوم الخال الاكبر للطفل بعملية قص الشعر وتقليم الاظافر التي يحتفظ بها ويعطى للطفل اسماً يظل محتفظاً به حتى يعطى اسماً آخر عند الاحتفال ببلوغه . وفي خلال المرحلة الباقية من الطفولة يلعب الاطفال سوايا بمساعدة الآباء غير أن التريية الرسمية تقتصر على آباء الانكا والكوراكا Curaca والبنات المختارات اللاتي سيذهبن للكنيسة أو سوف يصبحوا أكلا Aclla في كوزكو .

وعند بلوغ الصبية ١٤ عاماً يتم احتفال بلوغ لهم يتضمن إعطائهم بنطلون الحرب وإسماً جديداً وربما عد هذا أمراً بسيطاً في التري حيث كان يحدث مرة واحدة في العام للشباب الذين بلغوا هذا السن غير أن أبناء الانكا قد يلحقوا باحتفالات تستمر لعدة أسابيع حيث تشرب في أثناء الاحتفالات مشروب الشيككا Chicha وتنحر اللاما كنضحية بأعداد كبيرة كما يخضع الاولاد لاختبارات قوة تحمل ، وتزارع عديد من الأضرحة المقدسة . وبعد ذلك يعطى الاولاد بناطيل الحرب والأسلحة ثم أخيراً تشطر الاذان ليوضع فيها قرط الانكا الذي يعطيه المركز الجديد كمحارب . كذلك يخاطبوا بعد ذلك بأسمائهم الجديدة كما تمنح لآلهم ألقاب الرتب في هذا الاحتفال أيضاً .

أما احتفال بلوغ الفتيات لمرحلة النضج فيقام مباشرة بعد الحيض الاول ومن ثم فقد كانت احتفالات فريدي أكثر منها جماعية . فتظل البنت في عزلة لمدة ثلاثة أيام بعدها تأخذها والدتها إلى الاستحمام وتمشط شعرها وتلبسها

ملابس جديدة ثم تخرج بعد ذلك إلى الأقارب للاحتفال حيث يعطيها خالها الأكبر اسماً جديداً ويقوم الأقارب بتقديم الهدايا .

وبين الفلاحين كان الزواج ممنوعاً بين الأقارب في حدود ابن العم الأول ، فأبناء العمومة الأول تولدوا فقط إذا ما كانت الزوجة هي الزوجة الأساسية ، فزواج الأقارب الغريب كان يعتبر جريمة شنعاء . على أى حال فقد تمكن أباطرة ألانكا المتأخرين من جعل أحد شقيقاتهم زوجة رئيسية كما أن آخرون تزوجوا اخوات لهم من الأم أو الأب . وقد فسر هذا الشذوذ عن القاعدة بأنها محاولة من ألانكا لبيان كيف أنهم كانوا فوق مستوى الرجل العادى وفوق القانون . وقد سادت نفس العادة في مجتمعات شبيهة التنظيم كما كان فى هاواى ومصر والتى ربما كان لها صلة كبيرة بالميراث لدى الحاكم إذ أن تثبيت السلطة وقوة الدولة قد يرتبط بهذا النوع من الزواج .

والزواج الشائعات كانت من الأمور الشائعة بين النبلاء والطبقة الراقية غير أن الفلاح نادراً ما استطاع أن يفعل ذلك . فكل الناس البالغين من المفروض أن يتزوجوا ولا يعتبر الشخص بالغاً حقيقياً إلى أن يستقر أو تستقر فى منزله أو منزلها الخاص . وفى مجال الاختيار المسموح فى الزواج وضعت بعض القيود فى القرية إذ كان على الشخص أن يختار زوجه غير أن رأى النهائى كان للوالدين .

وقد أقام ألانكا للزواج احتفالين بطريقتين متميزتين الأول احتفال مدنى يحضره الحاكم أو مثله ليشهد الزواج وربما كان ذلك من وظيفة المحصى أو العداد أما الحفل الثانى فهو حفل الزواج العادى الذى تنظمه عائلتى العروسين طبقاً للعادات المحلية التى تتضمن تبادل الهدايا وإقامة المآدب والطلاق محرم وذلك لان الامبراطور حضر وأشهر الزواج والارملة لا تستطيع أن تزوج أى شخص

فيا عدا شقيق زوجها . والرجال لهم أكثر حرية من المرأة غير أن الارمل عليه أن يتزوج شقية زوجته المتوفاة .

ويعتقد سكان الانديز أن الأمراض تسببها قوى طبيعية خارقة ، وأن السلوك السيء وإهمال الطقوس الدينية قد يغضب الآلهة ، وأن قوى طبيعية معينة تكمن في الينابيع أو أن الرياح ربما تسبب المرض وذلك عن طريق إدخال أجسام غريبة إلى جسم الإنسان . وأحد المعتقدات المعينة التي آمن بها الأنسكا وما زالت حتى الآن موجودة في بعض قرى الانديز هي فكرة أن الخضة المفاجأة قد تدفع الروح إلى الخروج من الجسد وتترك الشخص في حالة ضعف شديد الهم إلا إذا أمكن إعادة الروح .

أما المطيبون أو الشامانيون فيكونوا مجموعة من الناس اعتقدوا أن لديهم معرفة ومهارات خاصة تمكنهم من التأثير على القوى الطبيعية . وبهذا المنطق فإنهم يمارسون وظيفة السحر والتطبيب كما أنهم يستطيعوا تقرير إذا ما كانوا يرغبون في استخدامهم سلطانهم لإلحاق الضرر بالناس . وقد استخدم الأنسكا طرق الشفاء الموجودة بين الهنود امريكيين إذ يبدأ الشامان عمله بتقديم الاضحية إلى الروح التي تسبب المرض ثم إذا ما اكتشف بعد ذلك العضو المصاب يقوم بتدليكه وحكه إلا أن تعود إلى مكانها وإذا ما قرر أن هناك شيئاً غريباً موجوداً فإنه يستخرجه عن طريق المص ويعقب ذلك وضعه ما يشبه المرهم على موضع الداء وقد أجريت عمليات الترتبة في الرأس لإبان الغزو وذلك من أجل الشفاء آلام الرأس . فقد عثر الأركولوجيون في رواسب بيرو على جماجم اتسمت بوجود ثقب صغير محفورة بها أو قطاعات صغيرة محفورة بها . أو قطاعات صغيرة منشورة . وبعض الجماجم كانت معراة والبعض الآخر أجرى بها أكثر من عملية .

ويخاف سكان قرى الانديز كثيرا من السحرة أذ يعتقدوا أنهم يسلبون الموت عن طريق ممارسة السحر حيث ذكروا أن السحرة يمكنهم عمل صورة للضحية ثم حرقها أو قتلها أو ربما يحصلوا على خصلة من شعر الضحية أو الأظافر لإستخدامها في نفس الغرض . وقد مارس السحرة عملهم في سرية كاملة حتى لا يتعرضوا للموت ومن ثم فنتيجة لذلك فلا يعرف أحد على وجه التأكيد من هو الساحر وأن الشخص الذى يدعى على آخر بممارسة السحر يكون من السهل أن يضاب بالضرر أكبر من غيره .

وموت أحد أفراد الأسرة يؤدي إلى التجمع الفورى للأصدقاء والأقارب الذين يرتدوا ملابس سوداء ويؤدون مصاحبة بقرع الطبول والغناء . أما الأقارب من النساء فيقمن بتمص شعورهن ووضع الحجاب فوق رؤسهن . وقد يستمر المأتم بين الأقارب لفترة طويلة تصل إلى عام وذلك إذا ما كان المتوفى شخصاً ما . وتلف الجثة بالقماش حيث تدفن مع ممتلكات الميت الثمينة إذ أن بقية أغراضه تحرق . وشعائر موت ألانكا بسيطة غير أن الترتيبات تستغرق وقتاً أطول كما أن عدد من الخدم يضحي بهم حيث يدفنوا معه . ومقابر ألانكا العادية كانت عبارة عن حجرة بسيطة من الحجر توضع فيها الجثة في وضع الجلوس وقد تزال في بعض الأحيان الامعاء وذلك ك محاولة للتحنيط . وقد دفن الملوك في قبور أقيمت في الأقاليم الساحلية وذلك في الفترة السابقة للأنكا كما أن مقابرهم معروفة جيداً للآركلوجيين . ومحاولات التحنيط كانت أكثر لديهم وساعد على ذلك جفاف المناخ الساحلى . أما مقابر ألانكا المتأخرين في كوزوكو فغير وفيرة ولكن بعض الأدلة النى عثر عليها تشير إلى أن ألانكا استمروا في عمليات التحنيط .

وقد اعتقدوا أن روح الميت قد تسكن بعد صعودها من الجسد في أحد

الاشياء الطبيعية سواء كانت مظاهر طبيعية أو نبات أو حيوان . وبعض الآلهة المميين والأرواح الطبيعية وأرواح الأجداد البارزين قد تقدس في أماكن تواجدها المعروفة باسم هواكاس Huacas والذي كان قريب الشبه من الأضرحة الرومانية . وقد يكون هواكاس أى شيء ، قد يكون مدينة كاملة مثل كوزكو أو حجر أو ينبوع أو جبل . واعتند الهنود كذلك في عديد من الأشياء النى ترتبط بقوى طبيعية خارقة ويمكن حملها ومن ثم فقد تكون على هيئة حصى أو أحجار أو بعض البلورات ذات الأشكال والألوان غير العادية والتى تخلق لب صاحبها . وتحمل هذه الأشياء لجلب الحظ وتوضع فى المادة فى حقيقة صغيره شأنها فى ذلك شأن رابطة الادوية لدى سكان سهول أمريكا الشمالية :

ويمثل كل دأولو Aylla مجموعة حضارية وثقافية تعبدسلفها بطرق وشعائر خاصة ومختلفة إذ أن كل أفراد قرى إقليم الانديز يشتركون فى مفاهيم عامة بالنسبة للأسلاف والأرواح الطبيعية والآلهة الخاصة لأفراد الانساب والقرى . أما أحكام ألانكا فقد فرضوا على رعاياهم المحليين معتقدات بالكديسة القومية والتى تضمنت فى جزء منها المعتقدات الخاصة للرعية واعتمدت أساسا على نظام التراضى الكهنة الكديسة ، ومن ثم تضمن الكهنوت نظام الحكومة ذاتها إذ أن حكومة ألانكا كغيرها من المجتمعات البدائية كان تنظيمها أوتوقراطى أو ذاتى .

ومعتقدات ألانكا النى وضعت أساسالدين الدولة ارتكزت على الاعتقاد فى الخالق Creator حاكم عالم ما وراء الطبيعة وذلك فى أصل مفهوم أن امبراطور ألانكا يحكم الارض . والخالق ليس له إسماً غير أن ألانكا يخاطبوه بسلسلة طويلة من الألقاب والتى من بينها لقب فيراكوشا Viracocha (اللورد) والذي

استعماله الاسبان للاشارة إليه ، وهو نفس المصطلح الذى كان يستخدمه الهنود فى مخاطبة الاسبان الأوائل الذين خافوا من ملاحظتهم الغربية عليهم . وقد كان فيرا كروشا نوعاً من حضارة بطل ، حيث اعتقدوا أنه خلق العالم والبشر ثم رحل حوله بصحبة الناس ليعلمهم الطريقة الصحيحة لعمل الأشياء . وبعد ذلك اعتزل وسمح للآلهة أصغر لرعاية الكون الذى خلقه . وكانت الشمس أهم هذه الآلهة وأنشطها كما أنها كانت سلف أسرة ألانكا وكما هو الحال فى عديد من المجتمعات كان إله الشمس على هيئة رجل وكان المسئول عن نمو المحاصيل أما إله الرعد فقد تلى فى أهميته الشمس حيث كانت تقام له الصلوات من أجل سقوط الأمطار . أما إله القمر فكان على هيئة أنثى فهى زوجة الشمس وهى هامة لأن مظهرها النقيوى كان أساساً لحساب الوقت طول العام ولنتيجة الأعياد . أما الأرض والبحر فتد نظر إليهما أيضاً ، على كونهما أنثى ، كما أن بعض النجوم والاجرام كانت أصول بعض الأنشطة المعينة . وعلى النقيض من معظم الجماعات البدائية أقام ألانكا الصلوات لهذه الآلهة وموا القرايين وقد شكلت القرايين جزءاً هاماً فى معظم الإحتفالات فى معظم الأحيان كما أنها واكبت زيارة الناس إلى الأرضة . حيث كانت الخنازير وحيوان اللاما تنحر كضحية إلى جانب الأطعمة وشراب الشيكات التى تقدم دائماً بالإضافة إلى الملابس . أما البشر فقد كانوا أغلى الأضحية وهم نادرون فلا يقدموا إلا فى شعائر الدولة أثناء حدوث مجاعة أو قحط أو إبان الهزائم الحربية أو تولى أمبراطور جديد وهلم جرأ ..

وفترات الإحتفالات العامة الكبرى كانت تتفق تماماً مع مجتمع زراعى يعبد الشمس فالسنة الشمسية امتازت بوجود احتفال كبير للشمس فى نهاية الشتاء ٢١ يونيو والقمر فى ٣١ سبتمبر والصيف فى ٢١ ديسمبر حيث كان يعقد فى هذه الآونة احتفالات بلوغ شباب النبلاء . وقد أقيمت كل هذه

الاحتفالات في الميدان الكبير في كوزكو حيث حضرها الامبراطور وبلاطه .
وقد اقيمت احتفالات أخرى في فترات متقطعة من التقويم وربما كان أهمها
احتفال ايتو Itu الذي كان يعقد في الوقت الذي يحتاج فيه ألانكا لمساعدة
الآلهة وذلك في أثناء الحرب أو الجفاف أو الأوبئة . والمظاهر الرئيسة لهذا
الاحتفال كانت شبيهة بالاحتفالات الأخرى إذ تتضمن صوم الناس ليومين قبل
الاحتفال ثم إخراج للكلاب من كوزكو ووضع صور الآلهة في الميدان الكبير ثم
إقامة الصلوات وتقديم الأضحية . وبعقب هذا اليوم المسمى يومين آخرين
للرح والشرب والرقص .

والنقايد الدينية للمبائل المنفرقة في أنحاء الامبراطورية لم يغيرها ألانكا ،
فكما هو الحال في نواحي الحضارة الأخرى فقد أضاف الحكام بعض الأشياء إلى
نقط. معينة الأمر الذي ساعد على إعطاء الحضارة المحلية دفعه الإستمرار عبر
الزمن وقد كان تأثير سياسة ألانكا في الحكم غير المباشر قوى لدرجة أن الأوربين
فيكروا حين وفدوهم لتلك المناطق الإستمرار على نهجهم حتى لو اقتضى الأمر
أن يوضع بعض ألانكا في مراكز إدارية غير أن سياسة الاسبان هدفت لخلق
وحدة دفاعية بين الهنود والننى أصبحت كاملة في النهاية بعد أن تقدمت اللغات
المحلية بعض التمايل نحو توحيدها مع مرور الزمن ومنذ القرن التاسع عشر أصبحوا
هنود بيرو وحدة لغوية وشعباً .

فالقوة الاسبانية تحت قيادة بيزارو تمكنت بعد ١٥٢٧ من العودة مرة
أخرى لفتح امبراطورية ألانكا وكانت تتكون من ٢٠٠ رجلاً بصحبة ٢٧ حصاناً.
ومن حسن حظ بيزارو كانت امبراطورية ألانكا ممزقة بالحرب الأهلية ومن ثم
فقد تمكن الاسبان من القضاء على الامبراطورية نهائياً في الفترة ما بين يناير

عام ١٥٣١ ونوفمبر عام ١٤٢٣ . وقد كانت المقاومة للغزاة ضعيفة وغير منظمة وذلك بعد أن قبض بزارو على الامبراطور أما هوالبـ *Ateahualpa* الذى فاز بالحرب الاهلية وأعدمه . وقد استخدمت طريقة القبض هذه على رأس تنظيم المقاومة بنجاح فى أيام الغزو الاولى للسكسيك .

وقد قبل سكان بـيرو الاصليين الحكام الجدد بسهولة لفترة من الزمن غير أن العلاقة بين القرى الريفية والسلطة المحلية كانت مضطربة لسبب الفوضى وفى بعض المناطق الحساسة مثل وادى كوزكو تمكن الغزاة من حيازة أفضل الاراضى كما كان الإقليم الساحلى مركزاً لنشاطهم . وهكذا أسست مدينة ليما عاصمة الاسبان ومينائها كالـ *Callao* فى عام ١٥٣٥ حيث تطورت مدينة ليما لتصبح من أغنى المدن آنذاك ولتسكون مقعداً لحضارة الاسبان وحياتهم الاجتماعية ومركزاً للحكومة .

كذلك عمرت أجزاء عديدة فى المناطق المرتفعة بالقرى الزراعية. ووزعت كإقطاعيات *Encomiendas* للاسبان كما حدث فى الاجزاء الاخرى من أمريكا الاسبانية . وقد اعتمد هذا النظام على نظرية الالتزام من الجانبين فعلى الهنود أن يقوموا بدفع التزاماتهم السنوية من البضائع والطعام فى مقابل التزام الاسبان بحمايتهم وفض المنازعات بينهم وتعليمهم المسيحية . ولم يطلب الاسبان أى حقوق لآى أرض فى أى مكان إذ أن حكم الهنود ارتبط بحياة الغزاة وورثتهم الاول حيث شعر التاج الاسبانى بعد ذلك أن الهنود قد تعلدوا وأنهم يمكن أن يعتمدوا على أنهم وقد وضعت عدة حواجز بين الغزاة والهنود وكان هدفها حماية الهنود من استغلال سادتهم .

غير أن هذا الاتجاه الاسبانى لم يكن مقبولا لبعض الغزاة الاسبان الذين طمعوا أن يصبحوا ملاك ارسقراطيين وسعوا الى ذلك ليكونهم من أصول

متواضعة حتى ابن بيزارو كان مجرد راعى فى ضيعة أسبانية. فى وقت من الاوقات نشأت إقطاعيات، أو كما عرفت باسم *Latifundios* ضمت بعضها مساحات كبيرة وصلت إلى عدة آلاف مربعة من الأميال عمل بها الهنود الذين جلبوا من مناطق خارج مناطق تواجدهم . وقد نمت مزارع حديثة حقيقية فى قليل من المناطق حيث تخصصت فى زراعة محصول معين للسوق التجارى كذلك ربيت قطعان الماشية فى مزارع أخرى كبيرة اقتطعت من الهنود. على أى حال فى وقت من الاوقات أصبحت السمة المميزة للنظام الموجود فى الاراضى المرتفعة هى الضيعة *Hacienda* . فى هذه الاقاليم استمرت قرى الهنود تستخدم أرضها بطريقة الشيوع التقليدى مع دفع العائد إلى صاحبها وذلك فى العادة المحاصيل الاوربية مثل القمح الذى يستخدمونه لانفسهم . غير أن مالك الارض لم يكن دائما من القواد الاسبان إذ كان من أصحاب الاعمال . فالمجتمعات الهندية كانت هى المسيطرة على الارض وذلك بسبب التقاليد التى تربط القرى وبسبب الرابطة القانونية التى تفرض عليها البقاء مادام عليهم ديناً لصاحب الارض. وخينا تباع الضيعة فإن القرى الداخلة فى حوزتها تنقل إلى الملاك على اعتبار أنها تكون جزءاً ثابتاً من الموارد .

وقد كان هناك أمران هامان أثرا كثيرا فى سكان بيرو الاصليين فى خلال الفترة الاولى للاستعمار الاولى هى إجبار أعمال الانسكا على العمل فى مناجم الفضة فى ظروف غير صحية الامر الذى أدى إلى أن يقضى عدد كبير منهم نجبتهم أو يفروا من التجنيد . أما العامل الثانى فهو انتشار الامراض المعدية كالجدري الذى أحضره الاوريون معهم فقد قدر أن عدد السكان الاصليين قد تقلص بمقدار النصف فى غضون قرنين من حكم الاسبان ، كما أن عدم الاستقرار فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية قد واكب صراع وإضراب من نوع آخر . إذ

أن حكومة المستعمرات والننى هدفت أساساً لتعليم المسيحية لم تجد أن عملها سهلاً ومن ثم فقد شنت حملات تخريبية ضد الدعارة التى لم يجدى التعليم فى منعها ، كما أن معبودات السكان الأصليين فى بعض الجهات عزلت كما أحرقت فى البعض الآخر وبصفة عامة فقد دمرت حياة ثقافية وحضارية لهم .

وأخيراً بعد مضى ١٥٠ عاماً حدث توافق بين حضارتى السكان الأصليين والمستعمرين إذ تدهورت الأراضى فى مناطق المرتفعات تدهوراً كبيراً لدرجة أن أصبح أمام الهنود لا مفر من قبول التغير حيث أن النظام فى الضيعات قد وضع الفلاح فى وضع سيء كما أن الثورات كانت تقابل بعنف وتمنح عنها آثار سيئة . فقد جمعت الحكومة عديد من القرى فى وحدات كبرى عرفت باسم *Reduccions* ، حيث مهد هذا التوحيد إلى تخطيط المدن الأسبانية التى قامت على الخطة المستطيلة ذات الشوارع المتقاطعة وحيث يوجد فى منتصفها ميدان عام وكنيسة كبرى . كذلك دخلت إلى المدن بعد أن وضع الأسبان نظامهم عمل السكان المحليين فى بعض المناصب الإدارية وتبدو درجة سيادة المستعمرين للسكان المحليين سواء من الناحية السياسية أو من الناحية العامة للحضارة من الثورة التى قام بها جبريل كوباك امارو Jose Gabriel Tupac Amaru فى عام ١٧٨٠ إذ كان هدف الفلاحين تحسين الوضع الاقتصادى الذى انهار بسرعة تحت سلطة الأسبان إلى أن أصبحت بيرو أفقر عن ذى قبل . وقادة هذه الثورة كانوا من سلبية ألانكا وجماعات أكتورا كاسى الذين كانوا يأملون فى أن يعودوا إلى سلطتهم ومركزهم القديم . ولكن عدل الثوار ولائهم بوضوح نحو الكنيسة والتاج بحيث قد بدى أنه ليس هناك ثمة رغبة فى عمل أى شئ أكثر من إصلاح بعض الأشياء الخاطئة التى جاءت مع الحكم الأسباني . وحتى فى أثناء حرب الاستقلال الأخيرة بين عامي ١٨٢١ و ١٨٢٤ أبقي الهنود الأمريكيين على ولائهم

للتاج أكثر من ولائهم للجمهوريين . وقد كانت نتائج هزيمة الثوار على قدر من الالهمية إذ تمت عدد من الاصلاحات الدورية لصالح الهنود وأن فرضت فى نفس الوقت بعض القوانين التى تحد من حضارة ألانكا أضف إلى ذلك فإن مناجم التمدين أصبحت أكثر وفرة كما أن سخرة العمال والميتا Mita أدت إلى انهيار الاقتصاد الاسبانى . وهكذا تم الانحام النهائى والاستقرار بين المستعمرين وحضارة الالهالى كما بقيت العلاقة على حالها فى بعض المناطق دون تغير حتى يومنا هذا .

ومنذ الحرب العالمية الثانية فقط أصبح التغير فى نمط حياة ألانكا القديم واضحا إذ أن الوضع السياسى للشعوب الزراعية الصغيرة قد شهد زيادة التمثيل فى الشؤون الاقتصادية العالمية وكان نتيجة لبداية حركة تصنيع محلية وإن كانت قزمية إلا أنها كانت ذات أهمية لتلك الشعوب . ومعنى ذلك أن العمل الاجرى زادت أهميته للقروين كما أصبح التعليم نافعا ، وتحرك السكان صوب المدن أو إلى مراكز الصناعة الامر الذى أدى إلى توسيع عالم الفلاح وإيقاظه من سبات التخلف التى كان يتصف بها فيما سبق فلاح بيرو .

ولعل من أكثر نواحي التغير الاجتماعى إثارة فى الماضى والحاضر وذلك بالنسبة لمركز الفلاح وإعطائه قدراً أكبر من التمثيل فى العالم الحديث ما حدث نتيجة الاختلاط السلالى . فمصطلح مستيزو Mestizo والذى يعنى اغويا خيط . الهنود البيض يعنى أيضاً بمفهوم أوسع هندی العالم الابيض . وبالتدريج نجد أن المفهوم الثانى أصبح المعنى المعتاد ومن ثم تحرك هنود أكثر صوب الفلك الاقتصادى للعالم الحديث وذلك عن طريق التخلي عن الملابس التقليدية للفلاح وعن لهجته وعاداته وتقاليده لدرجة أن المصطلح بشير فى الوقت الحاضر أساساً

إلى الاحوال الاجتماعية والحضارية أكثر من اشارته إلى وضع سلالى معين .

وبالمثل فإن مصطلح هندى أصبح يتفق مع معنى فلاح . ففي تعداد بيرو فى عام ١٨٧٦ كانت نسبة الهنود حوالى ٥٧٦ ٪ من مجموع سكان بيرو ، وفى عام ١٩٤٠ أعطى التعداد ٤٠ ٪ فقط من جملة السكان للهنود ، وكما هو الحال فى بقية أجزاء أمريكا الاسبانية فقد أصبح الهنود مختلطين أو مستيزو وربما بدرجة أسرع عن ذى قبل . وبطبيعة الحال جزء من هذا الظاهر صاحب الاختلاط الجنسى ولكن الشيء المهم هو تناقص فى نسبة الفلاحين والهنود الذين انغمسوا نسبياً فى الحياة السياسية والاقتصادية لبيرو وزيادة أعداد المواطنين أو المتحضرين فى العالم الجديد . فالجماعات التى تعتقد فى نفسها الانسكا أو السكيوشو أو الهنود أصبحت أعدادها أقل بينما زاد أعداد سكان بيرو . وإذا ما استمر الاتجاه الحالى وإذا ما استمر التقدم الصناعى وزادت نسبة المتعلمين واستمر الرخاء فإن بيرو سوف تصبح أمة حديثة تقسم بوجود طبقات اجتماعية وحرفية واقتصادية مميزة غير أنها لا تستند على أى معيار يفترض أنها بيولوجية ولا يستطيع أحد التأكيد عما إذا كان وضع بيرو فى الإقتصاد العالمى سوف يستمر فى اتجاهه الحاضر . .

أهم مراجع الباب الثالث

- 1 — Barton, R. F., *The Kalingas : Their institutions and Customs law*, Chicago, 1949.
- 2 — Keesing, F.M., *Taming philippine Headhunters*, Stanford, 1934.
- 3 — Kroeber, A.L., *peoples of the philippines*, Newyork, 1958.
- 4 — Worcester D.C., *headhunters of northern luzon*, National geographic Magazine, Vol. 23, No. 9, 1912
- 5 — Gann, T.W.F., *Maya cities, A record of Jexploration and adventure in Middle america*, London, 1927.
- 6 — —————, *History of the Mayas*, New York, 1931.
- 7 — Hay, C.L., *The Maya and their Neighbors*, New York, 1940.
- 8 — Stephens, J.L., *incidents of Travel in central america, chiapas and Yucatan*, New York, 1841.
- 9 — Thompson, J.E., *The rise and fall of May a civilization*, Normon, Okla, 1954.
- 10 — Bennett, W.C., *The archeology of the central andes*, In J.H., *Steward handbook of South american indians*, Washington, 1946.
- 11 — —————, *andean culture history*, american Muesum of natural history, Handlook No. 5. New York, 1949.
- 12 — James, P.E., *latin america*, New York, 1942.
- 13 — Means, p.A., *ancient civilization of Andes*, N.Y, 1931.

الباب الرابع

جماعات المجتمعات الحديثة

١ - قرية مراكشية

٢ - قرية هنديّة

قرية مراکشية

قرية مراكشية

يمتد ذلك الجزء من العالم العربى والذي يعرف جغرافيا بشمال إفريقيا على طول الحدود الجنوبية للبحر المتوسط ابتداء من المحيط الاطلسى غربا إلى حدود مصر شرقا . وهذا الشريط الخصب الذى يفصل منطقة الصحراء الكبرى عن البحر يحتوى فى أرضه مجموعة من الدول العربية تضم مراكش وتونس والجزائر وليبيا . وبصفة عامة تتمتع هذه المنطقة بمناخ البحر المتوسط بفصلية المميزتين فن شهر أكتوبر وحتى شهر مارس يكون الشتاء باردا مطيرا .

أما فى الصيف أى فى بقية العام فالمناخ حار جاف . والزراعة هى أهم الموارد الإقتصادية فى المنطقة كما أن غالبية السكان من المسلمين وان كانت شمال إفريقيا ومنطقة الشرق الاوسط قد شهدت عبر التاريخ هجرات متعددة وغزوات مختلفة وضعت أساسا للجموعات السكانية فى هذه المناطق . بمعنى أن التجانس الظاهر بين سكان العالم العربى هو نتيجة لتاريخ حضارى وىلالى معقد .

أما مراكش التى تحتل الركن الغربى القصى من شمال إفريقيا فقد كانت خاضعة لحكم السلطان حتى بعد إستقلالها عن فرنسا إذ يمارس السلطان وظيفته أساسا كقائد وزعيم دىنى للسكان المسلمين . أما إداريا فقد انقسمت المملكة فيما معنى إلى ثلاثة أقسام وهى مراكش الفرنسىة التى كانت أكبر الأقسام الثلاثة ومراكش الاسبانية التى كانت محمية أسبانية ثم منطقة طنجه . وحتى فى عصر البلايستوسين كانت شمال إفريقيا منطقة حدية للحضارات الراقية التى نمت فى أماكن أخرى فأول التأثيرات الحضارية التى وفدت إلى المنطقة صاحبت جماعات البحر المتوسط التى حملت الزراعة وقدمت من منطقة الهلال الخصيب

في غضون الالف الثالثه ق.م وحملت معها القمح والشعير والخضروات والماعز والاعنام والخناير وقطعان الماشيه . ويعتقد أن هؤلاء الوافدين كانوا هم أسلاف سكان البربر الحاليين .

وفي حوالى عام ١٨٥٠ ق.م تمكن الفينيقيون من تأسيس مدينه قرطاجنه التى تقوم مكانها الآن مدينه تونس ، وربما كان لهم علاقات تجاريه مع السكان المحليين غير أنهم لم يؤسسوا مستعمرات ثابتة لهم هناك. إذ ان الإشتار الرومان قد حطم نهائيا قوة قرطاجه أثناء الحرب اليونانيه حيث أصبح الرومان بعد عام ١٤٦ ق.م هم سادة شمال إفريقيا . وفي عام ٤٢ ق.م. أسست موريثانيا (مراكش) كمقاطعه ، إذ تكونت المستعمرات وقدمت إلى المنطقه عديد من الحضارات . وربما بسبب رغبه الرومان فى السيطرة على تجارة البحر المتوسط أقاموا مدنا عديده فى المنطقه غير انه مع القرن الرابع الميلادى خبا ضوء الامبراطوريه الرومانيه من شمال إفريقيا وانقسمت أراضيها إلى ممالك عدة .

غير أن الفراغ السياسى والتجارى الذى خلفه الرومان سرعان ما ملأه المد الإسلامى الكبير فى غضون القرن السابع الميلادى إذ وفد العرب من الشرق وسرعان ما غنوا المدن والمراكز التجاريه . وهكذا وجد سكان مراكش وحتى عامه الشعب فى القرن دستورا فأقبلوا عليه ، ثم حدث بعد ذلك الغزو الثانيه الكبرى للمسلمين فى غضون القرى الحادى عشر الميلادى وضمت هذه الغزوه اعداد كبير من القبائل البدويه التى وفدت من شبه الجزيره العربيه حيث استقرت فى المناطق الزراعيه فى شمال إفريقيا واختلطت إلى حد كبير بسكان البربر الاصليين ونتاج عن هذا الاختلاط السكان العرب الحاليين الذين يعيشون

في ريف شمال إفريقية إذ أن بعض البربر لم يتقبلوا الوافدين الجدد ومن ثم انسحبوا صوب الجنوب إلى المناطق الصحراوية والجبلية وإلى أعلى الأنهار وهي نفس المناطق التي يتواجدون فيها في الوقت الحاضر . وبعض هؤلاء القوم مستقرون يمارسون نوعا من الزراعة البدائية الجافة كما إن البعض الآخر رعاة بدائيون . ويعرف هؤلاء بأسماء متعددة إلا أن أكثرها شيوعا الشوايا والقبائل والشلوح والريف . وفي مناطق الصحراء أصبح البربر رعاة جمل وهم الذين يطلق عليهم اسم الطوارق .

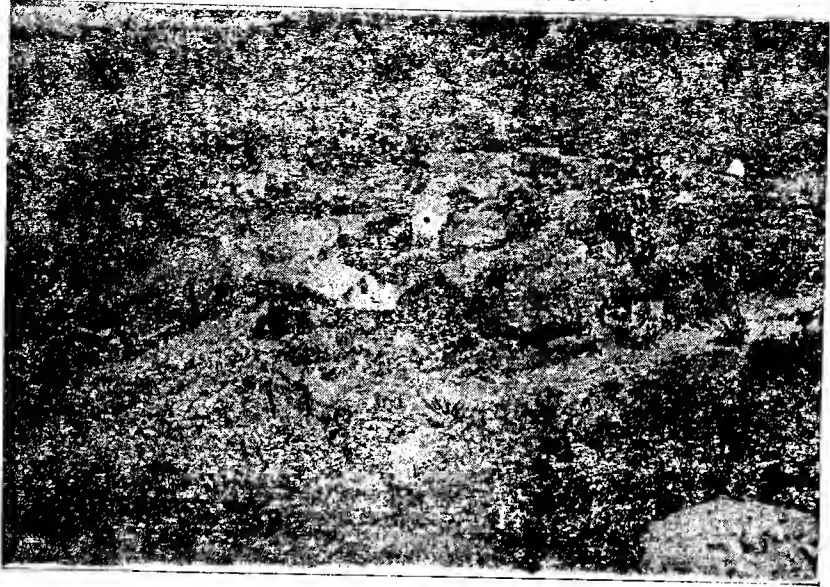
وقد وصل التوسع الإسلامي إلى أسبانيا في عام ٧١١ م ومنذ تلك الفترة وحتى دخول المسيحية لأسبانيا في خلال القرن ١٥ شهدت المنطقة حضارة كبيرة وذلك بالمقارنة بالمراكز الأخرى في العالم العربي . وقد أطلق على عرب أسبانيا أسم المور وذلك نسبة إلى مورتانيا في شمال إفريقية ومن ثم فكلمة المور بالإنجليزية تعني مملكة مراکش الحالية . وقد طرد عديد من المور واليهود من أسبانيا بعد عام ١٤٩٢ حيث استقروا في مراکش كما أن بعض المور الأسبان تجمعوا في بعض مناطق معينة كما فعل نفس الشيء يهود أسبانيا والذين يتحدثون لهجة اندلسية أسبانية قديمة .

ويعود بداية النفوذ الأوربي في شمال إفريقية إلى إحتلال الفرنسيين للجزائر في عام ١٨٣٠ ثم التونسي في عام ١٨٨١ . وفي عام ١٩٠٧ بدأ الفرنسيون يغزون مراکش كما بدأ الأسبان يوسعون قبضتهم على عديد من مدن المستعمرات ومن ثم كانت مراکش آخر دول العالم التي استعمرتها القوى الأوربية . وقد حارب المراكشيون الأسبان والفرنسيون حروب العصابات تحت قيادة ثائر الريف المعروف عبد الكريم بحيث لم تخضع كل أراضي أسبانيا للقوى الفرنسية إلا بعد عام ١٩٣٠ .

وتعتبر مرا كش اليوم من أكثر الدول العربية إستقراراً ، وتأثير الحضارة الأوربية على شال إفريقية مختلف ومتنوع كما أنه ليس مجرد تأثيراً سياسياً . فكل الغزاة السابقين للأوربيين كانوا على مستوى تكنولوجيا واحد غير أن الاختلاف كان يكمن أساساً فى التنظيم السياسى والتجارى والحربى غير أن آخر الغزاة كانوا يمثلون التكنولوجيا الصناعىة الأوربية ومن ثم كانوا قادرين على تقديم العناصر الكفيلة بتطوير أحوال الحياة لدرجة لم تشهدها دول شال إفريقية من قبل .

وتعكس قرية المديونه التى تضم ما يقرب من ٣١٥ شخصياً فى منطقة طنجه الدولية النتائج الحضارية الرئيسة المختلفة فى تاريخ مرا كش ، فقد اختلط البربر والعرب هنا مع اللغة العربيه والديانته الإسلاميه والحضارة السائدة هنا كغيرها فى بقيه المحلات العمرانيه المراكشيه . والملامح الطبيعىه للسكان بربريه أساساً وتتصف بالقامة الصغيرة وبناء الجسم الثقيل والوجه المربع والعضلات القوية والشعر البنى الداكن واللحية والشارب الطويل ولون البشرة أبيض تشوبه السمرة من فعل الشمس . وتسود اللغة العربيه بين السكان ولا يتحدث أحد باللجه البربريه . وقد درس قرية المديونه الدكتور وليم شورجر فى عام ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ومن ثم فوصف القرية يعتمد على المعلومات المستقاة من دراسته فى هذا الوقت . (شكل ٢٠)

تقع هذه القرية على بعد ميل من ساحل المحيط الأطلسى وتنفصل عن الساحل بسهل فيضى يستخدم للزراعة والرعى . والمظهر العام للأرض يذكّرنا بجنوب كليفورنيا وأجزاء من ساحل البحر المتوسط. الاسبانيه حيث يميل الجو إلى الدفء والجفاف وتسود النباتات الشوكيه والنباتات التى تتحمل الجفاف مثل



شكل (٢٠) قرية المديونه

Palometto والسكثرى التى أحضرها الأسبان من أمريكا . والمورد والهام هنا الأرض الخصبة بالإضافة إلى الصخور المتجمعة التى يصنع منها القرويون أحجار الطواحين اليدوية التى تعتبر فى الأقليم لإنتاجا متخصصا يباع فى الأسواق الخارجية . ومن الصفات الخاصة الأخرى التى ترتبط بالمنطقة الرياح إذ أن اتجاه الرياح له أهمية فى مراكش وفى معظم الأقليم الغربى للبحر المتوسط فالرياح هنا رياح غربية محملة بالأمطار أما الرياح الشرقية والمعروفة باسم السيروكو فتسود فى فصل الجفاف وذلك بعد أن تقطع مسافات طويلة فوق أراضى حارة الأمر الذى يجعلها تحمل إلى طقس المنطقة حرارة وجفاف أكثر من المعتاد . وتهب رياح السيروكو بعنف وقد يستمر هبوبها بضعة أيام ترتفع فى أثنائها درجة الحرارة إرتفاعا كبيرا كما تجفف المياه وتحرق الحشائش والمحاصيل وتخلق فوق ذلك كله توترا فى الأعصاب بين السكان ولذا يحرص المور فى أثنائها على النواجد داخل المنازل والأقال من العمل كلما استطاعوا ذلك .

وتعتبر الزراعة والرعى الحرف الرئيسية لسكان القرية ، أما قطع الأحجار فهذا عمل ثانوى متخصص يعتمد عليه كدخل نقدى يستعمله سكان القرية فى الحصول على ضروريات حياتهم من خارج محلتهم العمرانية . وسكان هذه القرية مثل أى قروين آخرين فى أى مكان مكثفين ذاتيا لدرجة كبيرة مع وجود روابط سياسية وإقتصادية بالدولة بالقدر الذى يجعلها جزءا منها . وعلى الرغم من القرب من البحر إلا أن السكان ليس لديهم أى توجيه إقتصادى نحوه فليس لديهم قوارب كما أن كل تقاليدهم تتجه نحو اليابس .

والتنظيم السياسى للقرية يشبه تنظيمها الإقتصادى يتصف بقدر كبير من بالذاتية فكل ١١ قرية يحكمها شيخ وكل قرية يرأسها مقدم الذى يختار فى العادة

عن طريق مجلس القرية الذى يقوم بدور رؤساء العائلات، وإلى جانب المقدم توجد وظيفة أخرى واحدة وهى وظيفة المأذون والذى يعينه مجلس القرية للعناية بالمسجد وإقامة شعائر الصلاة. ولا تأخذ الأصوات فى المجلس لاي قرار إذ يتبع الإتجاه العام أكثر من القاعدة. فبحكم القانون لقاء المجلس مفتوح لكل السكان وفى العادة يعقد خارج المنازل والتشريعات نادرة جداً إذ أن الإجتماعات تعقد فقط من أجل النظر فى حالات السرقة أو الاعتداء وذلك بناء على طلب المجنى عليه. ولا يوجد هناك إتجاه للجريمة ضد المجتمع حيث لا يوجد شخص مجنى عليه أو متضرر. فإذا ما خرقت تعاليم الإسلام فليس هناك من متضرر ولكن عقاب ذلك سوف يتلقاه الفرد يوم الحساب.

وملكية الارض فردية، ومعظم الحقول والاراضى الخصبة يمتلكها الاهالى الذين يعملون بها. وفى بعض الحالات قد يعمل بعض الافراد فى الارض على أساس المشاركة فى المحصول أو نظير التأجير النقدى إذ أن الربا والفائدة. من الامور التى منعهما القرآن. وقد يتبع الجامع قطعة صغيرة من الارض يتخذ دخلها لتغطية نفقات المسجد. ويملك سكان من خارج القرية حوالى ١/٣ الاراضى التى تقع حولها، ومعظم اراضى الرعى مشاعة تمتلكها القرية ككل وحرية الرعى فيها كقيلة لاي فرد. وهذه اراضى حدية ليست فى جودة الاراضى التى تستخدم فى الزراعة غير انها قادرة على الإنتاج ويمكن إستخدامها لزراعة المحاصيل لاي شخص ليس لديه أرض. وبعد مضى عشر سنوات من الممكن للفرد أن يعلن عن ملكيته لهذه الارض، ومن ثم لا توجد أى عائلة لا تمتلك أرضاً فى القرية كذلك مصادر المياه ملكية مشاعة فيمكن لاي فرد أن يستغل مياه بئار بيع القرية كما يسمح لاي شخص أن يروى زراعات حديقته.

وأهم محاصيل الحقل الذرة الرفيعة والقمح إلى جانب محاصيل أقل أهمية مثل الحنظل والفول والشعير والذرة . وقد تتبع دورة زراعية غير أنه لا تستخدم مخصبات في الحقل . وقيمة الساد البلدى معروفة لذا يستخدم في الحدائق غير انه كافى لإستخدامه في الحقول الكبيرة . وتزرع محاصيل الحقل قبل بداية موسم الامطار الشتوية وتخصد مع الزبيح حيث تعطى محصولا سنويا واحدا . أما القطع المخصصة للحدائق فتروى وتعطى محاصيل مستمرة وكلها تقع فى مناطق تسمح مياهها الجوفية فى أن تتدفق على هيئة ينابيع يمكن إستغلالها فى الري ، ومن ثم فهى محددة وكل مواضعها مستقلة . وأهم منتجات الحدائق الفجل والبطاطا والطماطم والبذنجان كما أن الثين والكثيرى هما أشهر الفاكهة التى تزرع إلى جانب التفاح والبرقوق والعنب غير أن هذه المحاصيل لا تلقى عناية خاصة .

ويتطلب الحرث والبذر مجهودا كبيرا ولكن ما أن تنبت المحاصيل حتى يقل الجهد إلى أن تأتى فترة الحصاد . وعملية الحصاد تتموم بها النساء حيث تذهبن بصحبة الفتيات لقطع القمح أو محصول الحبوب ثم حملة إلى مكان عام خصص للدرس . وهناك توضع أكوام نبات القمح على الارض ثم تقوم الابقار بحرق النورج الذى يقطع لنبات ويفسكك الحبوب وبعد ذلك يقوم الرجال بذر الحبوب حيث يتطاير النبن ويبقى القمح وذلك بواسطة المذراة . ويستخدم التبن كغذاء للحيوان بينما تنقل الحبوب لتخزن فى المنازل وذلك بعد تنظيفها .

وأهم الحيوانات المستأنسة الماشية حيث تحلب الابقار وتستخدم الثيران فى حرث الحقول . أما الحقول والبغال فقد تستخدم أحيانا فى عمليات الدرس ولكن لا تستخدم أبدا فى عمليات الحرث . والاغنام والماعز والطيور والكلاب حيوانات أخرى يستخدمها الإلهالى والخنازير محرمة تربيتها خلال العام الإسلامى كما أنه

ينظر إلى الكلاب على أنها غير نظيفة إذ لا تعامل كما يعاملها الأوربيون. وتحلب الناعز في نفس الوقت الذي تعتبر فيه الأغنام مصدرا هاما للصوف وكلها تستخدم لحومه كطعام على الرغم من أن لحوم الأغنام تفضل عن لحوم الماعز .

ويعتبر الحمار في عالم البحر المتوسط ذات أهمية إقتصادية كبيرة لأنه هو وسيلة المواصلات الوحيدة لأغلبية العائلات هناك كما أنه من السهل تربيته وذلك على النقيض من الخمول الباهظة الثمن في شرائها وتربيتها والتي تمتلكها الاسر الموسرة فقط ويكون امتلاكها كنوع من الوجاهة أكثر من الناحية العملية أما البغال فهي أصعب وأزنع ولستخدامها أكثر.

وصناعة التنجير صناعة محلية متخصصة في المديونة حيث تعتبر هذه القرية المصدر الذي يمون كل شمال غرب مراکش بالاحجار فأغلبية سكان مراکش مازالوا حتى الآن يطحنون حبوبهم على الرحى الحجرية وقرية المديونة كانت مصدرا هاما لاستخراج أحجار الرحى منذ العصر الروماني على الأقل وذلك نظرا لوجود نوعا من الصخور المجمعمة التي تصلح لصناعة هذه الرحى . ويعرف كل رجال القرية البالغين تقريبا طريقة قطع هذه الاحجار وتصنيعها حيث يلجأون إلى هذا العمل كما يحتاجوا إلى نقود بمعنى أن هذه الحرفة وقتية ولا يوجد بها محترفين يعملون كل الوقت .

والفرص الإقتصادية محدودة جدا في المديونة وذلك خارج العمل الزراعي وقطع الاحجار . والاتصال التجاري للملاحين قاصر على السوق الذي يقع قريبا منهم في مدينة طنجة فالقرية ذاتها لا يوجد بها محل أو سوق ولا مقهى . إذ أن القرويين يستطيعوا أن ينتجوا معظم حاجاتهم الضرورية من طعام ومأوى وصوف خام للملابسهم . أما الملابس الأخرى والادوات المعدنية وآنية المطبخ

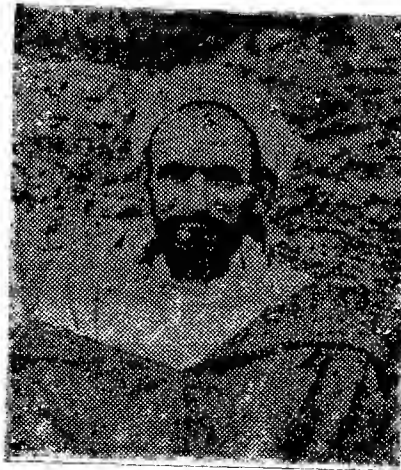
وبعض الاطعمة المرغوبة كالنوايل والشاي والسكر والسمك وزيت الزيتون
فكلها أشياء تشتري . وليس هناك حاجة للقول انه لا يوجد شخص هناك لديه
كل الاشياء التى يرغب فى شرائها والننى توجد فى محلات وسوق المدينة .

ولباس القرويين هو اللباس المعتاد عند العرب ويشترى جميعه من المدينة
فيما عدا العمة واللاسة فتصنع محليا . ويتكون رداء الرجال من بنطلون واسع
صنع من أقمشة قطنية ملونة بألوان داكنة وقميص ذات أكمام يرتدى فوقه صدرى
ملون مطرز بعديد من الازار الصغيرة . وفى بعض الاحيان يوضع قميص آخر
من القطن الابيض فوق الصدرى . وهذا القميص الثانى ليس له أكمام أو كوله
ويشد غطاء الرأس إليه بواسطة رباط . ولذا لم يلبس القروى عمامة أو قبعة
مصنوعة من السعف فانه يضع فوق رأسه لاسة من القطن يبلغ طولها ما بين
١٨ و ٢٠ قدما . ويرتدى سكان القرى بلبس يبلغ أو نعال مصنوعة من جلد الماعز ويغلف
كل اللبس السابق الذى يرتدى خارج المنزل روبا صوفى ذو أكمام قصيرة وهود .
ويرتدى هذا الروب أو الجبة على مدار السنة فى فصل الشتاء يحمى صاحبه من
الامطار والبرد وفى الصيف يقيه حرارة الشمس . وكذلك يحمى الهود مرتديه
ويستخدم عند ارتدائه كمكان لوضع حافظة النقود . (شكل ٢٢، ٢١)

وتعد هذه الجلابة Jelaba كما تعرف فى المغرب رمزا لمركز الشخص .
فالعمال والفلاحون على سبيل المثال يرتدون أروبا أو جليبيه بنيه لا تظلم فيها
الاسواخ بينما يرتدى طلاب المدارس وكبار الرجال أروبا بيضاء . ومعظم
الرجال ولاسيما وهم مسافرون يحملون معهم مظاريف جلدية كبيرة تحت
الارواب تعلق بشريط فى أكتافهم وذلك ليضعوا فيها الاشياء القيمة والاوراق
والنشوق أو المعسل .



شكل (٢١) ملابس الفلاح



شكل (٢٢) مغربي من قرية المديونة

ورداء النساء كما هو الحال في بقية الدول أكثر تنوعاً من الرجال غير أنه في
مراكش نجد أن خطوطه العرضية تشبه ما لدى الرجال فهي عبارة عن بنطلون
واسع وبلوزة وصديري عادي بالإضافة إلى قليل من الأشياء التي تميز ملابس
النساء . حيث تلف حول الوسط قطعة كبيرة مربعة من الأقمشة القطنية كقميص
وتوضع قطعة أخرى فوق الرأس تعرف باسم بابوشكا أو ربوزد Rebozo
بالاسبانية وهي تستخدم لأغراض حماية الرأس كما تستخدم أيضاً في حمل الأطفال
وتستخدم النساء أيضاً الحنة في تلوين أيديهم وأرجلهم كما يستعملوا الكحول .

ويخلق الرجال رؤسهم غير أنهم يطلقون شواربهم مبكراً كلما أمكن ذلك ،
أما ترك اللحية فصنفة لمركز كبار السن . أما قص شعر النساء فليس له أهمية إذ أن
تعاليم الإسلام تقتضي بأن تغطي النساء رؤسهن . وترتدى النساء فقط المجوهرات
التي تصنع أساساً من الذهب وتشمل الخلقان والعقود والاساور . وهذه
المصوغات تعتبر ثروة المنزل وتدل على مقدار ثراء الأسرة ، وهي تباع وتشترى
تبعاً للظروف الاقتصادية للأسرة .

والأسرة في قرية المديونة والتي تضم الزوج والزوجة والأبناء وفي بعض الأحيان
الأقارب المسنين تعتبر أساساً أساس الوحدة الاقتصادية . فكل أسرة مكنتية
ذاتياً ، والقرية في حد ذاتها عبارة عن تجمع غير منظم للمنازل الأسرية وكل منزل
مسور ليشمل داخله المنزل وحظيره الحيوان والمطبخ ومكان تربية الدواجن ثم
فرن خارج المنزل . ويبني الصدر من الأعماب وهو مرتفع لدرجة يصعب منها
رؤية ما بداخله .

والإحساس العام الذي يوحى به مظهر القرية أنها تتكون من جماعات
خاصة تبعد كل البعد عن التخطيط بل تتكون مجرد تجمع سكاني .

وقد صمم المنزل من أجل الحماية من الطقس أكثر من كونه بيئة اجتماعية جيدة فهو في العادة يشبه الكهف ذات الشكل المستطيل ، حوائطه قوية وسقفه منحدرو به نافذتان صغيرتان في الحائط الأمامي . وتتكون عديد من المنازل من حجرة واحدة تبلغ مساحتها ١٠ x ١٥ قدما بنيت من كتل حجرية غير منظمة بواسطة مونه من الطفل . وتتكون بعض المنازل من حجرتين أحدهما أماميه والاخرى خلفيه . وقليل من المنازل التي تمتلكها الاسر الكبيرة أو الغنية تتكون من أربع حجرات . أما منازل الاثرياء فتدهن من الداخل كذلك تدهن الحوائط الخارجية التي تواجه الرياح .

وتؤكد تعاليم الإسلام الفصل النوعي في كل الامور ومن ثم ففي تنظيم المنزل يراعى ضرورة وجود مكان منفصل لتجتمع الرجال ، كما لا بد وأن تخفى النساء في أثناء زيارة ووجود الرجال وإذا ما كان المنزل يتكون من حجرة واحدة فلا بد وأن يكون هناك كوخا ملحقا بالمنزل تقوم النساء بالعمل به والجلوس في أثناء وجود غرباء بالمنزل . أما إذا كان المنزل يتكون من وحدتين أو أكثر فيخصص نصفه لإستعمال الرجال والنصف الآخر للنساء .

وهنا يجب ملاحظة أنه حتى في خيم البدو في المناطق الصحراوية العربية يخصص جزء من الخيمة للحريم بوضع ستار حاجز .

والمنازل دائمة ومستقرة ولا يتنذبذب السكان كثيراً وقد تبنى منازل جديدة غير أنها نادرة وحينما يبنى منزل جديد يحتفل بانتدائه عن طريق ذبح شاة وتلطبخ بعض دمائها على الباب وذلك من أجل طرد الارواح الشريرة وعند الانتقال إلى منزل جديد يحتفل صاحبه بدعوة أصدقائه وأقاربه لتناول الغذاء والذي يسمقه تناول اللبن المخلوط بالعسل أو زيت الزيتون واللذان

ينشأ أيضا في أركان المنزل لطرد الارواح الشريرة .

وأثاث المنزل ضئيل أو معدوم إذ يجلس الناس على حصير وضع على الارض وفوقه بعض الوسائد أو جلد الماعز . أما الاسرة فعبارة عن مرتبة محشوة بالقش ترتفع قليلا عن سطح الارض . وقد يشغل حيزا كبيرا من الفراغ في المنزل صناديق التخزين وجوالات الحبوب المخزونة والبصل والثوم المعلق وبعض الممتلكات الشخصية . أما أدوات الطهي فتخزن خارج المنزل في مكان الطهي .

وتتناول الاسرة في المديونه ثلاث وجبات خلال اليوم وجبتان خفيفتان عند الفجر والظهر وأخرى أكثر دسامة عند المساء ويصنع أنواعا عديدة من الخبز من خليط القمح والشعير كما أن الذرة غذاء أساسى . واللحوم غاليه ومن ثم فاستعمالها قليل . وهى تقلى في زيت الزيتون وتشوح كما تقدم الخضروات .

أما المشروبات المستعمله فهى المياه واللبن ولكن لا يشرب احد اثناء الطعام ، ويقدم الشاي دائما في المناسبات الاجتماعيه . ولا تستخدم مشروبات روحية بسبب تحريم الإسلام لها .

وتبدأ الطعام عادة بالبسمله وكل وجبه طعام تقدم في وعاء واحد يوضع في وسط الذين سوف يتناولوا الطعام حيث يقوم كل واحد منهم بأخذ نصيبه بيده ومن قواعد الاداب أن تستخدم اليد اليمنى فحسب في الطعام وإذا ما وجد ضيفا فن عادة المضيف أن يختار من الطعام قطعه جيده ويقدمها للمضيف . ويعمد المور دائما بغسل ايديهم جيدا قبل تناول الطعام ولا يرغبون في استعمال الشوكه لانها غير نظيفه إذ يستعملها أناس عديدون .

وعادات السكرم ولاسيما بالنسبة للمشاركة في المشرب والمأكل تعتبر من أهم الالتزامات في عرف الاسلام إذ يعتبر المسلمون أن غذا فرقا جوهريا بينهم وبين غيرهم فالرفض أو الامتناع عن مشاركة الضيف أو الفقير في الطعام عمل لا يرضى عنه سبحانه أو البشر . كذلك فرفض ما يقدم اليك من طعام يعتبر أهانه . وعند تناول الطعام في حضرة ضيف يأكل الرجال أولا ثم النساء والأطفال .

وتتحدد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في القرية لدرجة كبيرة بالاتجاه العام في السن والنوع والقراية فعظم سكان القرية متصاهرين بطرق معقدة إذ أن الزواج المفضل في العالم العربي هو زواج الأقارب ولاسيما أبناء العم إذ يفرض على الولد أن يتزوج ابنة عمه . والزواج ليس محدد تحديدا صارما في قرية المديونة وذلك لصغر المجتمع ولقربه من المجتمعات الأخرى ومن المدينة ولكن رغم ذلك فإن ٧٩٪ من حالات الزواج تتم من داخل القرية ويعيش الأزواج الجدد في منازل خاصة بهم في أى مكان ومن ثم فلا يوجد تكسوس وتنظيم الأقارب في منازل متجاورة أو أحياء في القرية وإذا مات زوج رجل امرأة من خارج القرية يكون الزواج ابويا بمعنى أن الأطفال لابد وأن ينشؤا في قرية أبيهم ولكن مرة أخرى لا تكون القرية ذاتها سببا لسكن الأقارب ولهذا السبب فإن أبناء العمومه لا يفرق بينهم السكن .

وحقيقة أن الملكية فردية وأن الاسر النووية تنفصل عن بعضها بما يتناسب مع نمط مصطلحات القراية . فوالد الشخص يلقب بمصطلح مختلف تماما عن مصطلح العم كما أن الحال له تميز آخر . وبالمثل الأم والحالة والعمه كل منهم يلقب بلقب مختلف عن الآخر ، وإذا كان الشخص من نفس الجيل فاطفال هؤلاء العمات والحالات والحلان كل منهم له مصطلح خاص . بمعنى أن ابن الاخت يميز عن

ابناء الاعمام كما ان اولاد العم يميز بينهم على أساس نسبهم لاءئلة الاب أو ءئلة الام . وهذا النوع من العزل يستمر ايضا في جيل الاطفال غير انه في حالة جيل الاجداد والاحفاد فترك مصطلحات القرابة بدون تمييز .

وعلى الرغم من حقيقة أن كل أفراد القرية متقاربين إلا أن السلوك الاجتماعي والذوق يتقرر أساسا تبعاً لدرجة القرابة وتبعاً للسن والنوع . فبين الأقارب نجد ميلاً بين الشخص وخالة في المعاملة ببساطة أكثر من ميله نحو عمه الذي يعد في منزلة والد آخر ولكن لا توجد حواجز أو مسافات اجتماعية يمكن ملاحظتها بين المجموعات المختلفة من الأقارب بالدرجة التي توجد بين القبائل البدائية . ولكن بين النوعين ولاسيما إذا كانا بعيدا القاربة أو غرباء تكون الكلفة شديدة لدرجة ليس لها مثيل في أي حضارة أخرى في العالم . ووجهة النظر العربية أن الرغبة الجنسية لا يمكن مقاومتها إذا أن النساء تجذبن في العسادة الرجال الذين لا يستطيعوا المقاومة ولهذا يفصل الصبي عن الفتيات إذا ما بلغوا مرحلة النضج وفي العادة يبعد النساء عن الرجال أكثر من بعد الرجال عن النساء . فقسم الحريم في المنزل خصص أساسا لنأوى اليه في حضرة الرجال إلى المنزل . وإذا ما كان هناك ضرورة لخروج السيدة إلى الشارع فلا بد وأن تغطي وجهها عند المرور على الرجال . وفي قريه المديونه لا يرتدوا الحجاب ولكن يوضع على الرأس شال يقوم مقام الحجاب في بعض الأحيان .

وحياة الافراد في قرية المديونه يحفها عددا من الاحتفالات والازمات التي توجد من أي مجتمع كالميلاد والزواج والمرض والموت وغير ذلك . فالولادة ينظر اليها على انها من اختصاص النساء فحسب فلا يحضرها رجل ابدا رغم أن المعلومات عن عملية الولادة جد ضئيلة . فالسيدة الحامل تظل تؤدي اعمال المنزل بنشاط إلى أن يأتيها الام الخاص فتذهب إلى مكان الحريم بصحبه أقاربها

واصدقها وقابلة القرية . وتحدث عملية الوضع والسيدة جالسه على طرف مقعد أو صندوق وإلى جوارها سيده اخرى تساعدانها . اما القابلة فتستقبل الطفل ثم تقطع حبله السرى وتغتسله وبعد ذلك تعطيه لأمه ليرقد إلى جانبها على السرير وعلى النقيض من شعوب عديدة فى العالم لا تقام احتفالات لميلاد الطفل اولقطع حبله السرى .

وفكرة ارضاع الطفل بانتظام قد تبدو غير انسانية لسكان قرية المديونه أذ يجب ارضاع الطفل حينما يرغب فى ذلك كما انه لا يجب ان يرضع الطفل من ابن امرأة غير أمه .

وبعد مرور سبه ايام على الميلاد يعطى الطفل اسما ومن الممكن أن يكون أى اسم ولكن القاعدة العامة التى يميل العرب اليها وهى تسمية الطفل الاول باسم محمد لا توجد هناك لا يسموا ايضا الاطفال على اسماء أحد الاقارب واحتفال التسمية بسيط إذ يجتمع الاقارب والاصدقاء وتعـلمن الاسرة الاسم . ونفس الاحتفال يعقد لكل من الذكور والاناث ولكن يفضل الابناء الذكور فى بعض الاحيان وحتى فى احتفال التسمية تكون الاستعدادات أكثر فى حالة لوكان المولود ذكرا . ونسبه وفيات الاطفال مرتفعه غير ان الاهالى يتقبلون هذه الحقيقه بسهولة وربما يرجع عدم تسمية الطفل إلا بعد سبعة ايام إلى الرغبة فى مرور ايام الخطر الذى يحتمل أن يموت فيها الطفل .

ونمارس عملية الطهارة لكل الاولاد وهى ضرورة اسلامية ، وتم العمليه بين عمرى ٣ ن ٧ سنوات ونادرا ما تجرى بعد ذلك السن ويقوم باجراء هذه العماية متخصصون وتجرى احتفالات لذلك .

وينظر للزواج على أنه حالة طبيعیه لكل البالغين ، فالصبي لابد أن يتزوج علما يستطيع أن يـول

أسرة. والزواج رابطة بين العائلات فمن الناحية النظرية لادخل للعريس أو العروس في عملية الاختيار . وعلى الرغم من ان زواج الاسلام المنفصل بين ابن العم وبنت العم إلا ان الاختيار الفعلي للزوجة في قرية المديونة يتوقف أكثر على المميزات الاقتصادية التي تترتب على المصاهرة بين عائلتين وبطبيعة الحال زواج لبناء . الاعمام له تأثير على استقرار المجتمع اذ ان الزواج من عائلة الاب سوف تحافظ على المصادر الاقتصادية الاساسية وعلى المركز الاجتماعى ولكن كما هو متوقع في وقتنا الحاضر حينما تكون المجتمعات أقل استقرارا فالعائلات التي تجد مصلحة اقتصادية في زواج معين قد تعزف عن اتباع عادة زواج بنات العم لابناء العم .

وترتيبات الزواج يقوم بها اساسا والد الصبي فالاب يختار العروس وبقية الاسرة تستشار في هذا الصدد ثم تجرى الترتيبات بعد ذلك دون علم الولد أو الفتاة على الاطلاق . وقبل الزفاف يدعى الصبي إلى اسرة الفتاة ولكن ليس من المفروض أن يرى عروسه وكهزم من ترتيبات الزواج هو دفع نقود وتقديم الاطعمه . بالاضافه إلى تقديم اهل العريس زوج من الشباب إلى العروس . وتستخدم النقود في شراء الشبكة التي تعتبر ملكا خاصا للعروس ولتكون تأمينا لها ضد النكبات والطلاق . أما الطعام فيستخدم في حفل الزفاف الذي يعقد في بيت العروسة أما الشبشب فهو رمز لرحله العروسة إلى منزل الزوجية .

وتستغرق حفل الزواج ذاته ثلاثه أيام فعقد القران يتم في اليوم الاول بين والدى العروسين ، وفي خلال اليومين الاول يبقى كل من العروسين في منزلها يرحون ويغنون مع اصدقائهم في احتفالات بسيطة وفي اليوم الثالث يخلق العريس ويرتدى ثيابا جديده ثم يحتفل به اصدقائه على هيئه غداء عزاب بينما

تزين العروس في منزل ابويها بصحبة اقاربها وفي وقت متأخر من الليل ينسل من وسط اصدقائه ويذهب إلى عروسة .

ويسمح الاسلام للزوج ان يطلق زوجته لاسباب محددة غير انه لا يمكن للزوجه ان تطلق زوجها وفي الواقع قد يكون اهل الزوجه من القوة بحيث يمكن حمايتها وربما يكون للرأى العام تأثير اقوى من القانون من هذا الصدد والزنا من جانب الزوجه يعتبر جريمة لانغفر وسبب قوى للطلاق وعدم انجاب سبب آخر للطلاق حتى في اسرة الزوجه اذ ان المفروض من الزواج هو انجاب الاطفال . رجل واحد في قريه المديونه حاول ان يزيد من حجم اسرته عن طريق الزواج من امرأتين في وقت واحد مع العلم بأنه في الامكان أن يتزوج من اربع نساء غير انه لا يوجد بالقريه من لديه الامكانيات على ان يقوم بهذا العمل .

وتعالج الامراض في القريه بطرق ماديه وروحيه فالكسور والتمطوع والحدوش وماغير ذلك تعالج بالطريقه العمليه اما الامراض غير المنظورة والمحولة الاسباب فتعالج باستخدام انواع متعددة من الاعشاب والتشريط وبعض الاوليه الذين قد يستخدموا الطبول لطرد الارواح الشريرة من المريض .

وينظر إلى الموت على أنه رحله من عالم صعب إلى عالم السلام إلا ان مراسم الجنائز تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة لدى معتقى الديانه المسيحيه فتغسل الجثه بالماء والصابون وتكفن في قماش قطن ابيض وتغطى ببشكير قطن أيضا وفي اليوم التالي للوفاة تجرى مراسم الدفن ويشتري الخبز والتين خصيصا لمراسم الدفن حيث يوزع على الناس الذين يحضروا الدفن ، وتوضع الجثه في خشبه تحمل إلى المدفن ويسير حولها المشيعون . ويوضع الميت في الحدة ثم يوارى

التراب ويرتل القرآن . وبعد الدفن يقام المأتم لمدة ثلاثة أيام

أما عن معتقدات أهالى قرية المديونه فهى تشبه تلك الموجودة فى بقية انحاء
مراكش ترتبط أساسا بتعاليم الجماعات السنية لاذ من المعروف ان الاسلام
قد أنتشر فى هذه المناطق وانه فى خلال الزمن حدث اختلافات عليه فى اتباع
تعاليم السنية ومن ثم فالسلوك الفعلى والشعائر والمعتقدات التى قد توجد فى قرية
معينه قد لا تتفق تماما مع تعاليم الاسلام . على أى حال فليس هناك أى قرية
اسلاميه منعزله عن تيار الاسلام وتكون ديانته خاصه بها

والاسلام مثل المسيحيه دين عالمى إذ ينظر المسلمون إلى الاسلام على انه آخر
الاديان وانه تتمه للرسالة السماوية التى نزلت قبله . ويعتمد الدين الاسلامى على
ثلاثه معتقدات أولها فى وحدانية الخالق والايمان بوجوده والثانى وجود الملائكة
وهم وسيله للاتصال بالبشر والمعتقد الثالث هو الايمان بالحياة الاخرة وان كل
فرد مسئول عن عمله الدنيارى . ويعتبر المسلمون القرآن دستورهم والحديث
الشريف منارا يوضح لهم السلوك الصحيح ويعتمد الاسلام على خمسة اركان وهى
شهادة الا الله إلا الله واقامة الصلاة وحج البيت ودفع الزكاة وصوم رمضان

وسكان قرية المديونه يتبعون تعاليم دينهم غير ان البعض يحجل عنها بعض
عنها الاشياء . ويعتبر المسجد فى قرية المديونه هو مركز النشاط الدينى كما يضم
ايضا مدرسة القرية . والشيخ أو الفقى وهو رجل الدين المتعلم هو الموظف
الوحيد الذى يتقاضى أجرا من سكان القرية وواجبه الاول هو تعليم الصغار الى
جانب اقلية عديد من الانشطة الدينيه . ولا يوجد شيخ معين بالقرية يختص
باقامة شعائر الدين بل يمكن ان يقوم بهذا العمل أى شخص متعلم ومن ثم
يعهد إلى معلم الاطفال الاضطلاع باقامة شعائر الدين والتى اهمها صلاة الجمعة .

وتعتبر الاعياد الدينية من أهم الاحتفالات التي تنظم في قرية المديونة ومن أبرزها مولد النبي الذي يحتفل به في اليوم الثاني عشر من الشهر الثالث الهجري وحيث تستمر الاحتفالات سبعة أيام . كذلك يقام احتفال آخر في خلال موسم الحج وهو العيد الكبير حيث تنحدر الذبائح ذلك إلى جانب العيد الصغير والاحتفال بيوم عاشوراء .

وعلاقة قرية المديونة بالاروبين محدودة وغير مباشرة في وقت دراستها كان لا يوجد بها سوى شخص أوربي واحد وهو انثروبولوجي كان يقطن القرية بالإضافة إلى ان حوالي ٧٣٠ فدانا من اراضيها الزراعية قد بيعت إلى اوروبيين يقيمون خارجها . ولم يحدث ذلك نتيجة لضغط الاوروبيين على الاهالي انما قد باعوا اراضيهم بمحض ارادتهم إذ ان الرغبة في الحصول على المال كانت دافعا قويا وراء ذلك . ويبدو ان اتجاه بيع الارض في قرية المديونة كان يسير مع الاتجاه العام في مراکش حيث فقدت البلاد انذاك استقلالها الاقتصادي والسياسي وربما ومن المؤكد ان الهجرة إلى المدن الكبرى كانت مصاحبة لهذا الاتجاه . على أي حال فلا بد وان الاوضاع قد تغيرت في قرية المديونة في غضون الفترة التي اعقبت دراستها بحيث تأثرت بالتيارات الاقتصادية والسياسية الجديدة التي طرأت على شمال إفريقيا .



قرية هندية

قرية من قرى الهند

تمثل محاولة وصف قرية من قرى الهند إحدى الصعوبات الرئيسية لدى دراسي السلالات الذي يقوم بفحص أحدا للجماعات التي تمثل جزءا حضارة قديمة عظيمة معقدة ، أكثر من كونها دراسة مجتمع مكتفي ذاتيا ومتجانس إلى حد ما في معظم القبائل . فإن قرية واحدة في دولة كالهند في غاية التعقيد . فالقرية في حد ذاتها لها وحدة فعلية ولكن أكثر نساءها ينتمون إلى مجتمعات أخرى ، كما ينتمي كل فرد منها إلى طائفة ما ، وبقدر عدد الطوائف في القرية هناك تنوعات في العادات يلتمزمون بها خارج القرية أيضا ، كما أن هناك في كل قرية هندية عدد من المسلمين ، ومن ثم تتعايش ديانتان عظيمتان جنباً إلى جنب في قرية .

وقرية «شامربت» Shamirpet تحتوى على ٢٥٠٠ نسمة ، يتمركزون في هضبة «الدكن» على مسافة ٢٥ كم من مدينة حيدر أباد . واللغة التي يتعلمها معظم السكان هي «التلوجو» Telugu ولكن كثيرون يتعلمون الأوردية ، والنسبة يتحدثها المسلمون في شمال الهند ، كلغة ثانية . وفيما عدا ذلك فإن قرية شامربت تتميز بكل السمات التي نجدتها في المجتمع الريفي في وسط الهند وشبه الجزيرة . والتركيب الاجتماعي للقرية يتمثل في طوائف نمطية . وبين السكان الهندوس هناك ١٤٠٠ نسمة ينتمون إلى «الطوائف النظيفه» ، و ٦٨٠ نسمة من المنبوذين . وأما المسلمون خارج الطوائف فهم حوالي ٣٤٠ نسمة . واثنتان من أدنى الفئات في الطوائف النظيفه أناس قدموا حديثاً من مجتمعات قبلية . وتوزيع الناس بهذا الشكل إلى طوائف هو إحدى الطرق التي تشكل بها المجتمع الهندي .

وقرية شامربت ليست قديمة ، وإن كانت طرقها كذلك . وطبقا للأساطير فإنها تأسست منذ ٣٥٠ عاما مضت حين أمر الحاكم المسلم لمدينة حيدر أباد

بناء خزان مياه كبير . حينئذ استقر عدد كبير من الذين اشتركوا في بناء المشروع في نفس المكان وصرعان مالحق بهم مستوطنون جدد جذبتهم تسهيلات الري الموجودة . وظلت القرية إقطاعية تنتمي إلى عائلة مسلمة كبيرة حتى عام ١٩٤٨ ، حين ضمت حيدر آباد إلى جمهورية الهند ، ومنذ ذلك التاريخ لم يصبح لحيدر آباد حاكم بالوراثه ، بل دخلت في إطار الحكم الإداري الحديث .

وتتميز هضبة دكان بالمظهر الريفي . ففيها الحقول الخضراء ، الحصبية ، والصخور القاحلة ، وتحمينا الأشجار الضخمة والشجيرات دائمة الخضرة والعدد الهائل من البحيرات والخزانات التي تزين المنطقة وتصنع منظراً ساحراً . ويبلغ متوسط الأمطار خمسة وعشرين بوصة سنوياً والمناخ دافئ وطول العام وإن لم يكن مريح طول العام .

وينتمي سكان قرية شامربت إلى الشعوب التي تتكلم الدرافيدية والتي أضافت مملكتها القديمة الكثير في صنع الحضارة الهندية . ومن الناحية السلافية فإن سكان المنطقة يمثلون خليطاً متجانساً من عناصر كثيرة . فالمسلمون ينحدرون من أجداد اعتنقوا الإسلام في نفس المنطقة وليس من مهاجرين من الشمال ، ومن ثم فهم لا يختلفون كثيراً عن الهندوس في الشكل .

وأما عن الثياب والتزين فإن المسلمين والهندوس يختلفون كثيراً . فالموضة الهندوسية تنوع حسب الثروة . فكل الهندوس ، ماعداً أكثرهم غنى ، يلبسون الرداء الهندوسي النصفى أو الدوتى dhoti وعليه قميص . والفتيات يلبسن جنله بسيط وبلوزة . وأما الأغنياء فيلبسون ثياباً مختلفة ، وتظهر الاختلافات أكثر في مناسبات معينة . فربما يرتدى الرجل معطفاً ، وربما يرتدى « بيجاما » بدلاً من الدتّى أو البنطلون الضيق الذي جاءت منه البيجاما الغربية . وتندثر النساء

الثريات بالسارى . ويزين الهندوس أنفسهم بالذهب والفضة . وتحلى النساء بالحلقات والعقود والخلخال والحزام والخواتم فى الايدى والارجل على السواء .

وأما المسلمون فيلبسون بطريقة متشابهة فالرجال يلبسون سروالا واسعا وقميصا . وأما خارج البيت فهم يلبسون معظما طويلا مزررا حتى العنق وطرבוشا أحمر أو طاقية من صوف الغنم الأسود . وتلبس الفتيات جوبا بحزام فى الخصر ووشاحا رقيقا حول الكتفين . والنساء المتزوجات يلبسن سارى وبلوزة ، كما يجب أن يتحجبن فى حضور الرجال فيما عدا الأقارب المقربين ، وكذلك يلبسن خارج البيت عباءة تغطى جسدهن من قبة الرأس إلى أقصى القدم .

والقرية لم تنشأ بمخطة محددة . فالشارع الواسع الرئيسى تحده المباني البيضاء الحجرية التى تقع فيها المكاتب الحكومية المتعددة ، والمدارس ومكتب البريد والمحال الصغيرة . وفى الحارات الضيقة المنعرجة التى تنفرع من هذا الشارع يعيش أفراد الطوائف النظيفة من مسلمين . وأما الطوائف المنبوذتان وعدد من الصادين الحرفيين فيقيمون فى مناطق منعزلة عن القرية . والحوارى الضيقة عادة ما تكون قذرة لأن أصحاب المساكن يلقون بالقمامة فيها . وعلى إحدى الطائفتين المنبوذتين أن تكنس الشوارع ، وبمساعدة الخنازير والكلاب فإنها تنجح فى ذلك .

ومنازل القرية ذات ثلاثة أنماط رئيسية . أوسعها وهو المعروف بإسم « بهوانتى » يعيش فيه أثرياء المزارعين والناجحون من الحرفيين . وأكثر بيوت المسلمين من هذا النمط . والمنزل يتكون من خمس أو ست حجرات يحيط بها فناء واسع وسور . وداخل الفناء نجد حظيرة المواشى وحظيرة آلات الزراعة وأدوات المنزل . وحوالى ست منازل من هذه المنازل الراقية بها مراحيض صخية صغيرة

في داخل الفناء . والمنزل نفسه حجرى وسقفه مغطى بالقرميد وله فراندة تطل على الفناء والحجرات منظمة بطريقة تكون صحناً من ثلاثة جوانب . وأما أثاث الحجرات فهو رث وغير مريح . فهو عبارة عن عدد من المقاعد الخشبية والكنبات التي تسكنى للجالوس . وأكثر القطع راحة عادة هو السرير . ويزين الأثاث والجدران والأبواب عادة رسوم وزخرفة .

كما أن المنزل العادى المتوسطى الحال مبنى من الحجر وسقفه مغطى بالقرميد ولكنه أصغر حجماً بكثير وأقل فخامة من البهوانى . وإن كان هناك فناء فإن ما فيه من أملاك يبلغ نصف ما فى البهوانى تقريباً . وأما منزل الفقراء والجدس ، وهو حجرة واحدة من الطين مسقوفة بالقش . وليس فيها ما يذكر إلا أدوات طبع بسيطة .

وقرية شامربت أكبر من قرية شان كوم وأكثر تعقيداً . والزراعة هى الحرفة الرئيسية ولكن فيها كثير من الحرف الأخرى . ففيها صناعة الفخار والحلاقة والتجارة والنسيج والسكى والرعى . وكل حرفة من هذه الحرف تختص بها طائفة معينة وإن كان بعض أعضاء الطائفة يزرعون مساحات متفاوتة من الأرض .

وأهم محاصيل المنطقة الأرز والذرة العويجه كما تزرع والذرة الشامية والبقول السودانى وبنودور التربة الأخرى إلى جانب الدخان ومجموعة كبيرة من الخضروات ويخمد والقرويون التسميد واستخدام الرى بوسائل الشادوف القديمة ، كما يستخدمون الساقية التي تديرها الثيران والأبقار فى معظم الأحيان . كما يملكون الأبقار والجاموس التي تمثل جزءاً هاماً من مصادر الغذاء ولكن الماشية فى حالة يرثى لها نتيجة انعدام التغذية الجيدة ولا توفر كمية كبيرة من

اللبن . وتقوم طائفة الرعاة برعى قطعان الماعز ، كما يتولى تربية الخنازير طائفة أخرى تسمى «إركالاس» ، كما يربون لإعداد كبيرة من الدجاج والحيوانات الأليفة كالكلاب . وعدد القطط في القرية كبير ولكنها لا تعتبر أليفة .

وأهل قرية شامربت لا يجدون التغذية الكافية بالمعايير الحديثة . وحتى الميسورين منهم يعانون من سوء التغذية الكاملة . فهناك فيتامينات معينة غير متوفرة كما أن البروتين والدهون لا تمكن السكان ، خصوصا بين الطبقات المنخفضة الدخل . وعادات الأكل ومنوعاته تنوع في القرية فالبراهمة والكوميث طائفتان نباتيتان ، فهم ممنوعون من أكل البيض وأيضا السمك . كما أن الهندوس جميعا لا يأكلون الأبقار . وأما المسلمون فيأكلون الأبقار ولكنهم لا يأكلون الخنازير . والسمك واللحم غالية الثمن جدا ولا يستطيع من يأكلونها أن يدفعوا ثمنها في الغالب . والسكان جميعا يحبون الزيت واللبن ، ولكنهم نادرا ما يرفعون الثمن حتى أن قليلا من الناس هم الذين يستطيعون أن يستخدموها في الغذاء اليومي . والخضروات الرخيصة هي التي عادة ما تضاف إلى الأرز المسلوق في غذاء غالبية السكان اليومي .

والنظام الإقتصادي للقرية بوجه عام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنظام الطوائف . فمعظم الطوائف تمارس احتكار حرفة أو مهنة معينة ، رغم حرية بعض أفراد الطائفة في أن يمارسوا وظيفة جانبية أخرى ، كالزراعة أو عمل يومي . وكل الطوائف ترتبط ببعضها البعض ارتباطاً قويا في المساهمة في اقتصاد القرية . وشعور الطوائف بالارتباط وللشاركة ومقياسها عظيمان جدا ، فكل طائفة لها دور في الاقتصاد وهو أساسي بالنسبة للأسرة وكل طائفة مغلقة على نفسها ولأن القرية ضيقة فإن على كل رجل أن يحدد زوجة له من قرية أخرى ، ولذلك فإن علاقات المصاهرة وزمالة المهنة توجد بين أعضاء الطوائف في القرى الأخرى ،

ولكن في داخل القرية نفسها فإن العلاقة بين الطوائف يخلقها تخصص العمل العضوى وسلوك أعضاء الطوائف مع الطوائف الأخرى تحكم تقاليد قديمة راسخة ومعظمها تقرر أن الاختلاف أو للفارق الاجتماعى مانع كبير للزواج . كما تنقسم الطوائف بنظامها المتدرج فى المراتب .

ويعتقد الهندوس أن مجتمهم كان مقسماً أصلاً إلى خمس مجموعات تدعى فارنوس (الملونين) : والثلاثة الأول منها وأكثرها أهمية كذلك هم البراهمة (وهم القساوسة والمتعلمون) والثانية هم الكشاترين (المحاربون والحكام) والثالثة هم الفيشيون (وهم التجار) . وهذه الطوائف كانت تعد مولودة مرتين والمجموعة الرابعة هى الطوائف الإستهيطانية وهى أدمن من الطوائف السابقة ، ولكنها لا تعتبر من المنبوذين . والمجموعة الخامسة كانت تشمل على الطوائف المنبوذة . وفى قرية شامربت فإن النظام الحالى أكثر تعقيداً . فالطوائف الحديثة تنظم فى نظام طباقى :

وكل الطوائف مغلقة على نفسها وكلها تعرف بهـ هذا النظام الطباقى . وأكثر أشكال الإعراف بهذه الطبقة هو رفض الشخص لأن يتناول طعام من يد أى عضو فى طائفة أدنى . ووضع كل فرد دائم وثابت ، فهو يولد فى طائفة معينة ولا يمكن أن يتغير وضعه إلى أعلى أو إلى أدنى . وكثيراً ما كانت تقسم الطوائف فى الماضى حتى أن بعض الطوائف أصبحت أقساماً مغلقة على نفسها أعلى أو أدنى فى الأقسام الأخرى . ولا يتزوج عضو فى قسم من نفس القسم الذى ينتمى إليه دائماً يجب أن يتزوج من قسم مختلف .

ويقدم أعضاء الطوائف خدماتهم دون انتظار عائد مباشر . فهذه الخدمات

تعد واجبا على الطائفة كما أن الطائفة الأخرى سوف تردّها يوما ما . فالمزارع مثلا يحصل على أدوات جديدة كل فترة من النخار ، وأواني فخارية من الفخار ويحلق له الحلاق ، إلى آخره ، ثم يقوم بدفع كل هذا بعد حصاد عامين من محصوله . وترسخ العلاقات المهنية بين الأفراد وتصبح تقليدية عبر أجيال الأسرة في الغالب . والذين يحتاجون خدمات مؤقتة من صاحب حرفة عليه أن يدفع مقدما ولسوف يجد القرويين الفريق لا يتعاملون بالنقد بقانون في أجورهم .

وأما مجتمع المسلمين في القرية . فليس فيه طوائف ولا طبقات . وهم عادة يتمتعون بدخل مرتفع كما أن حكام مدينة حيدر آباد كانوا مسلمين حتى وقت قريب وهم يفخرون بأنفسهم . وأكثر المسلمين يشغلون بالتجارة وآخرون من أثرياء المزارعين . وأما الهندوس فلمهم ديانة أكثر قدما ويشعرون بالتفوق على المسلمين . وحتى عام ١٩٤٨ كان للمسلمين سند في الدولة ولكن بعد أن انتهى حكم المسلمين بدأ الهندوس يظهرن احتقارهم الصريح للمسلمين ولكن هذا الاتجاه خفت مدته بعد أعوام قليلة من ذلك رغم أن المجموعتين لا تزالان قويتان بتفوقها الاصيل ، وفيما يتعلق بالاقتصاد الاجتماعي فإن المسلمين يعتبرون نوعا من الطائفة تعادل بشكل ما طائفة الهندوس الزراعية ويسخر الهندوس من عادات المسلمين مثل عدم إلتفاتهم إلى التقاليد الطائفية في الزواج كزواج أبناء العم . كما يعتبر المسلمون متظاهرين بالنسبة للهندوس (يأكل المسلم أرزا حامضا في بيته ويخرج يلحق شفثيه ويدعى أنه أكل أرزا محمرا ولحما شيبا) كما ينظر المسلمين إلى الهندوس أنهم جنباء وحقراء .

والتنظيم السياسي للدولة يتمثل في حالين متميزين تماما . إحدى الطائفتين هي التي تنبثق من القرية ذاتها وتقرر أكثر شئون القرية العادية اجتماعيا ودينيا .

والمجموعة الثانية هى ستة من الممثلين للحكومة الهندية وهم مسئولون عن جمع الضرائب والسجلات الرسمية والبوليس ، وأهم هؤلاء الممثلين من وجهة نظر القرويين هو (الباتوارى) لأنه المسئول عن سجلات الأرض والعوائد . كما تعين الحكومة مجموعة من أربعة عشرة عاملاً يقومون بالأعمال اليدوية الخاصة بالقرية ، وعلى رأس المجموعة المحلية من الموظفين هو رئيس القرية وهذا الشخص هو أغنى فرد فى القرية وهو يتوارث الوظيفة عن أجداده . وإن لم تعد له نفس السلطات القديمة فإنه لا زال يتمتع بتأثيره العظيم فى فض المنازعات فى القرية . وعادة فإنه لا يتخذ قراراته الهامة بطريقة تعسفية ، ولكنه يستشير مجلس القرية الذى هو أهم أعضائه ، ويتكون المجلس من أكثر الأشخاص ثراء وتأثيراً فى القرية وزعماء الطوائف المختلفة والجماعات الدينية وهو يشتمل على سبعة وعشرون عضواً . واختصاصات المجلس متنوعة فهو يساعد الرئيس على فض المنازعات التى لا تعرض على المحاكم الحكومية . وينظم احتفالات القرية ويبادر دائماً بتخطيط مشروعات تدمية المجتمع وبالرغم من أن هناك عصبية متعارضة كثيرة تعارض أى قرار فإن الأقلية دائماً ما ترضخ فى سبيل تماسك المجتمع . كما أن الطوائف تقوم بالقسم الأعظم فى عملية الضغط الاجتماعى . فكل طائفة ترتبط بالطائفة المماثلة لها فى مناطق أخرى فى حفظ تقاليد الطائفة وكل طائفة بالقرية لها رئيسها المتوارث الذى ينفذ قواعد السلوك التقليدية . وأى خروج من هذه التقاليد فإنه يحاسب صاحبه بينما تمرض الحالات الأكثر خطراً على مجلس القرية .

والوضع الاجتماعى للأفراد يتقرر بانتماهم للطائفة ، ورغم ذلك فإنه يمكن الصعود فى السلم الاجتماعى إذا أحرز قدر من الثراء ، فمثلاً أحد الفلاحين المنبوذين أصبح مزارعاً غنياً فى القرية وصار مشهوراً . وهو يشغل مركزاً مؤثراً فيها .

رغم أنه لا يزال يحترم تلك الطوائف الأعلى منه ورغم أنه لا يزال منبوذاً إلا أن صوته في المجلس له نفوذه . ويتأثر التمييز الطبقي كذلك بالسن فكبار السن أكثر احتراماً ولهم من السلطات ما ليس للشباب ، وكذلك فإن المراكز العليا في الطائفة ذاتها تتحدد بإحراز مهارات معينة وسمات شخصية معينة ، فالقدرة على التحدث والبلاغة ميزة عظيمة كما أن خفة الدم تلاقى بتقدير أعظم . وينال التعليم أهمية متزايدة في الوقت الحاضر ، فالتعليم يتيح للفرد فرصة العمل في الحكومة وينال حقوقه في العالم الحديث . وفي عامي ١٩٥١—١٩٥٢ على كل حال لم يكن أهل القرية ينالون أكثر من أربع سنوات من التعليم .

وعلى كل مستوى فإن الرجال يحتلون مكانة أعلى من النساء ، وبصفة خاصة في الشؤون العامة . فالرجال يحتلون كل الوظائف السياسية . ويقتصر عمل النساء على الشؤون المنزلية . والوظائف التي يحتلونها في الشؤون العامة غالباً ما تكون غير مباشرة وثنائية . والتقسيم الجنسي للعمل صارم فلا يمكن أن يقوم الرجل بالكس أو الطبخ أو جلب الماء . كما لا يمكن أن تقوم المرأة بالحرث أو بيع في السوق ، رغم أن العوانس والأرامل يستطعن أن يقوموا بأعمال الرجال .

وأنماط الملكية الزراعية تكشف تميزاً كبيراً . فمن بين الثلاثة آلاف فدان تمتلك أسرة واحدة ربعها . وتمتلك كل أسرة من ثمان أسر مائة فدان، وعشرون عائلة تمتلك كل منها أربعين فداناً، وستون عائلة تمتلك كل منها خمسة أفدنة وهناك حوالي مائة وعشرون أسرة لا تمتلك شيئاً وحوالي مائة وعشر أخرى تمتلك أقل من خمسة أفدنة . ولا بد أن يعمل كل عضو من هذا الأسر كعامل زراعي أو بالمشاركة مع مالك .

وطالما كان الأب حياً فإن الأسرة تشترك في ملكية الأرض والعمل فيها .

وحين يموت الاب فان الارض والمواشى والأدوات توزع بالتساوى بين الأبناء ولعل هذا هو السبب فى ضالة الملكية لدى عدد كبير من السكان . ولا يبيعون الأرض إلا فى الضرورة القصوى ، وحين يحدث هذا فان كل الأسرة تعلق الحداد . والأرض بالنسبة للفلاح الهندى هى الأم وفراقها يشبه خسارة أسرية . وهم يعاملون الماشية كأنها أعضاء فى الأسرة وموت أحدها أو بيعها يسبب حزناً شديداً .

ووحدة الأسرة العادية فى شامربت هى من خلال الآباء والأبناء ، اذ يتصل السكن عن طريق ورائه الأبناء . ونظرياً فان على الأبناء أن يعيشوا فى نفس المنزل لكي يخرجوا جيلاً جديداً مما كان عددهم كبيراً . ولكن هذه الأسرة المشتركة لا تنتشر كثيراً على كل حال ، وبصفة خاصة بين الأسر الفقيرة ، لأن الأرض الضيقة بانتاجها للضئيل لا تستطيع أن تكفيهم . وكثيراً ما تنشب المشاجرات عند انفصال الأسر المشتركة . ولكن الخصومة لا تستمر طويلاً لأن أفراد المشتركة يجدون أن عليهم أن يشتركوا فى أمور كثيرة . فالأعياد والاحتفالات والطقوس التى تتعلق بأمور الحياة الهامة كالميلاد والزواج والموت .

وبعد مولد طفل مناسبة هامة يحتفل بها احتفالاً كبيراً خاصة إذا كان الطفل الأول للزوجين . وهم يفضلون الأولاد بصفة تقليدية . وأما البنت فليست ذات أهمية كبيرة لأنها سوف تنقل إلى أسرة أخرى بعد الزواج . ولكن فى التعامل اليومى فلا يبدو أن السكان يعطون حياً أكبر للأولاد . وعند الولادة فإنه يعتقد أن الأم وأقرب النساء إليها غير طاهرات .

وفى اليوم الثالث أو الخامس فان طقوساً معينة تقام لتطهر أعضاء الأسرة جميعاً ما عدا الأم . وفى اليوم الواحد والعشرين أو الثلاثين فى بعض الطوائف

يختارون للوليد اسما ويحلقون رأسه ويضعوه في مهده . وتستحم الام لمصاحبة بعض الطقوس حتى تصبح طاهرة مرة أخرى . ويصحب هذا احتفال وغذاء يشارك فيه الاصدقاء والاعارب . وتشارك كما جرت التقاليد بعض الطوائف المهنية في هذا الاحتفال ويتنبأ البراهمة للولد بمستقبله وتقوم زوجات الحلاقين بدور الداية بالنسبة للطوائف النظيفة ، ويتولى الغسالون أمر الملابس والفراش .

ويلاقى الاطفال عناية كبيرة من قبل الام ، فهي ترعاه كلما طلب ذلك ، كما أنه على اهتمام جميع أعضاء الاسرة وأحيانا يطعم الوليد ابن الام حتى سن الرابعة أو الخامسة ثم يفقد الطفل الاهتمام في الخامسة تماما .

ففي هذا الوقت يمكن أن تكون الام قد ولدت طفلا آخر ، ويدفع الغلام في سن الخامسة لكي يلهو مع أقرانه وتبدأ الاسرة في تعليمه السلوك الطيب من الخييت . ويتزايد سلطان الاب يوما بعد يوم ويتزايد احترام الابن له كلما كبر . وتتم الام بالدرجة الاولى بتدريب بناتها وبصفة خاصته تعلمهم لمواجهة المشاكل التي سيلاقونها بعد زواجهن .

وبداية البلوغ الجنسي تمثل تغيرا بارزا . وأول دورة شهرية للفتاة تقام لها الاحتفالات والطقوس . تعزل حتى انتهاء الفترة ثم تغتسل وتلبس ثيابا جديدة وتظل الاسرة تقيم العبادات للالهة الذهبية في البيت ثم تأخذ مجموعة من النساء الفتاة ويكمن الطقوس عند ضريح الاسرة . وهذا الاحتفال يعلن أنها قد أصبحت امرأة وأنها قادرة على الزواج . وأما بالنسبة للفتيان فان بلوغهم يأتي تدريجيا ولا يحتفل بتغيرهم الجنسي مثلما يفعل للفتيات .

وعند البلوغ يجب أن يتزوج الشاب . ويتم الزواج عن طريق التفاوض بين الاسر المعنية دون الرجوع إلى رغبة الشباب . وقد حدثت عدة حروب عاطفية

ولكنها تعتبر خروجاً على القواعد المتواضعة . وأفضل زواج هو بين أبناء العم ولكنها لا تحدث كثيراً على كل حال . وفي كل الحالات يجب أن يتزوج الشاب فناء من خارج قريته . وفي كل حالات الزواج تقريباً يجب أن توفر أسرة الزوجة زوجة .

وتختلف طقوس الزواج من طائفة لأخرى ولكن أثر السنسكريتية واضح فيها جميعاً . فيبدأ والد الزوج في التفاوض وتقام حفلة الزواج في بيت العروس . وإذا كان الزواج في قرية غريبة فعلى أسرة الزوجة أن توفر بيتاً لإقامة أقارب العريس . وفي أول يوم يعد عشاء كبير ترحيباً بالضيوف ثم يقام الزواج اليوم التالي . وأول طقس هو عبادة اله الأسرة والذي يشترك فيه العريس والعروس . وأهم طقس هو « لاجنام » الذي ينشر فيه البراهمة أشعارهم ويضع العريس عقداً من الحب الأسود حول عنق العروس ويضع الخواتم على أصابعها الصغيرة . وآخر طقس في الزواج هو جلوس العريس والعروس بين دخان البخور والنار المتصاعدة حيناً يرتل الكاهن أشعاره المقدسة . ثم تقام طوس ثانوية أخرى وأخيراً تودع العروس مع عريسها وأهلها بين أغاني الفراق المزينة .

وطبقاً للتقاليد فإن إرادة الزوج مطاعة لأنه سيد زوجته وهي خادمه الخاص المطيع . وأى إنسان في شامربت يقول أن هذا هو المفروض ولكن الواقع يختلف شيئاً . وفي السنوات الأولى من الزواج فإن استقلال الزوجة يكون أقل منه بعد سنوات حين تربي البنات وتشارك بدور حاسم في إداره البيت .

وإذا كانت تعيش في أسرة مشتركة مع حماها وحماها فإن وضعها يكون قلقاً شيئاً ما ، وذلك يرجع إلى إصرار الحماة على أن تكون الزوجة خاضعة طبقاً

للتقاليد . ولكن كثيرا ما يتوق الزوجان الحديشان إلى الإستقلال ببيت لهما ، وكثيرا ما ينقلان ذلك حين تسمح لهم قدرتهم المالية .

وعلى غير ما يعتقد كثير من القبائل فإن الهندوسى والمسلمون يعتقدون أن الموت يحدث بسبب أسباب عضوية . ولكن فى حالات الوفاة الشاذة ينسبون أسباب الموت إلى قوى خارقة كالسحر أو غضب الآلهة . وفى مجتمع الهندوس يمارس حرق جثة الميت ودفنه . ويدفن الاطفال عادة عند البراهمة البالغين وبصفة عامة ، فإن المعمرين والاثرياء من الناس يحرقون بينما يكتفى المتبنون بالدفن .

وحين يتوفى شخص فإن الخبر يرسل إلى الاصدقاء والاقارب وتغسل الجثة وتكفن وتربط فى نعش من الخشب يغطى بالقماش ويزين بالأزهار . وتصحب فرقة موسيقية النعش إلى المدفن أو أرض المحرقة . وقبل أن يوضع النعش فى المحرقة أو القبر فإن أكبر الورثة يرش الماء حول المحرقة أو القبر ثلاث مرات . ثم يشعل أحد الاقارب النار أو إذا كان يدفن فإن كل الاقارب يشاركون فى وضعه فى القبر . وفى طريق عودتهم فإنهم يأخذون حماما تطهيرا فى الطريق . وإذا حدثت الوفاة فى موعد طيب فإنه يعتقد أن الروح سوف تصعد إلى خالقها فوراً ، وأما غير ذلك فإنها سوف تخلق فوق البيت لمدة أحد عشر أو ثلاثة عشر يوما .

وفى اليوم الثالث للوفاة فإن البيت يطهر بتنظيفه وغسل كل الثياب والفرش والنخل من أدوات المطبخ كلها . وفى اليوم الحادى عشر أو الثالث عشر يقدمون الطعام والماء للروح ويخلق الاقارب شعورهم ويستحمون ويقيمون احتفالا آخر . وبين الطوائف السامية فإنهم يجمعون الطعام المحروقة

وينثرونها فى نهر مقدس . وفى بعض الحالات فإن الأسر الغنية تأخذ العظام إلى نهر الجانج أقدس نهر فى الهند . وفى العيد التالى للقرية فإن الأسرة تقيم احتفالا للروح حتى تستقر فى ضريح الأسرة مع باقى أرواح الجدود .

وأشكال الوفاة الشاذة مثل حادث مروع أو كارثة ، تفسر على أنها عن عمل القوى الخارقة . فربما تعادى أرواح الجدود أقاربها الأحياء ، وربما تنتقم آلهة القرية من المعتدين عليها ، وربما تكون نجوم النحاس سببا فى الكوارث . والكاهن البراهمى هو الذى يستطيع أن يصف الدواء لهذه الكوارث . فأرواح الاجداد تسترضى بالاعتذار والصلاة لها . وآلهة القرية عادة ما تطلب التضحية بأحدى الماعز أو الغنم . وأما إذا كانت النجوم هى الغاضبة فإن الصوم وإقامة الطقوس هى السبيل . وعادة ما يستشار الكاهن قبل زراعة محصول ما إذا كانت النجوم تباركه أم لا .

وأما السحر والاشباح الشريرة فنحتاج خطوات أكثر حسبا . وكما يعتقد فى كثير من أنحاء العالم فإن للساحر لغة خاصة به ولا يمكن ان يعرف ، وان كان الناس يستطيعون ان يخمنوا من فاعل الشر ، واما الاشباح فهى أكثر صعوبة ، والسبيل الوحيد هو تجنبها ، ولكن بعضها امكن « ترويضه » واصبح فى خدمة اشخاص معينين . وهم يظنون ان الاشباح هى ارواح انتقام لبعض الاشخاص الذين لم يكونوا راضين ساعة موتهم . والنساء الحوامل ، والذين ينتحرون والاشخاص الذين يموتون وهم يكرهون شخصا ما والذين يقتالون فى شبابهم والغارقون يمكن ان يصبحوا اشباحا بعد الموت .

ومعظم المشكلات اليومية التى تصادف الناس فى حياتهم وتتطلب مساعدة القوى الخارقة يصلون ويقيمون الطقوس من أجل حلها ويضعون لروح الاجداد

أو الالهة . وأكثر هذه لطقوس شيوعا هي الصوم في أحد الأيام أو القدر بالصوم في يوم قادم إذا تحققت رغبة أو قضيت حاجة .

والديانة الهندوسية هي مجموعة هائلة ومتنوعة من العناصر المتباينة . فبالإضافة إلى المعتقدات الفولكلورية في الأشباح وأرواح الأجداد والشياطين نجد تراثا هائلا من المعتقدات في الآلهة والالهات والصلوات والطقوس والاحتفالات . وبالإضافة إلى ذلك نجد أن الأشخاص والأسر والطوائف الخاصة تكون جماعات دينية مستقلة في كل مجتمع . وأما الإسلام فإنه على عكس هذا الكم المتضارب والمفكك . فالمسلمون في شامريت ينتسبون إلى المذهب السني ويتبعون تعاليم السنية كما وجدت في القرآن .

وفيما عدا البراهمة فليس للهندوس وقت معين للعبادة ، ولا يزور المعبد في القرية يوما لإعداد ضئيل . فهم لا يلجأون إلى الالهة إلا في أوقات الشدة وأثناء احتفالات القرية وكما يوجد في شامريت فإن الهندوسية ليست نظاما كلاسيكيا ثابتا ولكنه دين آلى يتمثل في الصوم والأعياد والاحتفالات والطقوس المعروفة لمواجهة الاوقات الحرجة في الحياة . فهو دين عملي أكثر منه دين روحي .

والاحتفالات الدينية تنقسم إلى ثلاثة أنواع : احتفالات أسرية ، احتفالات طائفية احتفالات قروية . والاحتفالات الطائفية والاسرية عديدة ومتنوعة ولا يمكن وصفها هنا بالتفصيل . وأما احتفالات القرية فأقل عددا ولكنها أكثر بروزا في حياة المجتمع إذ يشارك فيها الجميع بما فيهم المسلمون ولعل أهم الاحتفالات السنوية هو الذي يقام لبوغاما وهي آلهة الجدرى . ولا يؤمن المسلمون بآلهة الديانة الهندوسية ولكنهم يخافون من آلهة القرية المحليين مثلهم مثل بقية أهل القرية ولذلك فهم يشاركون في الإحتفال .

وتبدأ الاستعدادات مبكرة في أول اليوم . فتأخذ كل أسرة إناء جديد من الفخار وتزينه بألوان جميلة وتتملا بالارز كقربان للآلهة . ويدور كاهن في نفس الوقت في أنحاء القرية ليجمع الارز والزيت من جميع من بالقرية . وقبل أن يبدأ وقت الاحتفال تبدأ جماعة الماديحان في دق الطبول لجمع الناس لمكان وسط . في القرية وحين يأتي الجميع حاملين أوانيهم من الارز (يونام) فان الموكب يسير وراء الطبالين خلال القرية . وكلما اقترب الموكب من ضريح الالهة تلبس روحها بعض الناس ويروحون في غبوبة . وفي الضريح يقدم الكاهن إلى الإلهة قربان الارز الذي قدمته القرية . ثم يقدم القربان الفردي الذي يقدم كل شخص إلى الإلهة في ترتيب حسب درجة كل طائفة ودرجة كل أسرة داخل الطائفة . واختيار الكاهن للأسر دائما ما يثير عداوات ومشاكل كثيرة . وتقدم طائفة الزراعة الماعز والاغنام قربانا للآلهة نيابة عن القرية كلها كما يفعل الافراد عن أسرهم . وترك رؤوس الحيوانات وأرجلها في الضريح ولكن الارز واللحم يؤخذ إلى البيوت لإقامة العزائم .

وإيمان الهندوس بالثلاث وجوه لله المنتشر في الهند موجود كذلك في شامريت فالاله براهما هو الخالق وفشنو هو الذي يحافظ على الكون وشيفا هو الذي يدمر وياما وكر يشفا هي آلهة أخرى ، كما توجد المعتقدات الهندوسة الهامة في طباع القرويين المميزة . وأحد هذه المعتقدات هو معتقد الكارما ، وهو معناه أن مصير الإنسان في الآخرة يعتمد على أفعاله في الدنيا . وهذا معناه الظاهري أن الإنسان يجب أن يختار لنفسه وأنه مخير . ولكن يلزم هذا الاعتقاد فكره أخرى هي أن أفعال الإنسان في الماضي تحكم شخصيته في الحاضر وكثيرا ما تجددهم يقولون مثلا ما قدر لنا يجب أن نراه ، ولاراد لقضاء الله وما قدره الله لا بد محتوم . ولكن هذه المعتقدات بطبيعة الحال لا تمنع الناس من محاولة حل

مشاكلهم ولكنها تبرر روح التسليم التي تتأهب حين يعجزون عن حلها .

وتناسخ الارواح وتوالدها تكون إيمان راسخ عند الهندوس ، فالحياة عملية مترابطة من الوجود لا تنتهى . والشخص الذى يسلك مسلكا طيبا فسوف يدخل الجنة أو يولد فى طائفة أفضل مره أخرى . أما الذى يسلك مسلكا خبيثا فسيذهب إلى النار أو يولد فى طائفة أدنى مرة أخرى ، أو إذا كان مسلكه لا يغتفر فسيولد فى جنس من أجناس الحيوانات الدنيا .

وتنقسم مفاهيم القرويين عن الجنة والنار بالوضوح . فالجنة مكان السعادة فكل من فى الجنة ينالون ما يتمنون فى الحال . وكل الناس فى الجنة يعيشون فى القصور الفاخرة حيث يقوم على خدمتهم جيوش من الخدم . وهناك يأكلون أشهى الطعام ومالذ وطاب وقد قال أحد المنبوذين أنه يعتقد أن فى الجنة تستطيع أن نجد ما تريد من الارز والحلوى . لأنه ليس هناك من الموظفين من يسئ إليك أو ينهرك . والنار على العكس من ذلك مكان مفزع ولكنها ليست مستقر الشيطان الذى يدفع الانسان إلى المعصية فالنار تحتوى على مئات من الغرف ، تتدرج فى الرعب أكثر وأكثر ، ويتولى زبانية الله نقل الانسان العاص من كل غرفة مفزعة إلى أخرى أكثر فزعا .

وتخالف الهندوسية عن المسيحية والإسلام فى جوانب كثيرة . فالهندوس فى شامربت يعيشون فى وئام مع المسلمين ، فرغم شعورهم بالفرقة فانهم لا يرسلون الارساليات لهداية الكفرة ولا يضطهدونهم فالديانة نفسها تتكون من خليط عجيب من الالهة والمعتقدات والعادات والطقوس المحلية . ولو كان المسلمون أقل تمسكا بدينهم لذابوا فى الهندوسية وأصبحوا من مجموع من تلك المجموعات الكثيرة التي تدخل فى الهندوسية .

ولكن الهندوسية تهتم اهتماما كبيرا بالسلوك الأخلاقي ، رغم الاستعداد لتقبل آله ومعتقدات جديدة . والفعل الطيب الذى يضمن حياة سعيدة فى الآخرة يسمى « دارما » . والدارما هو الفعل الذى يرعى التقاليد والموروثات ومراعات الصوم والأعياد والحج والاستحمام الطقوس واجتناب ما يندس المرء . وهناك أنواع من المحرمات خاصة ببعض الطوائف وبعض الأفعال كالزنا والقتل والعنف يفضيها المجتمع كله . والدارما هى الحىض على الصواب والنهى عن المعصية .

وتوصف الهند دائما بأنها بلد التسليم بالقدر وعدم الشهور بالزمن ، ولكن سياسته الهند الحالية ، خصوصا سياستها الذرية المستقلة ، تدل على التغير الجذرى الذى أصاب الهند ، ولكن ما الذى يحدث فى مجتمع صغير كقرية شامربت ؟

أولا يجب أن نعى أن التغيرات التى تحدثت فى الهند كدولة قد بدأت قبل الحرب العالمية الثانية وثورة المستعمرات . فلقد كانت الهند معبر الكثير من الثقافات والتأثيرات الإقتصادية والغزو . وما قبل التاريخ يحتفل أن الحضارات العظيمة لنهر السند مثل حضارة موهنجودورا كانت بإيدى المهاجرين . وكانت غزوات الفدا أكثرها بروزا ، ولكننا كانت قايلا من كثيرة ومن الغزوات المعروفة فإن غزوة الاسكندر الأكبر كانت ذو أثر محدود ، ولكن بعد القرن الثانى عشر فإن تدخل المسلمين وتغلغهم فيما عرف بامبراطورية المغولية كان له أثر ثقافى وسياسى يمتد حتى يومنا هذا فى مجتمع محدود مثل قرية شامربت .

وقد حدث تأثير آخر ولكن من الغرب هذه المرة بسبب الغزو البرتغالى لجوا عام ١٥١٠ ، ثم توالى المنافسة بين بريطانيا ومانيا وفرنسا للاستيلاء على اقتصاد الهند . ثم قامت الامبراطورية البريطانية فى الهند عام ١٧٥٧ .

ولقد أثر الحكم البريطانى الطويل على جوانب كثيرة فى الثقافة الهندية القومية

وبخاصة في القانون والإقتصاد والحكم . ومنذ انسحاب البريطانيين وتقسيم الهند في عام ١٩٤٧ إلى باكستان مسلمة وهندوسية فإن كثيرا من التوتر والمشاكل قد قامت بسبب المشاكل بين الهندوس والمسلمين في شبه الجزيرة وبسبب التغيرات الإجتماعية التي تحدث مناطق كثيرة من العالم كانت تعتمد على غيرها .

وأما شامربت نفسها فقد كانت جزءا من دولة شبه مستقلة هي حيدر اباد ولم تتأثر كثيرا بالحكم الانجليزى أو بحركة الاستقلال الوطنية ، وبالتالي أثر غاندى وحزب المؤتمر . وأكثرت الحركات السياسية أهمية هي حركة القضاء على الإقطاع الزراعى في عام ١٩٤٨ ، حين أصبحت حيدر اباد جزءا من الاتحاد الفيدرالى وانتهى تميز المسلمين فيها ، وأصبح الناس يتقبلون مظاهر التغيير في الحكم وفي أنشطة الرخاء وبرامج التنمية الزراعية في شامربت .

وفى عام ١٩٥١ ذهب الناس للانتخابات لأول مرة فى التاريخ . وذلك ليعتاروا ممثلهم فى البرلمان الوطنى والهيئة التشريعية .

ولقد تحسّن الإتصال بالمدينة فى الأعوام الأخيرة - فبالإضافة للعربات التى تجرها الثيران هناك سيارة فورد موديل ١٩٢٨ يملكها رئيس القرية ، وعشر دراجات وأتوبيسات . ورأى الناس السينما والسيرك فى المدينة . ويملك الناس الفوتوجراف وهناك جهاز راديو حديث . والشباب يرتدى الزى الأوروبى الحديث . كما يملك بعض الناس أقلام الحبر والنظارات الشمسية والأمواس الحديثة والكشافات .

وتصاحب هذه التغيرات الملموسة بعض الابتكرات الاقتصادية الخالصة . فالثياب المنسوجة على الآلات مثل محمل النسيج المحلى . فنادرا ما ترى الناس يعملون بالنسيج الذى كان فى الماضى هو النشاط الوحيد لقضاء وقت الفراغ .

ويستعمل الحلاقون والتجارون والحدادون والصاغة الآلات الحديثة . وهذا يستدعى كثيرا من المال وما أدى إلى زيادة الفلاحين لنشاطهم وبيعهم المحصول بالتقسيط ، وهم يحاولون زيادة المحصول باستخدام بذور محسنة وسماد كيميائي . ولكن لم يطرأ تغيير كبير على أدوات الزراعة وربما يكون مرجعه إلى ضيق ذات اليد .

والمفاهيم الحديثة للمرض وعلاجه بدأت تغزو المعتقدات القديمة التي كان يؤمن بها أقل قرية شامربت . ومن المؤكد أن معظم الناس لا يزالون يعتقدون أن الكوليرا والجدرى سببهما الآلهتين ولكنهم لم يعودوا يفرون هربا من سيارات التطعيم الحكومية ، وهم يبحثون عن التطعيم بتلف مما يعد سابقة غريبة بالنسبة للقرى في جميع أنحاء العالم . فالقرويون في جميع أنحاء العالم لا يزالون يستخدمون السحر والترايم والطقوس الشعبية ضد الأمراض . وأهل شامربت أيضا لم يتخلوا عن هذه الأساليب تماما ، ولكنهم لم يعودوا ينظرون إليها على أنها بديل للعالم ومضادة له ، وعادة فانهم يحريون الأساليب القديمة أولا ثم يلجأون إلى الأساليب العلمية أو يذهبون إلى مستشفيات المدينة حين تفشل الأولى

والتنظيم الإجتماعي متمثلا في العلاقات الأسرية والطائفية يتغير تغيرا طفيفا ، وإن كان نظام الطوائف لم ينته بعد . فبعض المهن التي لا يمكن أن تتدرج تحت نظام الطائفة وبعض المرونة الاقتصادية والاجتماعية قد جعلت من الممكن أن يتجاهل بعض الناس قوانين الطوائف الصارمه . ولقد ألغى الدستور الهندي نظام المنبوذين ، ورغم أنه لا يزال موجودا في شامربت فسوف ينتهي منها بالتأكيـد في القريب .

ولكن الجزئيات البسيطة التى تعبر عن دخول الحداثة إلى الحياة اليومية فى شامربت قليلة حتى الآن ولا تبلغ من الثقل حدا يجعلها تؤثر على البنیان الاجتماعى والعادات الريفية . فلا زال العالم محدودا بحدود القرية بالنسبة لأهل شامربت . والتاريخ عندهم هو مجموعة الأساطير الطائفية ، ويبدو أن التقاليد والمؤسسات الاجتماعية يظنون أنها نشأت مع نشأة البشرية على الأرض . والشعور الوطنى لا يزال مبها لا يعرفونه فلا يكادون يعرفون أسماء المهاتما غاندى وجواهر لال نهرو .

وفى مقابل الأخلاقيات الحديثة للعالم الغربى والتى تسعى إلى السيطرة على الطبيعة ، فإن العنصر الأساسى فى فكر أهل القرية هو تكيف الفرد مع الكون والمجتمع الذى يمثل جزءا من الكون ، وهذا هو الدارما . وحين يحدث أمر جليل فإنه يعزى إلى القدر لا إلى سبب إيجابى ما ، وكل أشكال العلاقات الفردية والجمعية تتدرج فى نظام تصاعدى . وأكثر هذه الأشكال وضوحا هو نظام الطائفة ولكن نفس النظام ينسحب على الأشياء والحيوانات وحتى الأطعمة . ورغم أن التغيرات الحديثة تخفف من حدة تعصب السيد ضد أحد المنبوذين فإن فكرة السيادة والخضوع لا تزال راسخة بشكل جورى .

ولا تزال المفاهيم الفردية الحديثة عن حقوق الإنسان والمساواة غير مفهومه لدى أهل القرية . ففي الخمسينات لو كان لأهل القرية أن يختاروا بين التقدم والتقاليد لاختاروا التقاليد بطريقه آليه . فالتقاليد هى السبيل الصحيح وأى خروج عنها يعد خروجا إلى طريق مجهول . ولكن هذه المبادئ النظرية ولعل الخروج عليها ليس ضربا من المستحيل . فالأفراد فى شامربت الآن يتقبلون ما تنتجه الحضارة الحديثة ، وكلما زادت سرعة التغيرات فى الهند الحضرية فلسفوف تصبح آثارها أكثر وضوحا فى شامربت .

أهم مراجع الباب الرابع

- 1 — Coon, C.S., Tribes of the rif, Harvard African studies, Cambridge Vol. 9., 1931
 - 2 — ————, North africa, in R. Linton i(ed.), Most of the world, New York, 1949.
 - 3 — ————, Caravan : The story of the Middle East, New York, 1951.
 - 4 — Neakin, B., The Moors, London, 1962.
 - 5 — Westermarch, E.A., Ritual and belief in Morocco, london, 1926.
-
- 1 — Dube, S.C., indian Village, London, 1955.
 - 2 — Hutton, J.H., Caste in andia, Cambridge, 1946.
 - 3 — Rawlinson, H.G., india : Ashort cultural hiotory, N.Y., 1938.



مقدمه

البَابُ الْأَوَّلُ

الجماعات البدائية

٢٦- ١	جاءات الياغان
٥٦-٢٧	الاندامسان
٨٤-٥٧	الاسكمو

البا نب ایٹانی

القبائل البدائية

۱۱-۸۷	الجيفارو
۱۴۰-۱۱۱	التانجوس
۱۷۴-۱۴۱	الشين
۲۰۰-۱۷۵	النوير
۲۳۱-۲۰۱	تاھيتى بولينزيا

رقم الصفحة

الباب الثالث

٢٢٣-٢٢٤

الممالك البدائية

٢٦٠-٢٣٥	الكالينجا في جزر الفلبين
٢٨٨-٢٦١	المايا في المكسيك
٢٢٥-٢٨٩	الانكا في بيرو

الباب الرابع

٢٢٧-٢٠٠

جماعات المجتمعات الحديثة

٣٥١-٢٢٩	قرية مراکشية
٢٠٠-٣٥٣	قرية هندية

فهرس الأشكال

رقم الشكل	الموضوع	رقم الصفحة
١	نموذج لكوخ الياغان المخروطى	١٢
٢	مجموعة من الاندامان فى قاربهم المحفور	٣٣
٣	الاحتفال بالزواج عند الاندامان	٤٦
٤	سلوك اللقاء والمقابلة لدى الاندامان	٤٦
٥	الرقص لدى الاندامان	٤٧
٦	لاسكيمو يحفر قطعة من الصخر بواسطة مخراز النفخ	٦٢
٧	أحد الاسكيمو يجلس فى خيمته	٦٩
٨	سيده من الاسكيمو تحمل طفلها	٧٥
٩	التانجوس فى سيريا	١٢٢
١٠	الشين هنود سهول امريكا الشمالية	١٥٤
١١	أحد أطفال هنود سهول امريكا الشمالية	١٦٣
١٢	النوير	١٧٩
١٣	فتاة من بولنيزيا	٢١٣
١٤	شاب من كالينجا	٢٥٩
١٥	كوخ السكاليينجا	٢٦٠
١٦	أحد اهرامات المايا فى يوكنان	٢٦٦
١٧	سيده من المايا	٢٦٩
١٨	مجموعه من نساء الانكا	٢٩٧
١٩	الكيبو Qoipu	٣٠٩
٢٠	قرية المديونه	٣٣٥
٢١	ملابس الفلاح	٢٤١
٢٢	مغربي من قرية المديونه	٢٤١